٢٥١٢
العـدد ٣٧٨ السّـنة الثالثة والثلاثون مايـو ١٩٩٠



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
العربي
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت
تلفون فاكسملي ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No: 378. MAY 1990 - P.O.Box : 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

الاشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا

ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشًا	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكًا
السودان ٢٥ قرشًا	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات

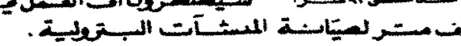


العربي
بنغلاديش..
صراع العضلات والعجلات
بيروت..
قفزة جديدة في زراعة الأعضاء



عَمّاقريب سَيتمكّن غوّاصو كوميكس من مجَارَاة رولكس في العُمق

لايزال الانسان يجد للبحر حدوداً . لكنها حدود عمودية .
إن شركة كوميكس ، رائدة العالم في العمليات البحرية ، لاتنفك ندفع هذه الحدود إلى أعماق جديدة . وقد سجل غواصوها حتى الآن في المياه المكشوفة رقماً قياسياً في العمق يبلغ ٥٠١ متر .



غواص خارج من حجرته عند عمق ٩١ متراً

فكيف سجلت كوميكس في عملية غوص أحدث عهداً ، رقماً قياسياً جديداً يبلغ ٩١ متراً ؟ التعليل يكمن في الغاز الذي كان الغواصون يتنشقونه . وهو في يومنا هذا مزيج يدعى الهيليوكس . لكن الهيليوكس يحدد الغوص بسبعمئة متر ، في حين أن غواصي كوميكس يحتاجون الى بلوغ مواقع أكثر عمقاً . فعمّا قريب ، مثلاً سيضطرون الى العمل في أعماق تقارب ف متر لصيانة المنشآت البترولية .

يقول هنري ج . ديلوز رئيس شركة كوميكس : "عما قريب سيضطر الانسان إلى بلوغ الأماكن التي يصل إليها الربوط ." وهو بعد غوصته التاريخية في أول تموز (يوليو) ١٩٩٢ أصبح يسلم أن هذا الهدف يمكن بلوغه .

أجرى السيد ديلوز غوصته القصيرة الى عمق ٩١ مترا تجاه جزر ريو . وكان الغاز الذي تنشقه خلال الدقائق الخمس للرحلة الهيدروكس . وهو مزيج من الهيدروجين والاوكسجين ، كان حتى ذلك الحين يعتبر من أقوى المتفجرات في العالم .

إن غاز الهيدروكس ينشط القدرات البدنية عند الغواصين ، فيمكنهم من الوصول الى عمق ألف متر ، الهدف الذي ترمي اليه كوميكس

واستنادا إلى اختباراته أيضا يبدو أن الهيدروكس يزيل الآثار المعهودة التي تحدثها الضغوط العالية على الجهاز العصبي عند الغواصين

إن هنري ج . ديلوز كسائر الغواصين المحترفين ، شغوف بعمله . لكنه أيضا جدّي في تفكيره . فهو يبذل كل عناية في اختيار وتجربة جميع معدّاته .

ولذلك اعتمد في عملية الهيدروكس على الساعة التي يحملها دائما غوّاصو كوميكس ، رولكس سي - دويلر كرونومتر .

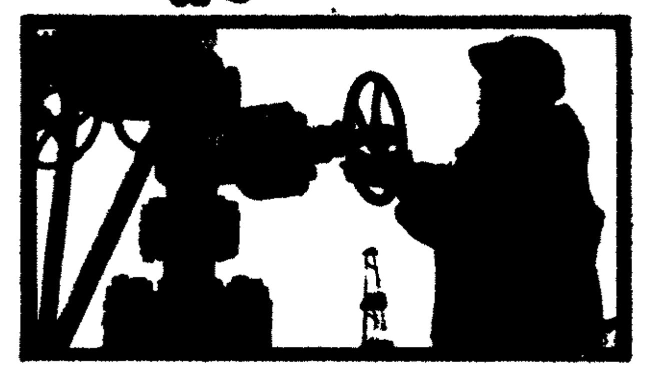
إن سي - دويلر مصممة خصيصا لتحمل الضغط في الأعماق السحيقة . ولما صمام من تصميم رولكس يمكنها من مقاومة آثار انخفاض الضغط عند الصعود ولذلك في الامكان كفالة سي - دويلر في مناعتها ضد الماء حتى عمق ١٢٢٠ متراً .

بالنسبة الى غواصي كوميكس ، يبقى الغوص حتى ١٢٢٠ متراً تحت سطح البحر حداً آخر يجب بلوغه . أما رولكس فقد توصلت إليه منذ زمن بعيد .

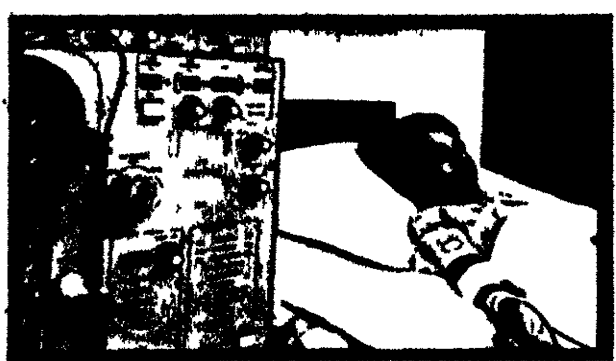


ساعة رولكس سي - دويلر ديت كرونومتر من فولاذ لايصدأ.

محتويات العدد



● السياسة النفطية الجديدة في الاتحاد السوفيتي [ص ٣٢]



● السيكلوسورين قفزة رائدة في زراعة الأعضاء [ص ٥٠]

قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

سياسة واقتصاد :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

أدب وفنون :





● في لحظة فاصلة في مسار الحرب المحزونة في لبنان كانت عدسة «العربي» ترصد هذا الوجه القبيح للحرب الأهلية هناك اقرأ استطلاع بيروت : هكذا تموت المدن ، هكذا تحيا [ص ١٣٢]



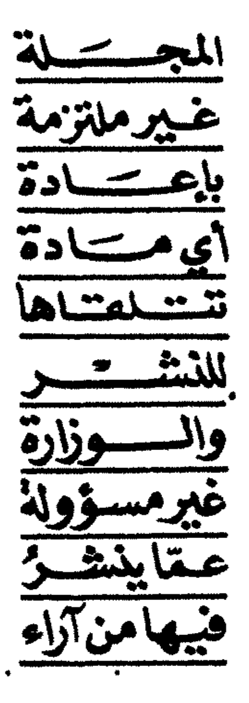
● وجها لوجه عبدالله البردوني وناديا الرعيني [ص ٩٧]

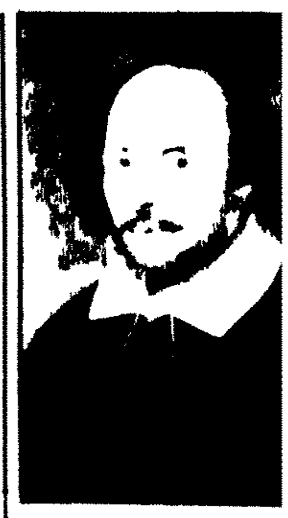


● من دفتر ذكريات أحمد السقاف : « مهمة تختلف عن جميع المهمات » [ص ١٩]



● لو كنت حمامًا ! [ص ١٥٦]





● هل كان شكسبير طبيباً ؟

[ص ١٠٧]



● محبوبة المصريه أميرة أوربية

[ص ٩٢]

منتدى العربي :

تاريخ وتراث أشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

قامت بعثة « العربي » باستطلاع عن ثاني أكبر بلد إسلامي في عدد السكان، فما حال الحياة والناس في بنغلاديش التي تصل الكثافة السكانية فيها إلى أعلى المستويات ؟

[طالع ص ٦٨]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

همومُ العَرَب وآمالهُم

القصية اللبنانية تؤرق كل عربي ، فها هو شعب عربي يعيش السنين الطوال في حرب ، ولا يبدو أن هناك نهاية لمأساته. أحدث « العربي » على عاتقها أن تذهب إلى بيروت ، لا لكي تحدد من هو على خطأ ومن هو على صواب ، فذلك ليس مجالها ، إنما أرادت أن تنقل صورة إنسانية لها وقع الحياة اليومية ، صورة البسطاء من اللبنانيين واللبنانيات ، من جميع الفئات التي تعاني من ويلات هذه الحرب. الأطفال ، والنساء ، والعجزة ، والإنسان العادي وكيف ينظر لهذه الحرب ، وكيف يتأثر بها. وفي منطقة أخرى من العالم ، تعاني مشكلات أخرى ، اقتصادية وسكانية ، هي بنغلاديش ، هذه الدولة التي تعيش منذ أن خرجت إلى الوجود في خضم مشكلات أيضا يبدو أن لا حل لها. إخواننا المسلمون هناك كيف يعيشون ؟ وماذا يأملون؟ الحديث عما يقدم تقرؤه في الاستطلاعين المصورين في هذا العدد من « العربي »

ونتابع من جديد الحديث عن آفاق التسعينيات العربية ، فيكتب لنا عامر التميمي من الكويت عن آفاق الفكر الاقتصادي ، كما يتناول د. أحمد كمال أبو المجد ، وهو المتخصص في الموضوع ، أوضاع المسلمين في التسعينيات ، ويشارك أيضا عبدالرزاق النصر بموضوع تاريخي جذاب حول الترجمة العربية قبل الإسلام ، وفي جديد التقدم والمراوحة يكتب لنا د. مصطفى التير من ليبيا عن قضية حيوية ، هي تطور الجماعات العربية إلى مجتمعات مدنية على أساس أنها الخطوة الأولى نحو إقامة المؤسسات الحديثة

وتقدم « العربي » أيضا في هذا العدد لقطة مسنة عن أدب إخواننا في المغرب العربي ، وهي لقطة تناولها عميد الأدب العربي طه حسين منذ أكثر من ثلاثين عاما عندما كتب عن رواية الكاتب الجزائري مولود معمري. ويعيد إلينا هذه اللقطة بكل تفاصيلها د. حسن فتح الباب. وفي ملف الثقافة العربية يشارك معنا الدكتور شكري عياد الحائز أخيرا على جائزة الكويت للتقدم العلمي بدراسة عن الرواية في وادي النيل ، وفي الموضوع نفسه يساهم د. محمد حسن عبدالله بموضوع عن مستقبل القصة القصيرة في الخليج والجزيرة العربية

ومن جنوب الجزيرة العربية ، من اليمن تقدم « العربي » وجها أدبيا مميزا في زاوية « وجها لوجه » ، هو الشاعر الكبير الأستاذ عبدالله البردوني تحاوره ناديا الزعبي. وفي العلوم والطب نقدم في هذا العدد بعض ماتوصل إليه العلم من عقاقير جديدة تساعد في زراعة الأعضاء (كالسيكلوسبورين) ، وكذلك موضوعا عن المرض العقلي ، يلقي أضواء جديدة على مسبباته ، كما يكتب لنا د. علي الوردي عن « الزهو » ذاك المرض الاجتماعي مبينا دواعيه ومظاهره

وحول انعكاسات التطورات العالمية التي تجري من حولنا يتناول كاتبان من كتاب « العربي » هذا الموضوع من زاويتين مختلفتين ، الأولى للدكتور يوسف سليمان العاصل حول السياسة النفطية الجديدة والمتوقعة للاتحاد السوفيتي ، وهي قضية تهم العرب والعالم ، والثانية بقلم رئيس التحرير حول آفاق الوحدة الألمانية المرتقبة ونتائجها على الصعيدين العربي والعالمي

بجانب كل ذلك تقدم « العربي » القصة القصيرة المختارة ، والقصيدة الشعرية ، وبيت العرب

هذا بعض من باقة النتاج الثقافي والعلمي الرصين المميز جمعتها أسرة « العربي » لتقدمها لك عزيزي القارىء في هذا العدد ، حرصاً على عهدها معك بأن تقدم دائماً الجديد المشوق الممتع المفيد في آن واحد ونرجو لك قراءة ممتعة □

المحـــرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

ماذا يعنينا من المسألة الألمانية؟



سيظل بعض الناس في هذا العالم يفرك عينيه ، بين مصدق ومكذب لما يسمعه ويراه من سرعة الحوادث التي تقود إلى انضمام ألمانيا الديمقراطية إلى ألمانيا الاتحادية ، أو الشرقية إلى الغربية بالمعنى الدارج ، في ما سيصبح « ألمانيا الموحدة » أو « ألمانيا الجديدة » .

الخطوات التي تقود حثيثاً إلى هذه الوحدة خطوات تثير التساؤلات ، بل والخوف في كثير من بلدان أوربا ، وبلدان أخرى خارج القارة الأوربية .

وهي خطوات يعتقد بعضنا - غير محق - أنها لا تعنينا نحن العرب ، وأعتقد أنها من أولويات ما يعنينا ، مما يجري في أوربا اليوم ، فالألمان قوم شهد لهم التاريخ الحديث أكثر من مرة أنهم أمة ذات حيوية فائقة . بعض الكتاب يشبههم « بالأميبيا » الألمانية من كثرة تكيفهم مع المستجدات ، وآخرها توجههم نحو وحدة ألمانية ، كانت إلى فترة قصيرة من الزمن تشبه النكتة السخيفة ، تثير الضحك والسخرية إن ذكرت في موقف الجد ، وقبلها أثبت الألمان في ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) أنهم أفضل من طبق فكرة الاشتراكية



● الألمانيتان في طريقهما إلى أن تصبحا ألمانيا موحّدة

ونجح فيها نجاحاً نسبياً ، لم يتحقق حتى في البلدان التي احتضنتها أول مرة ، أما في ألمانيا الاتحادية (الغربية) فيكفي أن نذكر أنها قد أصبحت في سنين لا تتعدى العقود الأربعة أقوى شريك اقتصادي في أوربا .

والثقافة الألمانية من الثقافات المميزة ، ويكفي أن نذكر في هذا الصدد أن اللغة الألمانية كادت تصبح اللغة الأساس في الولايات المتحدة الأمريكية ، فعشية الاستقلال الأمريكي تم التصويت على أي اللغتين يستخدم في الولايات المتحدة الأمريكية : الألمانية أو الانجليزية ، وكسبت الأخيرة بزيادة صوت واحد فقط .

وهذا يعني أن الثقل الثقافي الألماني له امتداد حتى في الولايات المتحدة .

التاريخ الألماني حافل بالإنجازات والإخفاقات على حد سواء ، ولم نكن نحن العرب بعيدين عن تأثير نجاح الألمان على مسرح السياسة الدولية ، وعن انحسارهم عنها ، فقد أصابنا الكثير من نتاج ذلك الصعود والانحسار ، والخطوة الألمانية الجديدة ستؤثر فينا بالتأكيد ، خاصة في هذا الوقت الذي تتغير فيه التحالفات وخرائط الدول في أوربا .

ولكن عندما نتحدث عن الوحدة الألمانية ماذا نقصد بها ؟

إن كثيراً من الكتابات يشير إلى الوحدة الألمانية على أنها وحدة الألمانيتين

كما نعرفها الآن ، لكن الوحدة الألمانية أكثر غموضاً وتعقيداً من ذلك ، فهل نقصد الوحدة الألمانية بمعنى وحدة (البوند) الألمانية ، وهي وحدة البلديات والدويلات الألمانية لسنة ١٨١٥ ، أو هي وحدة أراضي امبراطورية ١٨٧١ التي دعا إليها وأنجزها السياسي الألماني الداهية بسمارك ، أو الامبراطورية القديمة لشارلمان ذي الصيت الذائع بعلاقاته مع هارون الرشيد ؟

إن الحديث ، باختصار ، عن إعادة توحيد ألمانيا حديث عن برنامج سياسي ، لكنه غير محدد وغير واضح ، وفي خضم (النشوة) التي وجد الألمان جميعاً أنفسهم فيها ولازالوا ، وتعبر عنها نقاشاتهم المستفيضة في المؤسسات الديمقراطية ، والأحزاب ، والصحف ، ووسائل الإعلام في الشطرين الألمانيين . ضاع في وسط هذه النقاشات تحديد المقصود بوحدة ألمانيا .


هتلر


ـعالي

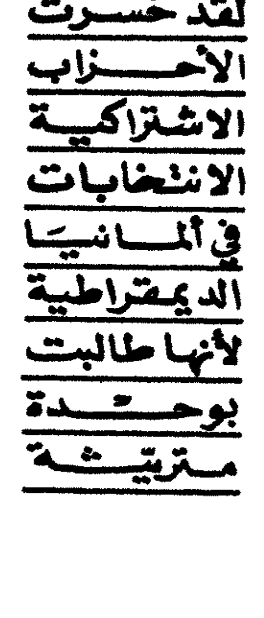
الثابت والمتغير :

لقد توقع الكثير من الألمان أن تكون حالة التقسيم والتنازل عن أراضٍ ألمانية بعد الحرب العالمية الثانية ، حالة دائمة ، وقد قبلوها ، وكيفوا أنفسهم معها ، لكنهم فجأة يجدون أن كل الثوابت التي قبلوها تتغير من جديد ، ويكاد التاريخ أن يعيد نفسه في خطوطه العريضة ، فلم تكن وحدة ألمانيا الأولى سنة ١٨١٥ ممكنة جزئياً إلا بعد هزيمة قوة مؤثرة في أوربا ؛ هي فرنسا ونابليون على الأخص الذي أراد أن يحقق طموحات بإقامة امبراطورية عظيمة ، وها هي المفارقة تعود من جديد ، فلم يكن بالإمكان التفكير بمبدأ اتخاذ خطوات عملية بإعادة توحيد ألمانيا ، لو لم تأخذ إحدى القوى المؤثرة الكبرى في أوربا ، وهي الاتحاد السوفيتي ، توجهاً آخر متسامحاً مع طموحات التوحيد .

لا يستطيع أحد أن يقرأ تاريخ ألمانيا الحديثة ، بجانبيه الديمقراطي والاتحادي « أو بشطريه الشرقي والغربي » ، بعد الحرب العالمية الثانية ، إلا ويلاحظ أن الجهود التي بُذلت باتجاه « الحرية والديمقراطية » في ألمانيا الاتحادية (الغربية) ، والجهود المضادة للفاشية في ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) قد أثرت في الألمان تأثيراً كبيراً في العقود الأربعة الماضية .

ـستطيع ـ أوربا ـى رغبَ ـسبين ليتين ، المسبّب ـن فيها ـنيا

في ألمانيا الغربية كان القانون الأساس ، ومن ثم الدستور ، من بنات أفكار الخبراء القانونيين الأمريكان والبريطانيين ، فقد عُوملت ألمانيا الاتحادية ، بعد الحرب ، كما عوملت اليابان بهذا الخصوص ، وهو نقل أفكار الديمقراطية الغربية ومؤسساتها لاستبعاثها في البيئة الألمانية ، فالنظام التعليمي ، والمواد التعليمية ، والنظام القضائي ، والنظام الاتصالي ـ من



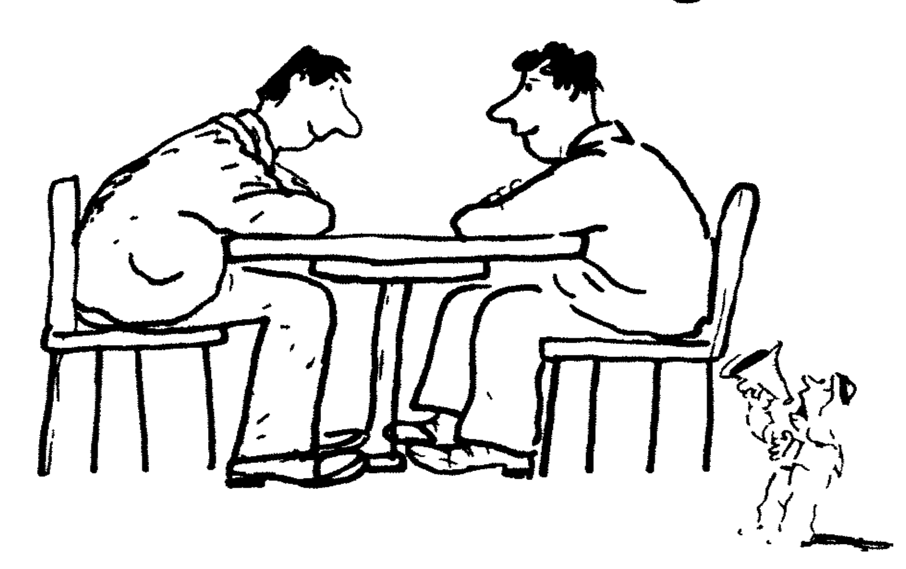
صحافة ، وإذاعة ، وتلفزة - في وقت لاحق ، كلها نظمت على شاكلة المؤسسة الغربية الليبرالية الديمقراطية ، أما اليوم فإن منتسبي القوات المسلحة في ألمانيا الغربية مثلاً مراقبون من قبل أفراد المجلس التشريعي (البوندستاغ) ، وعندهم تعليمات داخلية واضحة محددة بعدم إطاعة الأوامر ، إن كان فيها شبه خروج عن القانون أو الأخلاق العامة ، تحسباً لضبط الروح العسكرية الألمانية .

وكذلك فإن التجمعات النازية الجديدة ممنوعة بقوة القانون ، كما أن الشعارات المضادة للسامية ممنوعة . وفي ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) قد وضع السوفييت نظاما تعليميا قائماً أساساً على دحر أفكار التمييز العنصري والعرقية الذميمة .

ويشعر الألمان بالإحراج من كثرة ما كرر عليهم اللوم لأسباب الحروب في هذا القرن في أوربا والعالم ، وأنهم موصومون بشيء ما ، يشبه (اللعنة الأبدية) ، وكانوا إلى فترة متأخرة مقتنعين بأن إحدى الضرائب الدائمة التي يجب أن يدفعوها هي تشطير الأرض الألمانية .

ولا يستطيع أحد في المقابل - خاصة في أوربا - أن ينسى رعب حربين عالميتين في هذا القرن ، كان المسبب الرئيس فيهما ألمانيا ، سواء أكان رعباً حقيقياً لدى بعضهم أم متخيلاً فهو حقيقة يستطيع الألمان أن يقاوموها ، ولكن لا يستطيعون تجاهلها ، وهم يجتهدون للتفكير في المستقبل ، في حين أن جيرانهم يريدون أن يجبروهم على التفكير الدائم في الماضي أيضاً .

الألمان يناقشون هذا الأمر على أن السلوك القومي والشخصية القومية تتغير مع الزمن من خلال مدخلات جديدة ، فصحيح أن الألمان قد سببوا حربين عالميتين ، خلال هذا القرن كان الفاصل بينهما فقط عقدان من الزمان ، لكن الصحيح أيضاً أن أوربا ، في النصف الأول من القرن التاسع



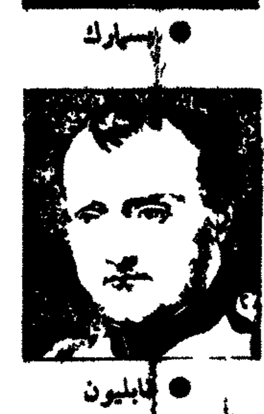
عشر ، قد اصطخبت تحت سنابك خيول العسكرية الفرسية ، تهرم قادة ، وتحتل دولاً ، وتتصل إلى مناطق بعيدة ، منها القاهرة وموسكو .

فالشخصية القومية إذن ليست ثابتة نهائية في كل الأوقات والعصور ، فإن كانت الشخصية القومية الفرنسية مثلاً عدوانية في وقت ما ، فهي ضحية في أوقات أخرى . وهكذا يمكن أن تكون الشخصية القومية الألمانية .

وَحـــدة أو الحـــاق ؟



بسمارك



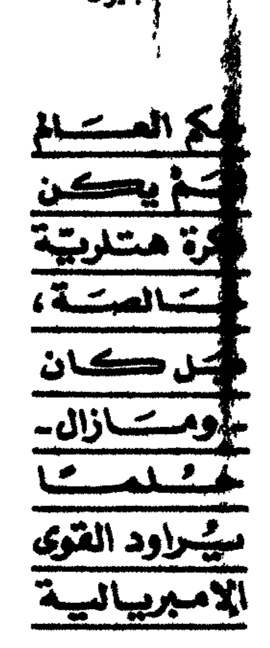
نابليون

« بارك الله أرصنا الألمانية » . شعار قديم أطلقه بسمارك ، يعود من جديد ، ويقوله هذه المرة هلموت كول ، بكلمات جديدة ، فهو يقول . « إننا نأخذ خوف جيراننا بجدية ، لكننا نطالبهم أن يأخذوا رغبة شعبنا في التوحد بجدية أيضاً » .

واحد وستون مليوناً من الألمان « الغربيين » ، يضاف إليهم سبعة عشر مليوناً آخر من الألمان « الشرقيين » ، يصبح بهم عدد سكان ألمانيا الموحدة ثمانية وسبعين مليون نسمة ، واتجاه التوحد في الغالب هو إلى ضم الديمقراطية إلى الاتحادية ، نسبة إلى المادة ٢٣ من الدستور الألماني الإتحادي الذي يُهَيَّأ شبيه له اليوم في ألمانيا الديمقراطية ، وهو الذي يُعنى عندما تُذكر الوحدة الألمانية . وتعني هذه الوحدة أيضاً تصفية ألمانيا الدمقراطية ، وقد كان ذلك هو الهدف الرئيس لسياسات الحرب الباردة الطويلة الأمد منذ إنشاء ألمانيا الديمقراطية سنة ١٩٤٩ ، لكن لماذا أنشئت ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) ؟ لقد أنشئت رد فعل لإنشاء ألمانيا الاتحادية (الغربية) سنة ١٩٤٨ .

لقد أنشئت ألمانيا الديمقراطية نتيجة لسببين بعد الحرب :

السبب الأول : تفتت التحالف المضاد لهتلر الذي لم يستطع أن يثبت نفسه على الساحة السياسية الألمانية ، في ضوء نتائج الحرب العالمية الثانية المدمرة .



السبب الثاني : تصاعد الخلاف بين الحلفاء ، الدول الثلاث الغربية · الولايات المتحدة ، وانجلترا ، وإلى حد أقل فرنسا من جهة ، وبين الاتحاد السوفيتي من جهة أخرى .

الحرب الباردة وتصاعد المخاوف من الشيوعية دفعت الحلفاء الغربيين الثلاثة إلى تبني سياسة « الاحتواء » التي قادت بدورها إلى تعاون الحلفاء الغربيين ، مع غالبية الإدارة الألمانية السابقة ، وعلى الأخص المحامين والقانونيين والإدارة الوسطى المدنية التي خلفها هتلر . حتى محاكمات نورنبرغ



سرعان ما أخذت جانبا آخر ثانويا ، بدلا من تقديم كل المتسببين في الحرب من الألمان إلى هذه المحكمة ، فقد اكتفي ببعض العناصر الرئيسة ، بل إن علماء نازيين هُرِّبوا إلى الولايات المتحدة ، وبلاد أخرى ، للاستفادة من معلوماتهم وعلمهم لملاقات الخطر الجديد من الشرق .

ومن جهة أخرى كان لسياسة ستالين ، المعتمدة على القوة ، ومن ثم على تشكيل « المعسكر الشرقي » تأثير في إنشاء ألمانيا الديمقراطية وتطورها إلى ما تطورت إليه الأمور بعد ذلك .

وفي تاريخ ألمانيا الحديث ـ كما هو حال تاريخ كثير من الدول والشعوب ـ تقود الأحداث إلى نتائج يدعي المتسببون فيها أنها جاءت نتيجة تصرفات الطرف الآخر ، فمؤسسو ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) كانوا ضد تقسيم ألمانيا ، بينما يتهم الغرب موسكو بأنها المسئولة عن التقسيم .

الزمن الذي مر بين ١٩٤٥ و ١٩٤٨ ، أي بين وقف الأعمال الحربية وإعلان ألمانيا الاتحادية ، يعرف الآن في التاريخ الألماني الحديث بأنه (الفصل المظلم) ، وهناك أسئلة كثيرة حتى الآن ، غير مجاب عنها بهذا الخصوص .

ما كان معروفاً في هذا الإطار هو « برنامج الانقاذ لأوربا » الذي عرف إعلامياً بخطة مارشال ، وهي المساعدات الأمريكية لأوربا التي كان العمود الفقري لها هو النفط الرخيص المكتشف حديثاً في أقطار عربية . كانت الخطة مصممة لمساعدة أوربا بكاملها ، كل دول أوربا التي تضررت في الحرب ، لكن ستالين منع تطبيق خطة مارشال في أوربا الشرقية ، وقد قدم لذلك الكثير من الأسباب .

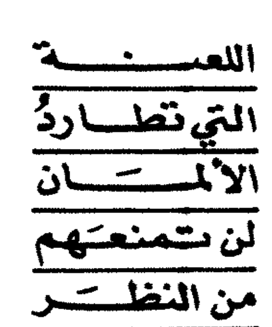
لقد كانت السنين اللاحقة للحرب العالمية الثانية سنين تغير شديد في العلاقات الدولية ، وقد أصبح تفجير القنبلة الدرية ، واحتكار الولايات المتحدة لأسرارها في البداية شبحاً سيطر على مفاوضات مؤتمر بوتسدام الذي كان من المقرر أن يبحث مستقبل أوربا وألمانيا على الأخص . وبدأت منذ ذلك الوقت سلسلة الخوف المتبادل ، ونتائج الخوف هي التي قادت العالم إلى ما عرف بالحرب الباردة التي استمرت حتى الوفاق الأخير في منتصف الثمانينيات ، عندما جاء غورباتشوف بأفكار جديدة ، صاغت علاقات عالمية جديدة ، من نتائجها موضوعنا الذي نتحدث عنه (وحدة ألمانيا) .



● غورباتشوف

وفي ما يختص بألمانيا الاتحادية فإن القانون الأساس كان مصمماً أن يعطي توجهاً جديداً لحياة الدولة في المرحلة الانتقالية ، ويعلن :

(بأن الشعب الألماني بكامله يبقى مطالباً بتحقيق وحدة التراب الألماني ، والحرية وحق تقرير المصير) .



وبهذا التوجه في ألمانيا الاتحادية (الغربية) ظلت الوحدة الألمانية مطلباً دائماً متجدداً ، لذلك عندما سنحت الفرصة للألمان الشرقيين لانتخابات حرة ، بعد سقوط جدار برلين الذي مثل إحدى قمم الصراع في الحرب الباردة ، والتغير في السياسات لدى موسكو ، فازت أحزاب التحالف من أجل ألمانيا ، في ما سمته الصحافة العالمية (ربيع ألمانيا) ، وحصل هذا التحالف على أغلبية (١٩٣) مقعداً من ٤٠٠ مقعد في غرفة الشعب الجديدة ، وقد كان هذا الاكتساح الشعبي ناتجاً عن تحالف هذه الأحزاب للمطالبة بوحدة ألمانية فورية ، وقد تميزت عملية التصويت بمشاركة مرتفعة (٩٣,٢٢٪) من المواطنين ، وخسرت الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، لا لشيء إلا لأنها طالبت في برامجها بوحدة متريثة ، وبدت الوحدة الألمانية أقرب منالاً من خلال رأي عام ضاغط ، ومفاوضات الألمانيتين مع دول التحالف (أمريكا ، فرنسا ، بريطانيا ، السوفييت) أو ما يعرف بـ (٢ + ٤) التي بدأت بالفعل .

الخوف من ألمانيا :

الخوف السياسي من ألمانيا عظمى غير منضبطة له جذوره التاريخية ، وهي جذور مرتبطة بتاريخ ألمانيا القومي ، وذاك الشعور القومي الجارف الذي إن اختفى فما يلبث أن يظهر لدى الألمان .

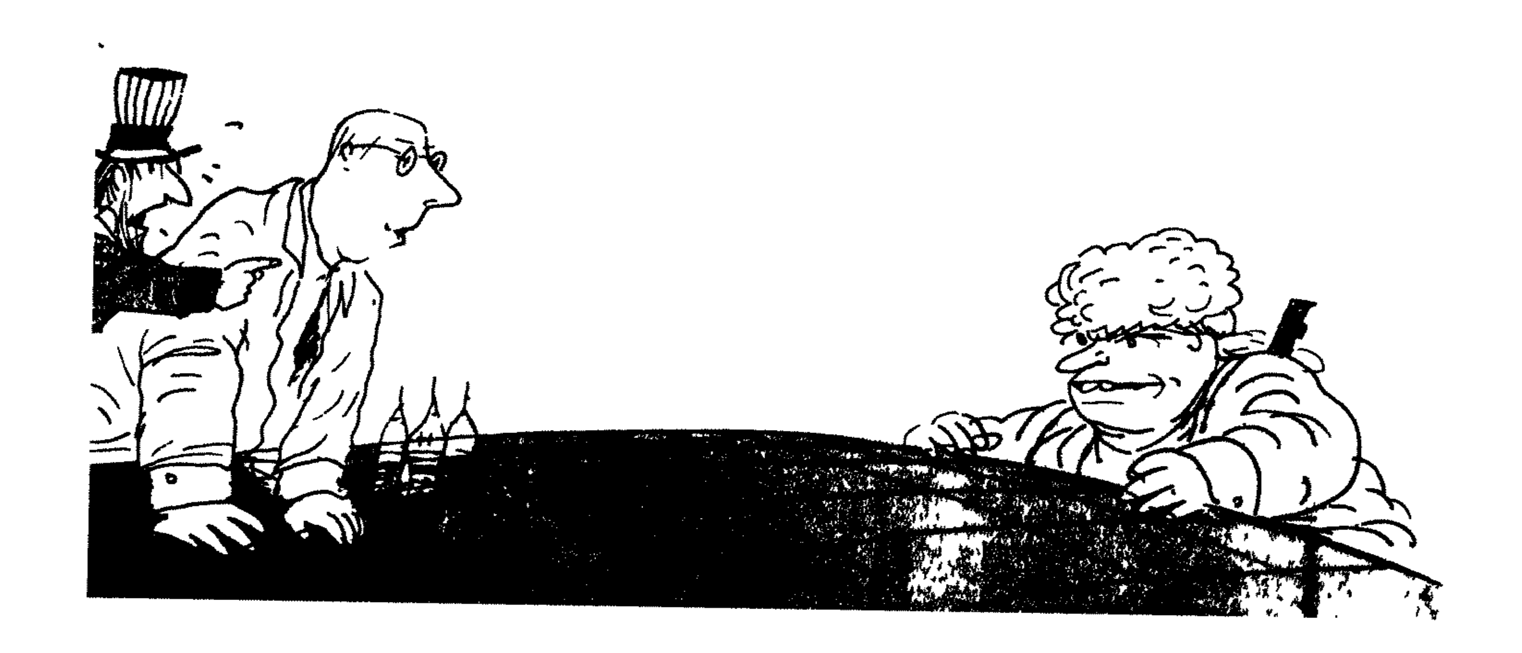
تاريخ الشعور القومي الألماني يمتد إلى أيام حرب التحرير ضد نابليون في أوربا في السنين الأولى من القرن التاسع عشر ، ومن جهة أخرى فإن المنظرين

في غمرة النشوة التي يعيش فيها الألمان ضاع تحديد المقصود بوحدة ألمانيا

الألمان ، قبل ذلك ، كانوا مبهورين بالفكرة القومية ، فقد كانوا قوميين رومانسيين ، مثل بعض دعاة القومية العربية في بداية هذا القرن ، يؤكدون على أن وحدة ألمانيا هي الوحدة القومية المضادة للتفرق في دويلات صغيرة والمضادة للضعف والعجز . ومن جانب آخر كان نابليون هو الذي وضع حداً لفكرة « الامبراطورية الألمانية المقدسة » في سنة ١٨٠٦ . لقد طور المفكرون والسياسيون الألمان ، عشية هزيمة نابليون ، فكرة الكلترنيشن (Kulturnation) الثقافة القومية . وواحدة من نتائج هذا التطور الفكري هي الرومانسية الألمانية ، وكانت في البداية تياراً ثقافياً ، ثم تحول إلى تيار سياسي .

الثورة الفرنسية جلبت البرجوازية الجديدة النامية إلى السلطة السياسية في فرنسا ، أما في ألمانيا فقد كان للبرجوازية الليبرالية الألمانية ممثلوها في حركة (فورمارز) VORMARZ ، بين ١٨١٥ و ١٨٤٨ ، وكان من شواهد ذلك العصر احتفال همبخ (Hambach) لسنة ١٨٣٢ الذي أصبح رمزاً للوحدة والحرية ضد النظام القديم (البوند الألماني) (اتحاد الدويلات لسنة ١٨١٥) . خلال احتفالات « همبخ » لوح بالعلم المكون من الأسود والأحمر والذهبي لأول مرة ، وبناء على هذا التقليد اختارت الألمانيتان بعد الحرب الثانية علميهما الوطنيين .

في مارس ١٨٤٨ حدثت ثورة في برلين وفينا أجبرت النظام القديم - الامبراطورية النمساوية الهنغارية ومملكة بروسيا - على تقديم تنازلات مؤقتة ، على إثرها أعلنت جمهوريات عديدة في النواحي الألمانية ، إلا أن السلطة الملكية قمعت هذه الانتفاضات .



وفي ١٨٧١ أقيمت امبراطورية موحدة ، وكان مهندسها مستشار مملكة بروسيا ، (أتـو فون بسمـارك) ، وكان يمثـل النظام القـديم ، وامتيازات النبلاء ، خاصة مالكي الأرض . تغليب مصالح بروسيا كان أحد أهـدافه الرئيسة في السياسة الداخلية . فقد عرف بسمارك بـ (الريل بولتك) سياسة الأمر الواقع ، ولم يكن من مؤيدي امبراطورية ألمانيـة كبرى . في السيـاسة الخارجية كان من أهدافه تحالف بروسيا وروسيـا القيصريـة (محور بـرلين/ بترسبورغ) ، فقد كان هـدفه الاستقـرار والمحافـظة ، لكنه طـرد من قبل الامبراطور وليم الثاني ومستشاريه ، (ولقد أنتج فلم سينمائي رائع حول هذه القصة) ، لكن سياسة الأمر الواقع كانت لها تأثيرات عديدة في تاريخ ألمانيا اللاحق .

كان من نتائجها المهمة إنشاء واحد من أفضل نظم التأمين الاجتماعي (النظام الاجتماعي) الذي هو جزء من فكرة دولة الرعاية التي نشهدها اليوم في بعض الأقطار .

الفترة من ١٨٧١ ـ ١٩١٤ في ألمانيا تميزت بانتعاش العسكرية الألمانية ، وانتشار التصنيع ، وشهدت جهوداً حثيثة ، كي تصبح ألمانيا واحدة من القوى القائدة في العالم . سياسة الامبراطورية الألمانية ـ بما فيها من تأمين اجتماعي ، يحتاج إلى تمويل ـ قادت إلى الحرب العالمية الأولى ، والحرب العالمية الثانية ، وحكم العالم لم يكن فكرة هتلر وحده ، فالقوى الامبريالية في ذلك الوقت لما تكن لها امكانيات هتلر بعد ، ولكن كانت لها رغباته .

أفكار القوميين الألمان هي التربة التي نمت فيها جذور النازية

الحرب العالمية الأولى كانت لها نتيجتان : مؤتمر فرساي المشهور سنة ١٩١٩ ، ومعاهدة السلام في ١٩١٨ في مدينة برست لتويك Brest Litowsk السوفيتية . فرساي معروفة تاريخياً ، لكن برست لتويك كان معناها خسارة أراض سوفيتية لألمانيا ، الأمر الذي أدى إلى حرب أهلية في الاتحاد السوفيتي ، الدولة الجديدة الناشئة في ذلك الوقت ، وبعد سنة أوقف العمل بهذه





لماذا تخاف أوروبا وبعض دول العالم من توحيد ألمانيا من جديد ؟

المعاهدة . وفي سنة ١٩٢١ وقعت معاهدة (رابولا) بين الألمان والسوفييت نتج عنها التوقف عن المطالبة بأراضي الغير من الجانبين .

لقد كانت أفكار القوميين الألمان التي حددت فكرة الامبراطورية الألمانية ، من أجل الحصول على اعتراف تاريخي بالأمة الألمانية الموحدة . هذه الفكرة قدمت « امبراطورية ألمانيا المقدسة للشعب الألماني » ، على أنها أول امبراطورية ألمانية ، وامبراطورية بسمارك على أنها ثاني امبراطورية ألمانية ، وحكم الحزب القومي الاشتراكي الديمقراطي ، حرب هتلر ، على أنها الامبراطورية الثالثة ، لذلك سميت تاريخياً (الرايخ الثالث) .

كانت أهداف هتلر توسيع الامبراطورية الألمانية (الرايخ الثالث) إلى الشرق ، وتحطيم الاتحاد السوفيتي كله ، وإعادة تشكيل القرة الاستعمارية الألمانية ، وبالتالي احتلال العالم ، وتكوين (الوتيريش) (Weikreich) الامبراطورية العالمية . وبرنامجه كان متمحورا حول نظرية العنصرية العرقية التي كانت لها جذورها مع علم الأجناس في ذلك الوقت ، ونظرية داروين التي كانت تقول : البقاء للأصلح . كان يتخيل تفوق الجنس الآري ، وكان يمكن أن تستخدم ضد العرب لو نجح ـ لا قدر الله ـ وانتصر في الحرب .

ونتيجة للحرب العالمية الثانية دخلت ألمانيا تحت إشراف القوات المنتصرة الأربع التي هزمت ألمانيا تحت مظلة التحالف المضاد لهتلر

تقاسم الأرض الألمانية ، والاحتلال العسكري لألمانيا ، وضعت بذورهما أولاً في مؤتمر يالطا ١٩٤٣ ، وأعطيت بولندا تعويضا لها ، بصفتها أول دولة هاجمها هتلر ، المناطق الواقعة شرق خط (أودر ـ نيس) ، والأراضي السابقة لشرق بروسيا تقاسمتها بولندا والاتحاد السوفيتي الذي قاسى من سياسة الأرض المحروقة للجيش الألماني إبان الحرب .

حدود (أودر ـ نيس) هي الحدود الدولية الجديدة الناتجة عن الحرب العالمية الثانية ، ولقد تردد هلموت كول في الأشهر الأخيرة في الاعتراف بهذه الحدود في حالة توحد ألمانيا ، لكنه بعد ضغوط غربية وشرقية أقر بالالتزام بهذه الحدود ، وبإضافة بولندا لمفاوضات (٢ + ٤) لتغطية هذا الأمر .

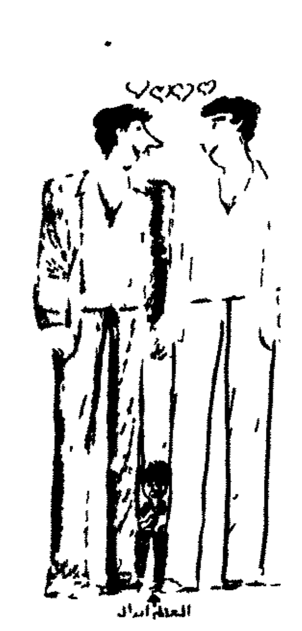
لماذا تعنينا المسألة الألمانية ؟

المتخوفون من وحدة ألمانيا يتحدثون عن إمكانية ظهور (الرايخ الرابع) ؛ الامبراطورية الرابعة ، و « اسرائيل » تتخذ أكثر المواقف جذرية ضد هذه الوحدة ، كي تحقق أكثر من هدف : أولها أن تصرف الأنظار عما

"إسرائيل" تتخذ أكثر المواقف معارضة للوحدة الألمانية لتحقيق أكثر من هدف

تقوم به من نازية جديدة ضد أهلنا في الأراضي المحتلة ، وثانيها كي تقوم بابتزاز الألمان بإعادة تذكيرهم بما ارتكبه آباؤهم النازيون ضد اليهود من جرائم . ويقوم السياسيون ، وكذلك الإعلام « الاسرائيلي » بتصعيد هذه الحملة ، فتقول جريدة معاريف « الاسرائيلية » : إن الوحدة الألمانية يجب أن لا تناقش إلا بعد مائتي عام ، وبعد عشرة أجيال من الألمان ، عندما يثبتون بحق بأن ألمانيا جديدة قد تم ظهورها . ومن جهة أخرى سينصرف التفكير الغربي في المسألة الألمانية بعيداً عن القضايا الملحة في العالم الثالث ، فهناك دولة جديدة قوية ، بكل ما تعني الكلمة ، تتشكل على الساحة الدولية ولها مشكلاتها مع الآخرين ، ولها طموحاتها أيضاً .

ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن ألمانيا الموحدة سوف تتوجه إلى أوربا الشرقية التي بدأت تأخذ مساراً جديداً ، في إطار استراتيجية غربية متكاملة ، تدعو إلى ترك أعباء العالم الثالث ليتحملها وحده ، فكثير من سكان أوربا الشرقية الجديدة يتكلمون الألمانية ، ويعشقون التراث والثقافة الألمانيتين ، ولأنهم قد نجحوا في السابق بتأسيس نظام تعليمي معقول فقد أصبحت هذه الشعوب جاهزة من حيث قوة العمل ، وتحتاج إلى المال فقط كي تقوم بالإنتاج الذي يتطلبه الغرب ، ومن هذا التوجه فإن إهمال شؤون العالم الثالث ، بمرضه وتخلفه ، وحتى بمواده الخام ، أصبح ممكناً من جانب أوربا التي تتشكل في ثوب جديد .



لذلك فإن هناك استراتيجية عربية مفقودة تجاه المسألة الألمانية ، علينا التفكير بها منذ الآن ، وتعتمد في تقديري على توجهين :

الأول : تقليل المخاطر ، خاصة مخاطر العلاقة الجديدة بين ألمانيا الموحدة و« اسرائيل » التي تسعى للابتزاز والتحكم في سياسات ألمانيا الجديدة .

والثاني : الاستفادة سياسياً واقتصادياً من هذا الكيان الموحد ، فنحن العرب أيضاً ضحايا بشكل ما ، لاشتداد جنوح القومية الألمانية بطريقة غير مباشرة ، عندما فرض علينا المنتصرون كياناً جديداً ، أدخلوه عنوة في وطننا ، وهو « اسرائيل » وهو من نتاج التعسف القومي الألماني .

إن الكل مشغول بالمسألة الألمانية ، والمطلوب إيجاد تصور لاستراتيجية عربية تجاه هذا العملاق الذي يبرز لنا من وسط أوربا . □

محمد الرميحي



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

مهمة تختلف عن جميع المهمات

بقلم : أحمد السقاف

الحياة شريط سينمائي ، فيه مشاهد لا تقوى على الثبات في الذاكرة ، ومشاهد لا تزول بسهولة ، فهي ثابتة بما تركت في النفس من تأثير !

ولقد اخترت من شريط حياتي المفعمة بالكثير الكثير من القصص والحكايات والذكريات قصة سفر قمت به إلى صنعاء في شهر شباط (فبراير) عام ١٩٦٧ ، لتذليل عقبة كأداء ، اعترضت سير أعمال مكتب دولة الكويت المسئول عن الإشراف على بناء المدارس والمستشفيات المقدمة من الكويت إلى اليمن الشقيق ، وكانت تلك المشكلة التي حتمت علي السفر في غير موسم الزيارات المعتادة معقدة جداً ، لا يستطيع أن يبت فيها غير قائد الثورة عبد الله السلال رئيس الجمهورية ، والرجل مشغول بتمرد بعض القبائل الموالية كذباً للنظام القديم ، وتمرد بعض القبائل لا يُزعج الجمهورية الوليدة فحسب ، وإنما يُزعج أيضاً القوات المصرية التي هبت لنجدة النظام الجمهوري ، فكم عانت تلك القوات في تنقلاتها من مفاجآت لا تخطر على بال . وقد كان السفر إلى الجمهورية العربية اليمنية شاقاً بكل ما تحمل لفظة المشقة من معنى ، فالبلاد في ذلك



● رئيس الجمهورية العربية اليمنية الأسبق المشير عبدالله السلال مع أحمد السقاف في مقر الحكومة بالحديدة فبراير ١٩٦٧م

الوقت لا تتصل بالخارج إلا عن طريق أسمرة ، عاصمة اريتريا ، ووسيلة الاتصال طائرتان صغيرتان قديمتان ، إحداهما يمنية والأخرى حبشية ، لكل واحدة منها رحلتان في الأسبوع . أما النقل الجوي بين القاهرة وصنعاء فهو مقصور على الأغراض العسكرية فقط ، لذلك حين غادرت الكويت في طريقي إلى صنعاء نزلت القاهرة ، وبعد معاناة حصلت على مقعد في الطائرة الحبشية المتجهة نحو أسمرة فأديس أبابا ، غير أني بقيت في أسمرة ثلاثة أيام في انتظار الحصول على مقعد إلى تعز ، فقد احتشد الناس أمام مكتب الحبشية بسبب إلغاء الطائرة اليمنية رحلاتها مدة أسبوعين ، وفي الثامنة من صباح يوم المغادرة كنت فى المطار متشوقاً الى الإنطلاق نحو تعز ، العاصمة الثانية للجمهورية العربية اليمنية ، وكانت أولى المفاجآت مرور الوقت ، ساعة بعد ساعة ، والمسئولون عن الرحلة يؤكدون للركاب أن الطائرة سليمة ، على الرغم من الخلل المفاجيء ، وأن إصلاحها لا يستغرق أكثر من ساعة . وفي الثالثة بعد الظهر دعينا للصعود ، وفرحنا بقول قائد الطائرة : شدوا الأحزمة ، واتركوا التدخين . وترنحت الطائرة ذات الثمانية عشر راكباً في مدرج المطار ، ثم عادت إلى مكانها السابق ، وطلبوا منا النزول ليصلحوا خللاً جديدا قد طرأ .

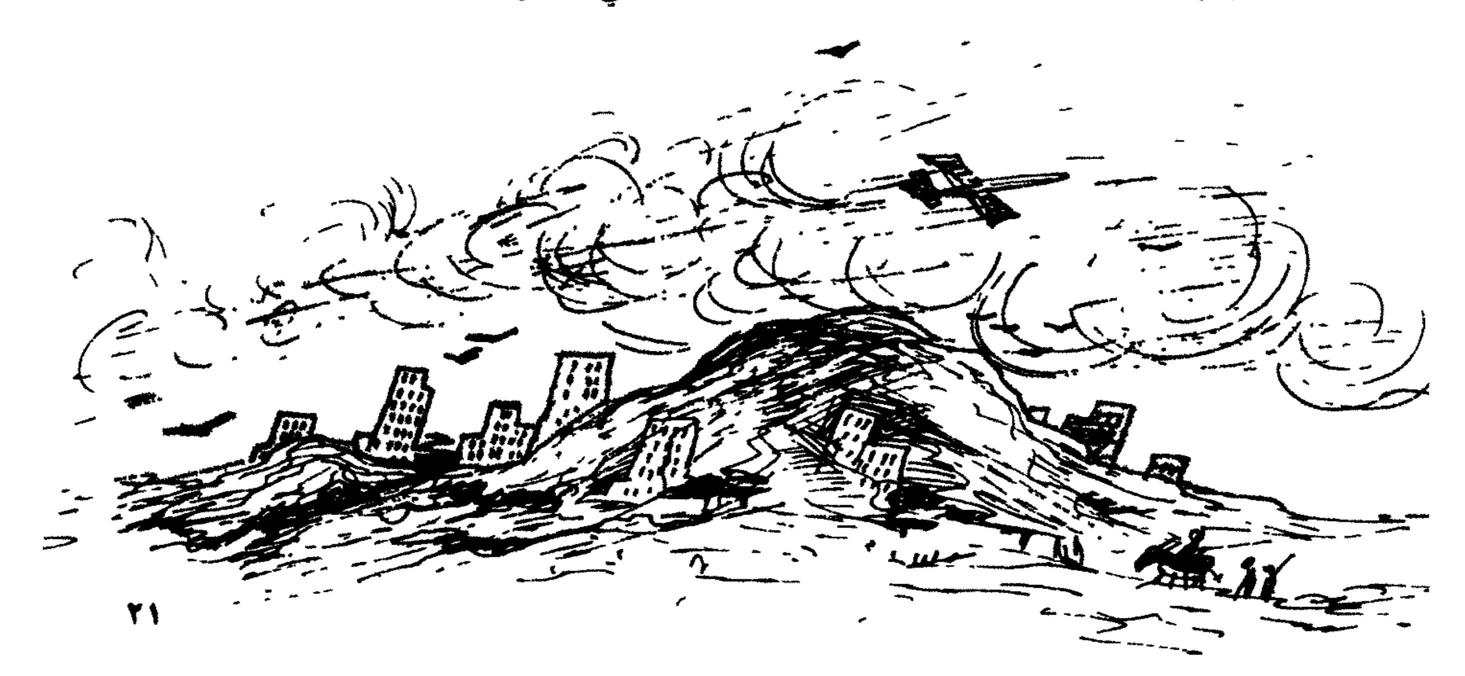
ريشة في مهب الريح

في الرابعة والنصف دعينا إليها ونحن في أشد القلق والخوف ، وركضت بنا في المدرج ، وحلقت فوق الجبال كريشة في الهواء العاصف .

وتذكرت بعد أن صرت بين السماء والأرض أن تحليق الطائرات الصغيرة ممنوع فوق جبال اليمن بعد الساعة الثالثة بعد الظهر ، لكثرة الفراغات الهوائية فوق هذه الجبال ، فقد سبق لي أن قصدت اليمن في مهمات سابقة من هذا الطريق ، وما كدنا نجتاز البحر الأحمر ونرتفع فوق جبال محافظة تعز حتى أخذت الطائرة تعلو وتهبط ، وتروح ذات اليمين وذات الشمال ، والركاب منهمكون في الدعاء . وبعد جهد جهيد لمحنا مدينة تعز قابعة في حضن جبل صبر ـ بفتح الأول وكسر الثاني ـ وتوارى المطار الصغير عن الأنظار ، وقلنا لأنفسنا لعل حللا طرأ على عجلات الطائرة فلم تهبط ، وكانت الساعة قد قاربت السابعة والنصف مساء ، ولما صرنا فوق أعلى ارتفاع لجبل صَبِر الشاهق هوت الطائرة فجأة ، وكادت تلامس قمة الجبل ، فصرخ من صرخ ، وابتهل إلى الله من ابتهل ، وتساقطت الأمتعة الموضوعة على رفي الطائرة فوق رؤوس الركاب ، وفجأة أيضاً سيطر الطيار الحبشي الماهر على الطائرة ، وارتفع بها ، ثم انحرف بسرعة نحو المطار الصغير الذي يقع على قمة جبل على جانبيه منحدران رهيبان ، كأنه عش نسر على جذع شجرة ، ونزل ونحن غير مصدقين ما حدث !

لابد من صنعاء

وقد تملكني الذهول ، فلم أستطع الكلام ، فقد كنت واجماً أفكر في أحداث ذلك اليوم التاعس ، وركبت سيارة المكتب التي قدمت من صنعاء ، ونزلت فندقاً صغيراً لا يوجد سواه في ذلك الوقت ، فالسفر إلى صنعاء لا يكون إلا في النهار ، فالطريق ترابي وعر غير مبلط ، يمر بجبال مخيفة ، تجتازه السيارات العسكرية بسرعة مجنونة ، وقد أسعفتني العلوم الدينية والعربية التي درستها بعمق في سن مبكرة قبل الدراسة النظامية ، كإسعافها إياي في كل شدة ، فاعتمدت على الخالق العظيم مسلماً له زمام أمري ، مردداً قوله تعالى : « **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون** » . وعز على عيني النوم الليل كله ، على الرغم من حاجتي الشديدة إليه ، وفي الصباح غادرت الفندق ولسان حالي يقول : لا بد من صنعا وإن طال السفر . وتقطع السيارة المسافة بين تعز وصنعاء في ست ساعات ، وبعد ساعة بلغنا نقيل سمارة ، وهو جبل ميف مخيف ، فأخذت السيارة ترتفع فيه رويدا رويدا ، فالغبار يحجب الرؤية عند مرور السيارات ، وقد ضايقني سيرنا خلف إحدى السيارات

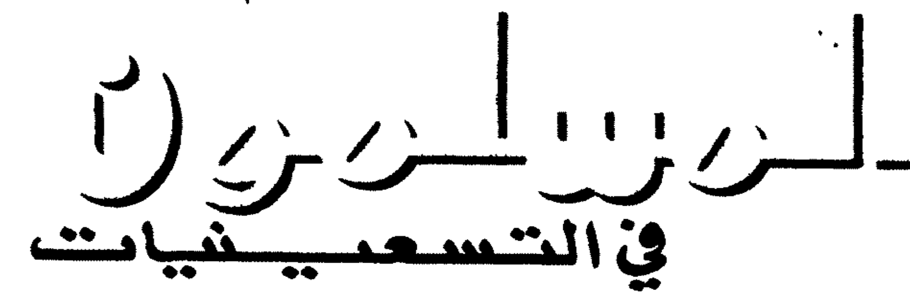


العسكرية ، فألححت على السائق بأن يجتازها فأبى لضيق الطريق ، وبعد بضع دقائق وجد السائق زاوية صغيرة في أعلى الجبل ، فأوقف السيارة لتبرد ويضيف ماء إلى ما فيها من ماء ،

واستأنفنا السير ، فإذا بالسيارة العسكرية قد تهشم نصفها الأمامي وتطاير واستشهد السائق وجرح بعض من كانوا على ظهر تلك السيارة الضخمة ، فوقفنا مذعورين ، فهذا المصير المحزن كان في انتظارنا لو أن السائق قد أطاع الأمر واجتاز هذه السيارة حين طلبت منه أن نجتازها ، فالألغام لعبة أعداء الجمهورية !

وملأ صدري الضيق ، ووصلت صنعاء بعد الظهر متشككاً في نجاح المهمة ، وسألت عن الرئيس السلال ، فعلمت أنه في الحديدة على البحر الأحمر ، والمسافة تحتاج إلى ست ساعات ، فضربت كفاً بكف ، وتضاعفت الأحزان ، ولم أجد بداً من أن أنطلق إليه بعد استراحة قصيرة . وفي السابعة والنصف من مساء ذلك اليوم المزعج كنت أضع الحقيبة في فندق الأخوة في الحديدة ، واتصلت بالقصر ، وجاءني الرد بأن السلال في انتظاري ، ودخلت قصر الإمام أحمد ، فوجدت السلال في باحة القصر أمام نافورة صغيرة ، فاستقبلني كما يستقبل أصدقاءه المقربين ، ولم تأخذ المشكلة على ما فيها من تعقيد أكثر من ساعة ، واتصل أمامي ببعض الوزراء هاتفياً ، وطلب منهم تنفيذ ما أراه مهما لسير أعمال المكتب ، وحملني تحياته للمسئولين ، وخرجت وفرحي قد أزال عني جميع المتاعب الجسدية والنفسية ، وما أجمل النجاح بعد المتاعب والكفاح !

وعدت إلى صنعاء في اليوم التالي ، ورتبت أمور المكتب ، واتصلت بقائد القوات المصرية - وأنا لا أعرفه - ورجوت منه أن يوعز في أن يكون لي مقعد في الطائرة العسكرية التي من عادتها الإقلاع إلى القاهرة صباح كل يوم ، فوافق مشكوراً ، وعدت مع ركاب كلهم من كبار الضباط . وفي مطار القاهرة استطعت أن أتدبر الأمر فعدت بالكويتية إلى الكويت . □



بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

إذا كانت مواجهة الذات بأوجه قصورها في الإدراك والسلوك مطلوبة على مستوى الفرد ، فإنها ضرورة واجبة على مستوى الأمة . لذلك فإن الكاتب وهو يمد البصر في قلب اللحظة التي نعيشها ، والمزدحمة بالتغييرات والاحتمالات على مستوى العالم ، ليرى معالم مستقبل المسلمين خلال القرن الجديد ، سيخرج بأسئلة واحتمالات تفرض علينا جميعاً أن نواجه أنفسنا وإلا تاهت منا الرؤى والخطوات ، ولفنا النسيان،فهل نستجيب . . ؟!

استقبل الناس جميعا مطلع العقد الأخير من هذا القرن العشرين ، وهم يتساءلون في حيرة وإشفاق عن صورة المستقبل الذي ينتظرهم خلال سنوات عشرٍ ، يصفها المؤرخون والمحللون بأنها مدخلُ القرن الحادي والعشرين ، بكل ما سوف يحمله ذلك القرن القادم من مفاجآت وتغيرات وانعطافات ، في مسيرة الانسانية كلها .

ومبعث الحيرة أن العام الذي سجل نهاية الثمانينيات قد حمل معه من المفاجآت مازلزل كثيراً من الصور التي استقرت لدى الباحثين حول النظام العالمي القائم ، ومساراته المتوقعة ، على الأصعدة الفكرية والسياسية والاقتصادية .

صورة جديدة للعالم

إن الاستقطاب الحاد الذي ساد العلاقات الدولية بين معسكر يعتنق الليبرالية السياسية والاقتصادية ، وتقوده الولايات المتحدة الأمريكية ، ومعسكر يعتنق الماركسية اللينينية ، ويضم أنظمة سياسية واقتصادية على أساس تفسيرات تلك الفلسفة .

هذا الاستقطاب الذي ألفناه على امتداد نصف قرن حتى صار جزءاً من « ثوابت » التصور السياسي والاجتماعي : قد اهتز اهتزازاً هائلا ، فانحسر الستار الحديدي عن « الكتلة الشرقية » كلها ، كاشفاً عن أزمات كبيرة في الفكر ، وعثرات هائلة في التطبيق والتنظيم ، وانحرافات بالغة في الممارسة الحزبية

والسياسية ، وعن فشل متفاوت الدرجات في تحقيق التنمية ، وتوفير المشاركة ، وحماية الحرية . وأدى ذلك إلى انتكاسة كبرى في محاولة تلك الكتلة أن تقود تياراً عالمياً مواجهاً للتيار الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية . وصاحب ذلك الانحسار أو الانكسار تقارب جديد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، واعلانات متبادلة بينهما عن مجالات جديدة للتعاون تبدأ من نزع السلاح ، ووقف التهديد بالحروب ، وتنتهي بالتعاون الايجابي في مواجهة الأخطار الجديدة التي تتمثل في نقص الموارد المائية والغذائية ، وتعرُّض البيئة للتلوث الذي يهدد حياة الانسان .

وكان للزلزال وقعه الخاص في أوربا . فبسقوط حائط برلين سقط التقسيم التقليدي لأوربا إلى شرقية وغربية ، وزال المبرر الأكبر لتقسيم ألمانيا ، كما وضعت علامة استفهام كبيرة على الحدود التي تم رسمها للوحدة الأوربية ، باعتبارها وحدة أوربا الغربية وحدها . وعلى المستوى الفكري والأيديولوجي وجهت ضربات قاتلة لنظام الحزب الواحد ، وللتخطيط الاقتصادي المركزي الصارم ، ولفكرة العزلة السياسية والاقتصادية وراء أستار حديدية ، ولسياسة التضحية بالحريات السياسية من أجل ما سمي بالحريات الاقتصادية والاجتماعية .

وقبل عام المفاجآت هذا ، كان العقد الثامن كله يطرح على العالم سؤالاً كبيراً عن مستقبل العلاقة بين الدول الغنية المتقدمة ، والدول الفقيرة النامية أو غير النامية . وكان أكثر الباحثين السياسيين والاقتصاديين يميل إلى الاعتقاد بأن الفجوة بين العالمين تتجه إلى الاتساع ، وأن فرص الدول الفقيرة للحاق بالدول الغنية تقل ولا تزيد ، وأن الشعوب التي لا تملك التقنيات المتقدمة والمتطورة بمعدلات متسارعة ، لن تكون أمامها فرصة حقيقية معقولة للنمو والتقدم . ولذلك كانت شعوب العالم الثالث على اختلاف عقائدها وقومياتها ونظمها تستعد لاستقبال القرن القادم ، وهي مشفقة أشد الاشفاق على نفسها ، تسيطر عليها مشاعر الحزن والتشاؤم وتراجع الأمل .

أين المسلمون . . ؟

والمسلمون ـ وليت كثيراً ممن يحملون ألوية قيادتهم الفكرية والسياسية يدركون ذلك ـ ليسوا أبدا ، ولا يمكن أن يكونوا منعزلين عن هذا الذي يزلزل الدنيا من حولهم . ومهما تحدث المتحدثون عن تميز المسلمين بإسلامهم ، وعن تفردهم بحضارة غير الحضارة الغربية السائدة ، وغير الحضارة « الماركسية اللينينية » التي ينحسر الآن



ظلها ، ومهما صور لهم خيالهم أنهم « ناجون » من آثار هذا الزلزال ، فإن الحقائق الكونية والتاريخية الكبرى لا تعبأ بأوهام الواهمين ، ولا تتوقف عندها ، ولا يعفي الله سبحانه أحداً من نواميسها الثابتة : ﴿ **ليس بأمانيكمْ ولا أمانيِّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجز به** ﴾ النساء ١٢٣ ﴿ **فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾ فاطر ٤٣ . ومعنى هذا في وضوح شديد أن على المسلمين أن يتوقفوا عن الكلام الكثير والصياح الكثير ، وأن يتساءل مفكروهم وقادتهم على اختلاف مواقعهم الرسمية والشعبية عن مستقبل « المسلمين » كأمة ذات حضارة متميزة ، وثقافة لها خصوصيتها ، وكمجموعة من الشعوب لها مصالحها السياسية والاقتصادية ، وسط عالم جديد بنظامه العام وبكثير من عناصره ومكوناته .

وإذا كان الانتقال من عقد إلى عقد ، أو من قرن إلى قرن ، لا يعني اختفاء التحديات القديمة وتصفيتها ، وبدء مسار جديد بعناصر جديدة وتحديات جديدة ، فإن المسلمين يستقبلون التسعينيات ، ومن بعدها القرن الحادي والعشرين ، وهم يحملون على أكتافهم تحديات لم يفرغوا من مواجهتها ، وتحديات جديدة لم ينتبهوا بعد إليها . وليست هذه السطور إلا محاولة لرصد التحديات القديمة ، والتنبيه إلى التحديات الجديدة ، وهو تنبيه يهدف إلى زلزلة الأرض التي يقف عليها الجامدون والحالمون والمغيبون بالشعارات الكبيرة ، والتصورات التي نشأت ونمت في جو العزلة والانقطاع ، وفي حماية الانحصار في الذات ، والانكفاء على الماضي ، والتعبد بمقاطعة « الغير » ومخاصمته وإدانته ، ورفض . « الآخرين » انطلاقا من أن المنهج الاسلامي «ليس كمثله شيء» واستغناءً بهذا الأسلوب الساذج - في رفضه « التشبه » - عن تحديد الرؤية الايجابية، أو الموقف الواضح ، والطريق ذي المعالم والمراحل والأولويات . .



تحديات ثلاثة

ودون إغراق في ذكر التفاصيل نسجل أن المسلمين يستقبلون عقد التسعينيات وهم يحملون على أكتافهم ثلاثة تحديات كبرى :

الأول : تحدي الفهم الصحيح « للاسلام » كعقيدة وشريعة ونظام أخلاقي أراد له الله أن يكون بناء حضاريا شاملا ، لعالم متحرك متغير متطور ، ولشعوب مختلفة الأجناس والتاريخ والثقافات ، وهذا ما نسميه « تحدي التحديد في الفكر الإسلامي » .

الثاني : تحدي الانتقال من « الفهم الصحيح » إلى « العمل السريع » بكل أسلحة العصر ووسائله ، حتى ينهض المسلمون كأمة بين الأمم ، خروجاً من التخلف إلى النمو ، ومن التبعية إلى الاستقلال ، ومن الفقر والاعتماد على الآخرين ، إلى الغنى والاعتماد على الذات في إطار التعاون وتبادل المنافع مع « الآخرين » ، وهذا ما نسميه « تحدي العمل » وإنهاء مرحلة « الصياح بالشعارات » .

الثالث : تحدي الانتقال من التفرّقة والتمزق إلى نوع من « التوحد » في الفكر الأساس ، وفي

الحركة الأساسية ، وهو توحد له مبرراته الموضوعية الكافية ، وله فوق ذلك مبرراته الجديدة المستمدة من « وحدة الأفكار الجديدة » واستحالة مواجهتها بجهود مشتتة ، وطاقات مستغرقة ، مستهلكة في معارك داخلية ، وعداوات صغيرة حول قضايا صغيرة ، أكثرها مغلوط لا قيمة له ولكنها تترك الجسد الاسلامي كله مرهقاً مكدوداً ، وتصرف العقل المسلم عن مواجهة القضايا الكبيرة والحقيقية .

وهذا ما أسميه « تحدي تصفية مرحلة الاحتراق الداخلي » .

إن المسلمين ـ قادتهم وعامتهم ـ لم ينجحوا ـ بعد ـ في التصدي لهذه التحديات الثلاثة ، وما زالت الساحة تنادي العقلاء والحكماء وأولي العزم ، أن يجمعوا التيار الاسلامي العريض ، على موقف واضح في مواجهتها ، يصفي فلول الغافلين والجامدين ، ويلقي بهم وبصيحاتهم الفارغة بعيداً عن المسار الجاد لأمة عاقلة مسئولة ذات رسالة ، حمّلها ربها تبعة الشهادة على الناس بالحق ، وجعلها بما تقيمه بين الناس من خير وحق وعدل ، وما ترفعه عنهم من عسر وحرج وعناء ، رحمة للعالمين أجمعين ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون** ﴾ **الزخرف ٤٤** .
وقد يعين على مضاعفة الجهد الذي يبذله العقلاء والحكماء وأولو العزم في ساحة هذا الجهاد النبيل ، أن نضع أمامهم صورة التحدي الجديد الذي يستقبلهم به عقد التسعينيات ، وهو تحدي « خطر الاغتراب عن العالم » واستبعاد « المسلمين » من المشاركة في النظام العالمي الجديد .

إن العالم كله ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه يتنادى منذ سنوات قليلة بدعوات التوحد الثقافي ، والالتفاف حول قيم حضارية مشتركة ، على الرغم من استمرار التنوع الثقافي .

وهذه الدعوة بمظاهرها المختلفة ، ومجالاتها المتنوعة ، أثر لسقوط الحواجز بين الشعوب نتيجة الثورات المفاجئة في علوم الانتقال والاتصال ، وتقنياتها المتقدمة المتجددة ، كما أنها ثمرة لانتباه الشعوب كلها إلى الأخطار الجديدة المشتركة التي تواجهها جميعاً على اختلاف ثقافاتها الذاتية ، ونظمها السياسية ، وحدودها الاقليمية .

الصورة مشوهة فهل نتنبه . . ؟

وقد تعرض الاسلام والمسلمون خلال السنوات العشرين الأخيرة لحملات هائلة من التشويه والتنفير واغتيال الشخصية الثقافية ، وهي حملات أسهم المسلمون في نجاحها ، بسكوتهم عنها أحياناً ، وبردود أفعال عصبية ومتشنجة وغير محسوبة أحياناً أخرى ، كما أسهم بعضهم في إتمام نجاحها بدعوتهم إلى عزلة المسلمين عن الدنيا ، واصرارهم على مقاطعة الناس والمجتمعات ، وانعدام خبرتهم بفنون دعوة الناس ، والخلل الشديد الذي يقع فيه بعض الدعاة والمتحدثين عن الاسلام ، في عرضهم واختيارهم للأولويات وفي أسلوبهم الفظ في تذكير الناس بالحق ودعوتهم إليه .



ولسنا هنا في مقام اللوم أو تحديد المسئوليات ، وإنما نقرر أن حملة التشويه المنظمة قد أثمرت موقفاً عقلياً ونفسياً واسع الانتشار في العالم يتصور الاسلام دعوة إلى الجمود والتخلف ، ترفض « الآخرين » وتحاربهم . وتستبيح في هذه الحرب كل أساليب القهر والاكراه والارهاب

ولعل أخطر ثمرات هذا الموقف الذي يتسع انتشاره يوماً بعد يوم ، أن ينظر العالم كله إلى المسلمين خلال العقد الذي نستقبله على أنهم « عقبة » في طريق التوحد الانساني ، وأنهم لذلك لا يمكن أن يشاركوا في بناء الحضارة الانسانية التي تتوحد في ظلالها جهود الشعوب على طريق العدل والحرية والسلام ، واحترام حقوق الانسان لذلك فإنهم غير مدعوين إلى المشاركة ، ولا مكان لهم في ساحة الأعمال المشتركة الجديدة التي تستقبل بها شعوب الأرض مطلع القرن الجديد بتحدياته الجديدة

وسوف يبدأ هذا الموقف بالنظر إلى المسلمين على أنهم « متخلفون » ، ثم يتطور إلى اعتبارهم « غرباء » لينتهي إلى اعتبارهم خصوماً وأعداء ، يجري التعامل معهم على هذا الأساس ، ثقافياً أول الأمر ، ثم اقتصادياً وسياسياً في نهاية المطاف

نـذر المخـــاطر

ولا أعتقد أنني أسرف في التوحش والتشاؤم وسوء الظن إذا قلت إن « نذر » هذا الموقف السيِّيء الجديد من الاسلام والمسلمين قد بدأت تلوح في الأفق فهناك ثلاثة ملايين من مواطني الاتحاد السوفيتي يتهيأون للهجرة الدائمة والاستقرار في «اسرائيل» وهو ما يعني بالضرورة محاولة الإفساح لهم داخل الأرض العربية وليس داخل «اسرائيل»

وهو تهديد صريح بحولة من حولات المواجهة مع العالمين العربي والاسلامي

وهناك توجه عربي عام لتوجيه موارده الاقتصادية الفائضة لإنعاش شرق أوربا المتجه ـ بشهية مفتوحة وطاقة انسانية كامنة في أبناء أوربا ـ إلى التنمية السريعة ، والتواصل ثم التلاحم مع الغرب الأوربي ، وهو ما يعني حبس تلك الموارد عن معاونة دول العالم الثالث ، وعلى رأسها العرب والمسلمون

وهناك مناخ نفسي في الغرب (والشرق) متوحش من الاسلام شديد الاحساس ، بخطر انتشاره كأساس ثقافي وحضاري وسياسي ، لموجة العودة إلى الذات « والنهضة القومية » في بعض جمهوريات الاتحاد السوفيتي وكقوة حدث وتأثير متزايد داخل عدد من الدول الأوربية نتيجة تزايد عدد المتوطنين في تلك الدول من المسلمين ، والاشعاع الثقافي الذي يولده حرص الكثيرين منهم على التمسك بهويتهم الحضارية المستمدة من الإسلام

هذا واحد من أكبر التحديات التي تواجه المسلمين في التسعينيات فهل ننتبه إليه قبل فوات الأوان ؟ أم يظل أصحاب الرأى والنظر البعيد مكتفين بالنصح الهامس والكلمة الخافتة ، وسط صياح الذين يختزلون عناصر الواقع المعقد ، والمستقبل المحمل بالتحديات ، لتوافق رؤ يتهم السادجة للإسلام نفسه وللعالم كله ؟ إن المثقفين المسلمين على اختلاف مواقعهم في العمل الرسمي والشعبي مدعوون جميعاً إلى ممارسة جهد هائل لترشيد المسيرة الإسلامية ، ولحماية المسلمين من أخطار الحصار الجديد الذي يراد فرضه عليهم ، والذي قد يتحول إلى حرب جديدة تتعرض لها حضارتنا ومصالح شعوبنا ،

يشترك فيها تحت راية واحدة قوى وتيارات كانت تتصارع فيما بينها إلى الأمس القريب

وهذا الجهاد الجديد يتطلب مواجهة صريحة

مع دعوات الجمود والعزلة والذهول عن الواقع داخل الحياة الاسلامية ، كما يتطلب مواجهة صريحة ـ بالعقل والحكمة والعمل المخطط المحسوب ـ مع حملات التشويه المتعمد الذي تمارسه بهمة ونشاط أجهزة شديدة المكر والذكاء ، مسلحة بأحدث أسلحة الإعلام والإعلان والتأثير على المشاعر والقلوب .

هذا هو التحدي الجديد ، يحمله إلينا عقد التسعينيات ، وما تزال أكتافنا تحمل تحديات قديمة تحتاج إلى احتشاد العزائم ، وتوحد الجهود ، وتصحيح كثير من الأفكار .

وهذه دعوة صريحة إلى العقلاء ، والحكماء ، وأصحاب النظر البعيد ، أن يسارعوا إلى التلاقي والتشاور لاستكمال رؤية الواقع ، ولتصحيح مهج العمل وترتيب خطاه ، حتى لا يُترَكَ مصير المسلمين لعدو يملك أمرهم ، أو غريب يتهنهم ويضمر السوء لهم ، أو صديق جاهل يضرب الهواء بسيوف من خشب ، ويشق حنجرته بصرخات غامضة مقطوعة الصلة بواقع الناس .

ونحن على يقين أن هذا الصراع المعقد، لابد أن ينجلي بعد عمل مضن وجهاد طويل عن مستقبل جديد بالمسلمين ، ترتفع فوقه ألوية العقل والرشد ، وتظلله قيم العدل والرحمة والتآخي والتواصل ، بالعمل النافع مع سائر خلق الله ، حتى تتوجه مسيرة الانسانية إلى نظام عالمي جديد يشيده العقل الانساني ، وتحفظه وتزكي مسيرته القيم الرفيعة التي امتن بها الله على الناس .

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ (١٠٥ الأنبياء) □

الكتابة بالمطر

شعر : عصام ترشحاني

قال ابتدىء
كتابة المطر
فالأرض والسماء
تُمسكان بالحجر
نهضت
والصباح متعب
من السهر
رأيت في حقائب الأطفال
مايكلّم الشرر
مجّدت اسم الماء
وهو في لهاثه القويّ
يقرع الدماء
كأن شاهق الأصوات
يسبق الغناء للردى
وراكب الغيوم
قد أعد ناره

وقفت في مفاوز المفاجأة
ولم يكن
دم القتيل بعد ،
قد أضاع لونه
بكيت
حين قال :
ـ ضاغطا على الحجر ـ
وليس الذين بالرصاص يسقطون
كمثل من في الوحل يسقطون
إني رأيت خيلهم
على حدود عرسنا
رأيتها
والذعر في أحداقها
الى الوراء ينكسر
بكيت والمخيم الذي معي
بكيت أمتي المهربة
ولفّني بحزنه الناريّ ،
لفّني مشيع الخطر

○ ○

قال ابتدىء
كتابة المطر
فالعشب يشعل الفتيل
في الحجر
قال ابتدىء
وضمّني
لموريات ضوئه
أشعلت زعفران الجرح في الجهات
وابتكرتُ
قامة اليباب



فلاذ أول الجحيم لي
تجمهر السحاب
وكان أن رأيت
في احتشاد السيل
صولجان النار والحجر
يدق هامة العراة
رأيت رايتي
على السفوح ،
والشوارع الزرقاء
ومن صخور كل ساحة وبيت
رأيت والدي « كنعان »
في الشعاع ينتشر
رأيته يسوق عنفوانه أمامه
يصب احمر الجنون
في رحاحة
فتلمع العروق في الذرا
والبرق بالصباح البكر يهمر



السياسة النفطية الجديدة في الاتحاد السوفيتي

بقلم : الدكتور يوسف سليمان الفاضل

اذا ما كانت السياسة الجديدة للاتحاد السوفيتي قد غيرت الكثير من المخططات والتوجهات في هذا البلد الواسع الأرجاء الكثير الشعوب ، متعدد مصادر الثروة، فهل وصل الأمر الى تغيير في سياسته النفطية ؟

البحث والكتابة عن موضوع الطاقة بشكل عام ، والنفط والغاز بشكل خاص ، في الاتحاد السوفيتي ودول شرق أوربا مملوء بالصعاب ، بسبب قلة المعلومات المنشورة عنه وعدم صحتها ـ في معظم الأحيان ـ عند توافرها ، وعلى الرغم من ذلك أصبح بالإمكان رصد التوقعات الممكنة بالنسبة لسياستهم النفطية نتيجة المراقبة الطويلة لهذه السياسات خاصة بعد التغيرات الجذرية داخل الاتحاد السوفيتي ودول شرق أوربا .

لاشك أن الاتحاد السوفيتي يعد من الدول الكبرى المنتجة والمصدرة للنفط منذ بداية هذا القرن ، ولكن بسبب العداء المستمر بين النظامين الرأسمالي والشيوعي ، أصبحت دول غرب أوربا مترددة في الاعتماد على استيراد النفط من الاتحاد السوفيتي وحلفائه في شرق أوربا . فبعد الثورة الروسية بدأ العداء بين شركات النفط الكبرى والاتحاد السوفيتي بعد تأميم معداتها وممتلكاتها . وعملت الشركات بالطرق القانونية ، والضغوط السياسية على عدم استيراد النفط السوفيتي ، وتحديد كمياته في الأسواق العالمية ، إن لم يكن منعه منعاً تاما ، لكن معظم

هذه المحاولات من قبل شركات النفط باءت بالفشل

« إعادة بناء » في العشرينيات

قام الاتحاد السوفيتي ـ بعد ذلك ـ بالتركيز على الاستثمار في القطاع النفطي على الرغم من الأزمة الاقتصادية الحادة عام ١٩٢٠ التي كادت أن تودي بالاقتصاد السوفيتي كلية ، فقد اتبع الاتحاد السوفيتي سياسة اقتصادية جديدة عام ١٩٢١ ، غيرت من طرق التطور الاقتصادي بشكل عام والنفطي بشكل خاص ، حيث إن الحرب العالمية الأولى قد أتلفت القطاع النفطي وأرجعته الى الوراء أكثر من عشرين سنة وعلى ذلك يمكن اعتبار العشرينيات من هذا القرن هي الأساس في تكوين القطاع النفطي على نمط حديث نسبيا ، حيث ارتفعت قيمة الاستثمار في هذا القطاع الى أكثر من مائة مليون روبل ذهبي ، وكانت تمثل آنذاك أكثر من ٢٧٪ من الاستثمار الصناعي داخل الاتحاد السوفيتي ثم ارتفعت الى أكثر من ١٣٦ مليون روبل ذهبي في سنة ١٩٢٦ ، حتى وصلت الى قمتها فتعدت المائتين مليون روبل ذهبي في سنة ١٩٢٩

وبسبب الزيادة المطردة في الاستثمارات بالقطاع النفطي ، ارتفعت كمية الصادرات النفطية من ٩٥٠ ألف طن سنة ١٩١٣ ، الى مليوني طن سنة ١٩٢٧ ، ثم تعدت ذلك المستوى بعد مد خطوط الأنابيب الى مصافي النفط ، وإلى موانىء التصدير في بداية الثلاثينيات من هذا القرن فأُنشىء خط أنابيب باكو ـ باطوم وخط ، أنابيب غروزني ـ توابس لكن الأزمة الاقتصادية العالمية قللت من أهمية تصدير النفط السوفيتي ، ولم يعد يعمل كقطاع ممول رئيسي لبقية القطاعات الاخرى المكونة للاقتصاد السوفيتي ، حيث وصلت دخول الصادرات في سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية ، الى مستوى غاية في التدني بسبب قلة الطلب على النفط ومشتقاته ، وبالتالي انخفاض أسعاره

وبعد الحرب العالمية الثانية استمر الاتحاد السوفيتي بتصدير نفطه عالمياً ـ الى غرب أوربا بشكل خاص ـ حتى وصلت إيراداته وصادراته من النفط الخام ومشتقاته الى ١٦ مليون طن سنة ١٩٦٠ ، ثم ازدادت فوصلت الى أكثر من ٧٠ مليون طن سنة ١٩٨٨ لاشك أن الطلب على النفط قد بدأ يزداد بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان حظ الاتحاد السوفيتي من هذا الطلب كبيرا جداً ، زد على ذلك حاجة الاتحاد السوفيتي الشديدة الى عملة أجنبية صعبة ، لشراء ما يحتاجه من الأسواق الغربية فبينما كانت قيمة صادراته من النفط لاتتعدى ٥٦٧ مليون دولار ، ارتفعت الى أكثر من ١٤ بليون دولار سنة ١٩٨٣ بسبب الزيادة في أسعار النفط في منتصف السبعينيات والسنة الأولى من الثمانينيات

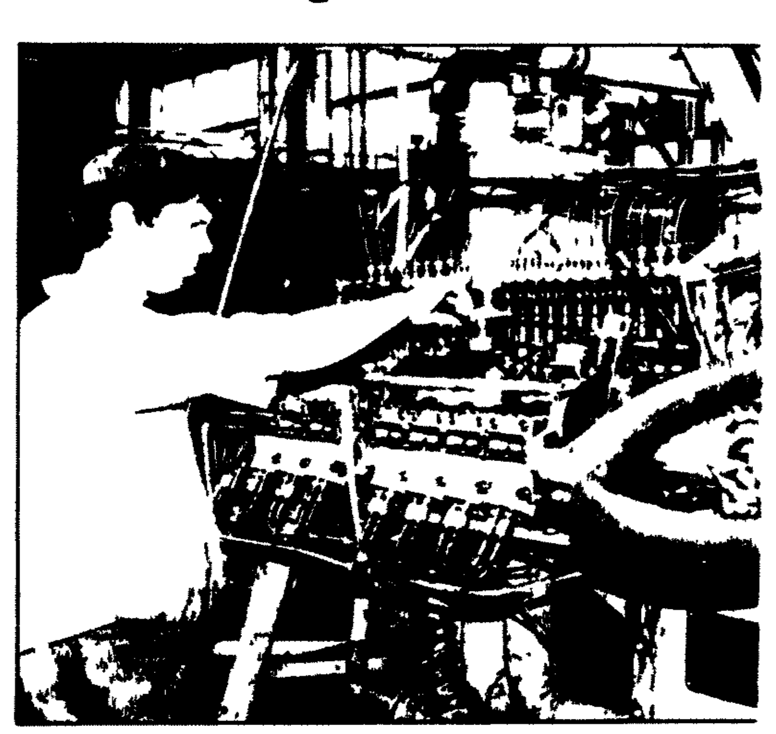
تخلف الادارة والمعدات

ومع كل ذلك فالقطاع النفطي في الاتحاد السوفيتي لم يحقق أهدافه على الرغم من الزيادة الهائلة في صادراته النفطيه التي بلغت أكثر من ٤٠٪ من صادراته الكلية في سنة ١٩٨٨ ، وذلك يرجع الى أسباب كثيرة معقدة ومتشابكة منها

عدم توافر المعدات الحديثة والتقنية « التكنولوجيا » العالية ، للكشف عن النفط ، وحفر آباره ، وإنتاجه ، وتكريره ، ونقله داخل الاتحاد السوفيتي ، والأسواق العالمية ، وذلك بسبب مقاطعة الغرب له وامتناعه عن بيع آخر ما وصل إليه في ميدان تقنية « تكنولوجيا » البحث والكشف وانتاج النفط ونقله فالأدوات والمعدات التي يستعملها الاتحاد السوفيتي الان لاتختلف عن التي كانت تستعملها شركات النفط العالمية في أوائل الخمسينيات ،

ولهذا السبب يعد خبراء النفط الاتحاد السوفيتي متخلفاً « تكنولوجيا » في قطاع النفط والغاز بأكثر من ثلاثين سنة .

يضاف إلى ذلك عدم وجود إدارة كفية في قطاع النفط والغاز بدءاً من الادارة العليا وحتى مستوياتها الدنيا ، والتي كان لها أثرها في سوء استخدام أدوات الانتاج إلى أقصى الحدود ، وهو ما جعل القيادة العليا في الحزب الشيوعي تتخذ قرارات بتغيير القيادات النفطية التي أكل الدهر عليها وشرب ، كما قام راسمو الخطط الاقتصادية في الاتحاد السوفيتي ، بوضع برنامج لـلطاقـة بعيـد المـدى ، يـرسم الصـورة المستقبلية لقطاع الطاقة بالاتحاد السوفيتي من سنة ١٩٨٤ وحتى سنة ٢٠٠٠ ، والذى كان من أهم أهدافه زيادة إنتاج النفط والغاز ، والتركيز على تطوير مناجم الفحم ، وزيادة إنتاج الكهرباء ، بزيادة استخدام الطاقة النووية لهذا الغرض . كما أكد البرنامج على أهمية المحافظة على الطاقة في جميع قطاعات الاقتصاد



● فني في معمل لتكرير النفط

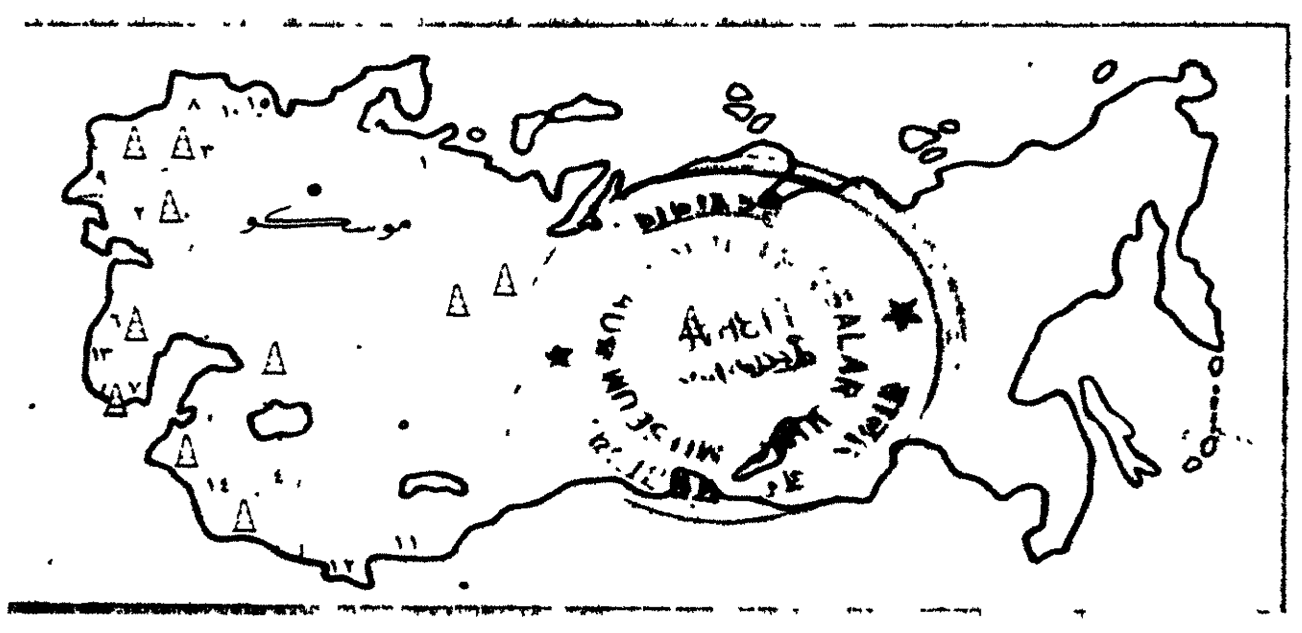
السوفيتي ، ولكن هذه الأهداف لم يكن بالامكان تحقيقها ـ على الرغم من الإصرار السياسي على تنفيذها ـ والسبب الرئيسي في ذلك سوء الادارة في قطاع الطاقة بشكل عام والنفط والغاز بشكل خاص .

آلية السوق المفقودة

زد على ذلك أن طرق اتخاذ القرارات بالنسبة للاستثمار في قطاع الطاقة في الاتحاد السوفيتي مشكلة شائكة ومتعددة الأطراف . فقرارات الاستثمار من قبل شركات النفط العالمية تحددها الأرباح في المدى القصير والمدى الطويل ، وتحكمها عوامل اقتصادية متعددة ومتغيرة في داخل الاسواق العالمية ، معتمدة على الية السوق . اما بالنسبة للاتحاد السوفيتي فهناك عوامل كثيرة لايمكن رصدها رقمياً ، كالعوامل السياسية والاستراتيجية ذات الأبعاد الداخلية والخارجية ، كما أن آلية السوق كمؤشر لتحديد موقع الاستثمار ومستواه يعد معدوما في الاتحاد السوفيتي ـ وفي النظم الشيوعية قاطبة ـ مما أدى الى إرباك اقتصادي وإهدار في الطاقة في معظم الأحيان . كل ذلك أدى الى عدم الرضا من قبل القيادة العليا في الاتحاد السوفيتي بالنسبة لأداء الاقتصاد الكلي ، مما أوقع الاتحاد السوفيتي في محنة اقتصادية مايزال يعاني منها على الرغم من محاولات التغييرات الجذرية التي جاء بها غورباتشوف . والمشكلة مستمرة حتى الآن على الرغم من الحديث عن تغييرات جذرية يراد تطبيقها، والسبب في ذلك عدم اتخاذ القرار بالنسبة لشكل النظام الاقتصادي الجديد المراد تطبيقه ، فمازال الحديث يدور عن التحديث، أما كيف يتم فهذا ما لم يقر حتى الآن .

تابع . . لا قائد

ومهما قيل عن الأسباب المعطلة لقطاع الطاقة في الاتحاد السوفيتي ، فهو ينظر الى سوق النفط



● خارطة تبين مواقع وجود النفط في جمهوريات الاتحاد السوفيتي

١ ـ جمهورية روسيا الاتحادية ـ ٢ ـ جمهورية أوكرانيا ـ ٣ ـ جمهورية روسيا البيضاء ـ ٤ ـ أوربكستان ـ ٥ ـ كازاخستان ـ ٦ ـ جمهورية جورجيا ـ ٧ ـ جمهورية ادربيجان ـ ٨ ـ جمهورية ليتوآنيا ـ ٩ ـ جمهورية مولدافيا ـ ١٠ ـ جمهورية لاتفيا ـ ١١ ـ جمهورية قير غيريا ـ ١٢ ـ جمهورية طاجكستان ـ ١٣ ـ جمهورية أرمينيا ـ ١٤ ـ جمهورية تركمانيا ـ ١٥ ـ جمهورية استونيا

العالمي كمصدر أساسي للحصول على العملات الصعبة ، لشراء مايحتاجه من أسواق الدول الرأسمالية المتقدمة صناعياً . وعلى ذلك فهو يتأثر بالسوق العالمي كما يؤثر فيه عن طريق أحجام صادراته النفطية . فعندما بدأت أسعار النفط العالمية بالارتفاع في أوائل السبعينيات زاد الاتحاد السوفيتي من حجم صادراته النفطية لزيادة دخله ، وكان جل هدفه أن لاتقل القيمة النقدية لصادراته عن السنوات السابقة . وعندما بدأت أسعار النفط بالهبوط ، حتى وصلت مستوى غاية في التدني سنة ١٩٨٦ ، زاد الاتحاد السوفيتي إنتاجه بكل إمكانياته لكي يعوض ما خسر عن طريق الاسعار ، على الرغم من تعاطفه الظاهري مع « منظمة الدول المصدرة للبترول (اوبك) » .

ولايعني هذا أن الاتحاد السوفيتي يقود السوق النفطي العالمي ، بل العكس تماما ، فهو تابع تحدد تصرفاته في سوق النفط العالمية عوامل كثيرة متغيرة ومتعددة . فعندما زار ممثل « للاوبك » الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٨٣ لكي يتم التفاهم على الخطوط العريضة بالنسبة لأسعار النفط وكمية النفط المصدرة ، لم يحصل على أي معلومات من القيادة النفطية السوفيتية سوى التأكيد على أن الاتحاد السوفيتي ليس له دور كبير في التأثير على مستوى أسعار النفط العالمية ، وعلى ذلك ، فهو ليس على استعداد للدخول في أي حوار حول ـ اتفاقية أو شبه اتفاقية ـ تحكم تصرفاته بسوق النفط العالمي . ومع كل ذلك فعندما هبطت أسعار النفط سنة ١٩٨٦ أعلن أحد الرسميين في الأكاديمية السوفيتية للعلوم بفينا أن الاتحاد السوفيتي على أتم الاستعداد لأن يقلل ما يصدره من

نفط ، اذا ما استمرت أسعار النفط في الهبوط وقد يذهب الى أبعد من ذلك بشراء النفط الفائض من السوق العالمي ، وفي الحقيقة أنه لم يتحقق من ذلك الاعلان أي شيء .

الثواب والعقاب

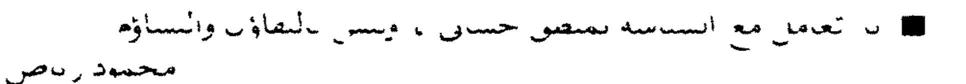
وفي الواقع ان السياسة النفطية والغازية للاتحاد السوفيتي ، تحددها مصالحه الاقتصادية وأهدافه السياسية والاستراتيجية ، كأى دولة أخرى تضع مصالحها فوق كل اعتبار آخر . ولايسعنا في هذا المجال إلا أن نذكر أن العلاقة النفطية بينه وبين حلفائه وأصدقائه من الدول الشيوعية التي حصلت على مساعدات فنية ومالية في حقل النفط كما حصلت على عقود نفطية بأسعار مقبولة تكون عرضة للتقلبات بسبب اختلاف الآراء والأفكار السياسية . فعندما تختلف أفكار القيادة العليا للحزب الشيوعي السوفيتي مع أي دولة أخرى لايتردد الاتحاد السوفيتي بقطع مساعداته الفنية وإمداداته النفطية . هذا ما حدث مع يوغسلافيا سنة ١٩٤٨ عندما اشتد الخلاف بين تيتو وستالين حيث قطعت العلاقة الاقتصادية بين البلدين حتى وصل النفط المستورد من الاتحاد السوفيتي الى أقل من ١٥٪ من كميته الاولى قبل بدء الخلاف سنة ١٩٤٧ ، وبالمثل فعندما دب الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتي سحب الأخير مساعداته الفنية النفطية كما أوقفت شحنات النفط الروسي للصين سنة ١٩٦٠ . كذلك عندما وقع الخلاف مع ألبانيا سنة ١٩٦١ سحب الاتحاد السوفيتي مساعداته الفنية والمالية ، وإن لم يؤثر هذا تأثيرا بالغا على ألبانيا حيث إن الأخيرة مكتفية ذاتياً (نفطياً) . أما كوبا فهي أكبر مثال على رفاهية الدلال النفطي ، كما أنها عانت وستعانى من آثار الجفاء معه على الرغم من انقطاع الامدادات النفطية السوفيتية وتأخيرها لكوبا سنة ١٩٦٧ لفترة بسيطة ، الا أن تحسن العلاقة بين كوبا والاتحاد السوفيتي جعل الأخير يمد كوبا بالنفط بأكثر من احتياجاتها ، وبأسعار زهيدة . مما جعل كوبا قادرة على إعادة تصديره بأسعار عالية ، لكي تحصل على عملات أجنبية صعبة ، وشراء ماتحتاجه من الأسواق العالمية . وقد وصلت قيمة ما أعيد تصديره الى أكثر من ٦٢٠ مليون دولار سنة ١٩٨٦ ، ولكنها بدأت بالنقصان حيث وصلت الى أقل من ١٩٠ مليون دولار في سنة ١٩٨٨ ، ومن المتوقع أن تصل الى نقطة الصفر في هذه السنة ، وخاصة بعد أن أظهر كاسترو معاداته لسياسة التحديث والانفتاح التى جاء بها غورباتشوف . وختاما فإن المصلحة السوفيتية العليا هي الأساس الذي يحدد كميات صادراته وأسعار نفطه ، سواء في السوق العالمي أو لأصدقائه في المعسكر الاشتراكي . ومن هذه التجربة يمكن القول إن دول شرق أوربا سوف تعاني من هذه المشكلة من جديد ، وسوف تبدأ بالحصول على احتياجاتها النفطية من السوق العالمي حسب الأسعار المعلنة ، بعكس العقود المعقودة بينها وبين الاتحاد السوفيتي التي تعتمد على المقايضة أحيانا ، وعلى المساعدة أحيانا أخرى ، وعلى العقاب حينا آخر . □

« بيروسترويكا »

● إن الناس بكل تنوعهم الإبداعي هم صناع التاريخ ، والمهمة الأولى لإعادة البناء تتمثل في إيقاظ هؤلاء الناس الذين استسلموا للنوم ، ويعد دفع الفرد إلى المشاركة في كل العمليات هو الجانب الأهم في ما نقوم به .

« ميخائيل غورباتشوف »

أقوال



■ لا تتعامل مع السياسة بمنطق حسابي، وليس بالتفاؤل والتشاؤم

محمود رباص



● محمود رباص

■ أوروبا الموحدة تهدد بأن تكون ناديا يعمل في التجارة ضد الولايات المتحدة ولذا فإنه من الضروري أن تعمل الولايات المتحدة واليابان للحصول على وجود اقتصادي جوهري في السوق الأوروبية

زبيجنيو بريجنسكي

مستشار الأمن القومي الأمريكي (٧٧ - ١٩٨١)



● زبيجنيو بريجنسكي

■ نحن ندرك أن الأصدقاء يقدمون ما يستطيعون تقديمه، ونبقى على ثقة بقضيتنا ونجرب أن نتخذ من دعم الأصدقاء نقطة انطلاق نحو ما لا بد من تنفيذه نحو هدف

نبيل عمرو

سفير دولة فلسطين

لدى الاتحاد السوفيتي

■ المبادئ، ليست شيئا نرتديه في فترات الحب، ولكنها شيء حي يسكن في كيانك دون أن تدري

أحمد بهاء الدين



● أحمد بهاء الدين

■ إذا أخذت السلطة مكان الحرية تتحول إلى طغيان، وإذا أخذت الحرية مكان السلطة تصبح فوضى

سمير بومعزة

مناضل جزائري

■ من وجهة نظر الطبيعة، ليس هنالك فرق بين موت إنسان وموت قطة

ارنست همنغواي

■ المخرج بشكل أساسي في حياتنا إنما دائما ساحر بالشعارات، ووجهة نظر البعض تتغير ١٨٠ درجة في لحظة واحدة

نور الشريف



● نور الشريف

■ أنا لست واثقا من أن مهمة الأديب هي أن يقدم أجوبة حاصة عن الأسئلة التي لا أجوبة عنها

« ادوارد آلبي »



بقلم : خالد القشطيني

اذا كانت الفنون مرآة المجتمع ففن المعمار هو المرآة المكبرة لها ، ففيه تتجلى أذواق الناس ، وعليه يعول في سكناهم ولهم فيه مآرب أخرى . . .

لا الأدب ولا الرسم ولا الموسيقا تعبر عن واقع الشعب كما يعبر المعمار . نجد البون بين الغني والفقير في البون بين القصر والكوخ . وفي زخرفة البيوت وتأثيثها نتحسس المشاعر الفنية والعاطفية لساكنيها . في طريقة البناء وتخطيط المدينة وتصميم الأبنية وتهويتها وتدفئتها نكتشف كل شيء عن محيط ذلك الشعب وظروف معيشته . ولهذا فعندما أزور بلدا أول مرة ، لا أذهب إلى المسارح ولا المتاحف ولا المطاعم ولا أي مظهر من مظاهر حياته الثقافية ، قبل أن أتفقد المدينة وأجول في أسواقها وأحيائها الشعبية .

وهذا ما كان بعد زيارتي الأولى للولايات المتحدة في عام ١٩٨٩ . ومن وحي تلك الزيارة توصلت إلى نتيجة لم تخطر لي من قبل ، وهي أن العمارة الحديثة عمارة بدون قلب . لقد اعتدت في المدن التي سكنتها ، بغداد ولندن وباريس أن أجد لها مركزا ، هكذا الحال في سائر مدن الشرق الأوسط وأوربا ، أو العالم القديم برمته . حيثما يسافر المسافر في هذه المناطق يجد لافتات تؤشر وتقول « وسط المدينة » .

ويتشابه وسط المدينة هذا في سائر هذه المدن ويتميز اعتياديا بوجود مسجد أو كنيسة أو معبد يواجه ساحة يجتمع فيها الناس ويحيون احتفالاتهم ويبيعون بضائعهم . هذا هو قلب المدينة النابض ، ومنه تمتد الشرايين والأوردة ، الطرق والأزقة والأسواق بشكل مكتظ متداخل أقرب ما يكون إلى التيه الذي يتمثل خير تمثيل

في المغرب العربي بالقصبة و « المدينة » . وهذه الأنشوطة من الأزقة المتداخلة لم تأت صدفة أو تقام اعتباطاً إذ لها أغراضها العملية والروحية . إنها تمثل التلاحم بين سكان المدينة وتمنحهم جنسيتها . الغريب لايعرف كيف يجد طريقه أو اتجاهه في هذا التيه . وهي وسيلة دفاعية عسكرية وأمنية ، كما وجد الفرنسيون في معركة الجزائر .

معالم بارزة

المساجد بمنائرها والكنائس بأبراجها تشكل أعلى نقطة في المدينة . ينظر إليها المواطن من أي مكان فينظم حركته وعمله . ويردها المسافر متعبا مرهقا خائفا فيشعر بالطمأنينة والخلاص ، حالما يرى رؤوس المنائر والأبراج تطل من وراء الأفق . وفي العراق وايران كسيت هذه الرؤوس بالذهب فتتألق من بعيد حالما تظهر فوق خط الأفق . وكم لمست الموجة الروحية التي غمرت « زوار » كربلاء والنجف والكاظمية ، حالما شاهدوا رؤوس المنائر المذهبة فانطلقوا بالدعاء والصلوات ، هذه المنائر والأبراج تشير إلى قلب نابض بالحياة ، بالعبادة والراحة والضيافة ، بالماء والطعام والمنام والأمان .

ويدخل الفرد المسجد أو الكنيسة أو المعبد فيجد قلبا آخر يتجه كل شيء نحوه ، وتنطلق كل الخطوط والأفاريز والأعمدة منه ، إنه المحراب في المسجد والهيكل في الكنيسة والتمثال في المعبد الوثني . ويعود الفرد إلى بيته فيجد قلبا آخر هو الموقد أو الفرن ، منه ينطلق الدفء ويخرج الطعام وحوله يجلس الأهل ، وتروى الحكايات ، وتقرأ الكتب ، ويعبر للبالغين ـ كما يقول أصحاب علم النفس ـ عن الهواجس الجنسية .

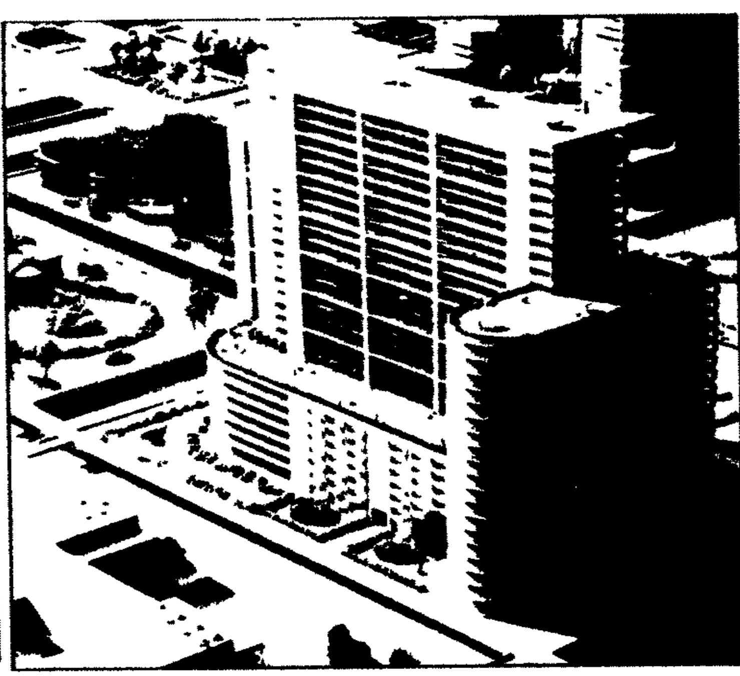
القلب هو الأساس الأولي لفن العمارة عند سائر الشعوب ، وعبر كل العصور . ويقوم هذا القلب بدور المنظم لحياة الأسرة والمجموعة .

وقد أظهرت الدراسات الاجتماعية التي جرت في فترة الحرب والأزمات الاقتصادية ، ميل الجمهور إلى التعلق بمركز مدينتهم حتى عندما يتناقض ذلك السلوك مع مصالحهم الاقتصادية والمعيشية . وهذا ما يسمى بقانون بريان ، على اسم العالم البريطاني الذي توصل إليه . والواقع أن الأقدمين فطنوا إلى ذلك بالغريزة، فلاحظ البابا سكستوس مثلا حياة الاضطراب والفوضى السائدة في روما ، فأمر بإقامة المسلة الشهيرة في وسطها بحيث تعطي نظاما ومركز ثقل لحياة المدينة وسير الحجيج إلى الفاتيكان ، ودأب الفراعنة والرومان على إقامة هذه المسلات والأعمدة كعمود الامبراطور تراجان لتقوم بالخدمة نفسها .

وتطورت هذه الأعمدة إلى الزاغورة البابلية ، والملوية العباسية ، وأخيرا الكومبانيلة الايطالية ، كما في البندقية وسيينا . واعتاد مخططو المدن على إحاطة قلب المدينة بمراكز ثانوية بشكل معابد أو أنصبة أو أحواض ماء على مسافات مدروسة تعطي الايقاع النفسي اللازم المدينة .

● محراب المسجد الاقصى (قلب المسجد)







● نموذجان من العمارة   الأول العمارة الحديثة كتل بلا روح والثاني إنصبت فيه براعة الفنان

مدن التيه

هذا التصميم المعماري التقليدي ، تقوض الان في المدرسة الحديثة . وباستثناء واشنطن التي خططت بشكل حكيم وجميل يحتل فيه « المول » و « الكابتول » موضع القلب ، قلما عثرت في المدن الأمريكية التي مررت بها على مركز معين . يتسوق الفرد من « السوق المركزي » خارج المدينة ، ويتعبد في كنيسة في ضاحية أخرى وهلم جرا . ويجري كل ذلك بين أناس لايعرفهم ، ولا يعيشون في حارته . وفي هذه المدينة يشعر الانسان . كما شعرت ، بالضياع والتيه والانعزال .

ويتحمل الفرنسي كوربوزيه ، أبو المعمار الحديث ، العبء الأكبر عن هذه الحالة ، وذلك بتبشيره بتخطيط يقوم على العمارات العالية ، التكعيبية الشكل ، والمبعثرة على مسافات متباعدة تخترقها الطرق السريعة العريضة . إنه أدق تصميم لجثة مقطعة الأشلاء منزوعة القلب . سرعان ما وجد المضاربون وكبار الملاك هذا التصميم أربح مايكون لهم فتناسوا الساحات والحدائق التي أوصى بها كوربوزيه ، وانهمكوا في خنق المدن القديمة بمثل هذه العمارات التجارية ، بحيث أدت إلى طمس القلب القديم للمدينة ، كما حدث في لندن . اشتهرت هذه المدينة بمقطعها ، أو « بروفيلها » ، الجميل الذي تتوسطه كنيسة سانبول الشامخة . ويقال إن الألمان حرصوا على عدم تدمير قبتها بغاراتهم لأنهم اتخدوها مركزا لتوجيه قاصفاتهم . حول هذه الكنيسة وعلى سلالمها وباحتها ، سجلت صفحات عديده من تاريخ المدينة وحياتها . ونحو قبتها يتطلع اللندني في الأزمات والتوترات . أما الآن فقد طمست العمارات التجارية هذا القلب ، وبتزاحم هذه العمارات فقدت المدينة الحديثة « البروفيل » التقليدي القائم على نقطة ذروة ، فأصبحت كيانا مسطحا دون تركيز أو دليل . فقدت روح الاحتفال بالحياة كما يقول الناقد المعماري بيتر سمث ، وأصبحت كيانا قاسيا

وطيميا يسكنه قوم تخلوا عن الروح الاجتماعية ، وسلموا أمورهم لمن لايهمه غير الكسب

إختلاف الأحوال

وصاحب هذا التطور في تصميم المدن تطور مشابه في تصميم الدور والأبنية لقد ذهب « حوش » البيت الشرقي القديم حيث كنا نجتمع في ظلاله حول حوض الماء والنخيلات والنثر واختفى الموقد من البيت العربي ستعمل الان التدفئة والتهوية المركزية فيجلس كل منا في غرفته وظهر المذياع والحاكي والمسجل ، يستمع الأب إلى الأخبار في الصالون والأم إلى أم كلثوم في المطبخ ، والابن إلى موسيقا « الجاز » في غرفته وفقدت الابنية الحديثة تصميمها النظامي القائم على مدخل احتفالي رئيس مهيب ، وجناحين وقاعة وسطى وتعطي بناية (المستمال هول) بلندن مثالا رائعا للمعمار الحديث ، وهي كذلك ولكنك لاتدري كيف تدخل إليها أو تخرج منها أو تعرف اتجاهك داخلها وهذا لطخت الأبنية الحديثة بلافتات « إلى المدخل » و « للخروج » و « خروج للطوارىء »و « إلى الشرفة » وهكذا ، وهذه اللافتات من ميزات المعمار الحديث في الأبنية الكلاسيكية ، تدلك الأعمدة والأفاريز والسلالم على الاتجاه الذي تريده إنها تتشعب تشعبا منطقيا ومنطلقا من قلب البناية

قلنا إن المعمار يعطي أحسن انعكاس لعصره ومجتمعه وهذا ما اريد أن انتهي إليه المعمار الحديث يجسم مادية المجتمع الحديث وفرديته إنه مجتمع غني متطور ولكنه فقد قلبه و اساسيته وترابطه وإيقاعه إنه المجتمع الذي أكثر الأدباء في وصفه بمجتمع الضياع والحيرة والعزلة انه أرض اليباب وبهذا المعنى جاء كلام المهندس المعماري عبد الواحد الوكيل عندما قال في الندوة التي عقدت في القاهرة بمناسبة جائزة أغاخان للمعمار في تشرين الأول ١٩٨٩

لقد فقد العرب قواعد المعمار القدسي ، لأن العربيين أصبحوا يعانون من عجز وفقر روحي متزايد وجرى هذا الكلام إبان النقاش الحاد الذي استعر بين أنصار القديم والحديث وتصادفت المناقشة مع صدور كتاب الأمير شارلز ، ولي العهد البريطاني ، « رؤية لبريطانيا » الذي أثار ضجة بنقده لأساليب المعمار الحديث

والخطورة هنا ، هي أن المعمار لايعكس فقط مجتمعه كما تفعل الفنون الأخرى ، بل ويؤثر في الوقت نفسه في ذلك المجتمع وجود قلب معماري في البيت والمدينة يساعد على وحدة الأسرة والتفافها حول رئيسها وتلاحم أهل المدينة والتفافهم حول سلطتها الدنيوية والدينية ولهذا حرصت على فتح موقد في بيتي وإضرام نار حية فيه مرة في الأسبوع على الأقل ، بعلق في أثنائها التدفئة المركزيه أعتقد أن التصاميم المعماريةالحديثة أسهمت في تفكك الأسرة والمجتمع إن قدرة الانسان على استيعاب الدهشة والمفاجأة والتغير المستمر محدودة وعليه فالموضوع ليس مجرد موضوع جماليات ، وإنما هو موضوع يمس بنية المجتمع وصحة أفراده □

■ في شبابي كنت أهتم كثيرا بالحرية وكنت أقول انى مستعد أن أموت من أجل حريتى ولكننى في كهولتى أصبحت أهتم بالنظام قبل الحرية فقد توصلت الى اكتشاف عظيم يثبت أن الحرية هى نتاج النظام

ويل ديورانت

آفـــاق
الفكر الاقتصادي العربي
في التسعينيات

بقلم : عامر ذياب التميمي*

إذا كانت الأيام الأخيرة من العقد المنصرم قد حفلت بأحداث خلخلت الثوابت السياسية والاقتصادية والفكرية في العالم ، وخلقت أوضاعاً تفرض على المفكرين البحث في نتائجها ومؤثراتها على البشرية ، فأين يقف المفكرون العرب من هذه الأحداث ، ومن التحديات التي تواجهها الأمة العربية ؟ وكيف يواجه الفكر الاقتصادي العربي تحديات العقد القادم ؟

أنهى العرب عقد الثمانينيات ، وهم يواجهون العديد من الأزمات الاقتصادية الهيكلية ، في بلدانهم التي تحتاج الى جهود كثيفة لحلها وتجاوزها للسير في ركب النهضة التنموية . ونحن الآن في بداية عقد التسعينيات لا نستطيع أن نجد قطراً عربياً واحداً دون عجز في موازنته العامة ، كما أن هناك عدداً كبيراً من الأقطار العربية يعاني من عجوزات في ميزان المدفوعات والميزان التجاري ، ومن مشكلة المديونية الخارجية ، حيث تقدر بعض المصادر أن حجم الدين الخارجي لكل الأقطار العربية المدينة قد تجاوز المائتي بليون دولار في عام ١٩٨٩ .

ومن المؤكد أن تلك الأزمات ، أو المعضلات الاقتصادية التي تواجهها الأقطار العربية ، ناتجة

* باحث اقتصادي من القطر الكويتي

بشكل أساسي عن تخلف الأداء الاقتصادي ، وتراجع الامكانيات الانتاجية في العديد من القطاعات الاقتصادية . ومن الطبيعي أن ينتج عن هذه الحالة من التخلف في الانتاج ، عدم القدرة على الوفاء بالاحتياجات الأساسية للسكان الذين تتنامى أعدادهم باطراد ، مما يحتم استيراد مختلف السلع ـ أساسية وكمالية ـ من العالم الخارجي .

صندوق النقد يفرض شروطه

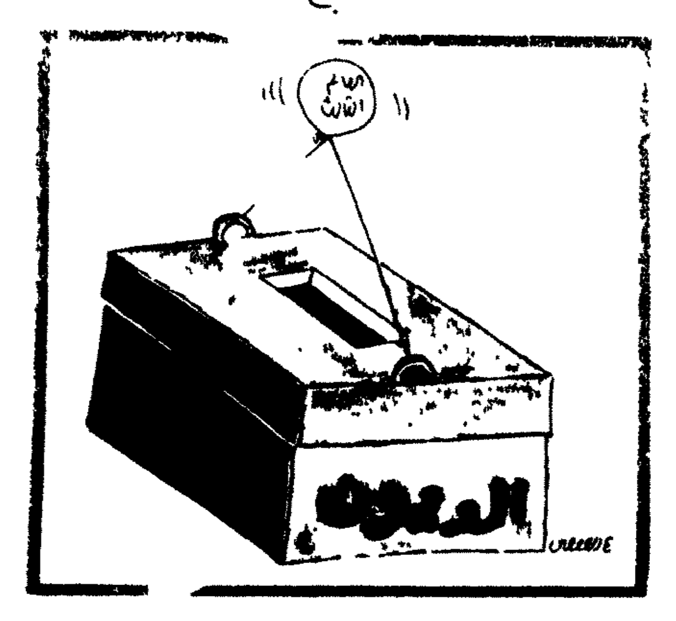
على الرغم من أن الصدمتين النفطيتين عامي ١٩٧٣ ، ١٩٧٩ قد حققتا ايرادات مالية ضخمة للأقطار العربيه المصدرة للنفط ، إلا أن تلك الأموال لم توظف بشكل يؤدي إلى قيام قاعدة اقتصادية منتجة في الوطن العربي ، تغني الاقتصاديات العربية عن الاستيراد والاستدانة

بل إن الذي حدث هو تعظيم الاستهلاك الأساسي والترفي في جميع الأقطار العربيه ، وإن كان ذلك لا يعني ، أنه لم يُستفْد بهذه الأموال ، هنا وهناك ، في بناء بعض المرتكزات الانتاجية أو تطوير البنية التحتية . لكن ذلك لم يؤد إلى خلق قاعدة اقتصادية انتاجية ، تعمل على زيادة الانتاج الغذائي والسلعي ، وعلى زيادة كفاءة أداء الاقتصادات العربية ، ومن ثم تقليل الاعتماد على العالم الخارجي من مختلف الجوانب .

وفي ظل تراجع امكانيات الحكومات العربية المالية ، وعبء المديونية الثقيلة ، أصبحت معظم الحكومات ـ إن لم يكن جميعها ـ مضطرة للإذعان للخطط والبرامج الاقتصادية المعتمدة من المؤسسات الدائنة ونوادي الدائنين ، وفي طليعتها صندوق النقد الدولي . وتعتمد تلك البرامج الموضوعة للدولة المدينة التي تتقدم لبرمجة سداد ديونها بطريقة مريحة وممكنة على قائمة من الاجراءات ، تتضمن اعادة النظر في الفلسفة الاقتصادية ، وتأكيد أهمية النشاط الاقتصادي الحر ، وتخفيض الانفاق العام في مختلف أشكاله ، واطلاق حرية الاستيراد والتصدير ، ورفع أسعار السلع إلى قيمتها الحقيقية ، ورفع أسعار الفوائد على القروض المحلية التي يقدمها النظام المصرفي المحلي لأصحاب الأعمال من أجل مكافحة التضخم . ومن أهم الجوانب التي تندرج ضمن وصفة صندوق النقد الدولي مسألة « تعويم سعر الصرف للعملة المحلية » لكي يكون السعر التبادلي للعملة قريبا من أسعار تلك العملة في الأسواق الحرة ، أو ما يطلق عليه أحيانا في بعض البلدان « بالسوق السوداء » .

وتأتي مسألة « التخصيصية » أو ما يطلق عليه أهل المغرب العربي « بالخوصصة » في مقدمة التحديات التي يواجهها الفكر الاقتصادي العربي في العقد الحالي ، بعد أن أثيرت في السنوات الأخيرة من العقد المنصرم . وهذا التحدي يكتسب أهميته من أمور ثلاثة :

أولها : هو تأثير التراث الفكري للنظرية الاشتراكية لدى العديد من المفكرين الاقتصاديين في الوطن العربي الذي يعطى للقطاع العام دوراً مركزيا في عملية التنمية . كما أن ارتباط طرح مسألة التخصيصية بقضية جدولة الديون الخارجية يعيد إلى الأذهان موضوع التبعية الاقتصادية ، والعلاقة مع الاستعمار الجديد ،



حيث يتدخل الدائنون في الشئون التفصيلية ، والتوجهات العامة للاقتصاد الوطني .

وثانيها : هو التساؤلات التي تدور حول امتلاك القطاع الخاص في دول العالم الثالث ، ومنها الأقطار العربية ، لرؤية تنموية تجعله يستجيب للقرارات الاستثمارية التي تتطلب درجة مخاطرة عالية ، كتلك التي تحملتها البرجوازيات الأوربية بعد الثورة الصناعية . وهل تسمح طبيعة أنشطته التي تقوم على أعمال الوكالات ، والتجارة الوسيطة في القيام بمهمات خلاقة في زمن ما بعد الثورة الصناعية الذي تعيشه الدول المتقدمة ؟

والأمر الثالث : هو تعدد الإشكاليات التي يثيرها تحويل ملكية القطاع العام إلى القطاع الخاص ، ومن أهمها مصير العمالة ، وطبيعة الأجور والمزايا التي سوف يتقاضاها العمال في ظل ملكية القطاع الخاص . يضاف إلى ذلك مسألة المنفعة المجتمعية من مخرجات المؤسسات بعد تحويلها للقطاع الخاص، مثل تسعير السلع والخدمات والايرادات التي تجنيها تلك المؤسسات ومآلها . فبعد أن كانت التدفقات النقدية تتحول للخزينة العامة ، ويتم انفاقها في المشاريع العامة ، أو ضمن النفقات الجارية للحكومة تتوجه الأموال إلى جيوب أفراد أو مؤسسات القطاع الخاص ، وقد يعاد استثمارها في الاقتصاد المحلي ، وقد لا تستثمر ، ويمكن أن تحول إلى الخارج لتوظيفها في أدوات وبلدان أكثر ضمانا .

انعكاسات عالمية

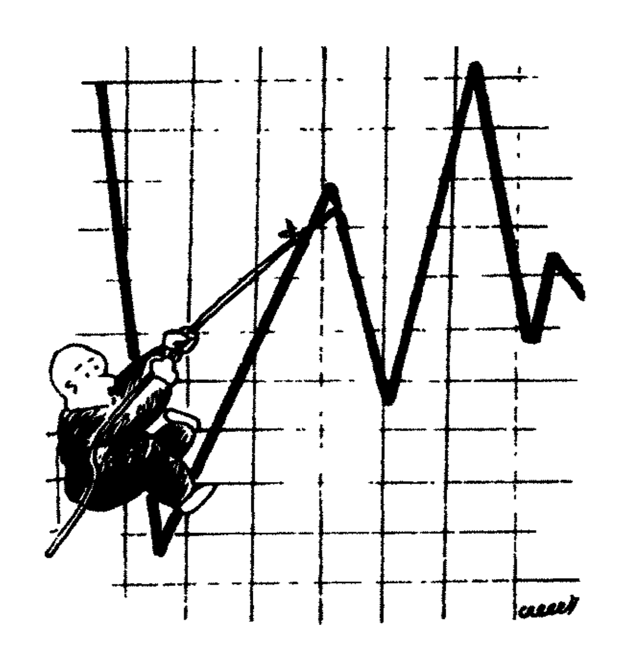
ومن القضايا التي سيكون لها انعكاس مهم في العقل الاقتصادي العربي ، التطورات التي حدثت في اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي في أواخر الثمانينيات ، ذلك أن الزلزال السياسي الذي حدث في أوربا الشرقية ، وما تمخض عنه من اطروحات جديدة لعلاج المعضلة الاقتصادية في تلك الدول ، والتي قد تتناقض مع ما كان سائدا من فكر اشتراكي ، لا بد أن تثير الهموم والتساؤلات لدى العديد من المفكرين الاقتصاديين في الوطن العربي الذين تبنوا الفكر الاشتراكي ، أو ما زالوا يؤمنون به . وليس بالضرورة ما يطرح الآن في عدد من بلدان أوربا الشرقية صحيحا وسليما ، لكن لا بد من الاعتراف بوجود قصور في الأداء الاقتصادي بهذه الدول على الرغم من مرور أكثر من اربعين عاما من الملكية العامة لوسائل الانتاج في تلك الدول .

بل إن هناك اختناقات في العملية الانتاجية ، بحيث أصبح جليا أن مستوى الطلب الاستهلاكي على السلع والخدمات يفوق كثيرا امكانيات الانتاج السلعي وعرض الخدمات . هذا بالطبع على الرغم من ارتفاع مستويات المعيشة ، وتوافر الاحتياجات الأساسية ، مثل المسكن والتعليم والعلاج والمواصلات العامة ، وتوافر ضمانات اجتماعية ، وضمانات ضد البطالة ، وغيرها من أمور أساسية في حياة الانسان . لكن في عهد ثورة التطلعات الاستهلاكية ، وتوافر المعلومات عما يحدث في الدول الرأسمالية المجاورة ، على الرغم من عدم معرفة المعضلات الهيكلية التي تعيشها هذه الدول فإنه لا يمكن أن تقبل تلك المجتمعات الأوربية الشرقية بالحد الأدنى من الاحتياجات .

وبطبيعة الحال فإن المعضلة الأساسية في الأداء الاقتصادي في الدول الأوربية الشرقية وفي الاتحاد السوفيتي ، كانت فقدان امكانيات الرقابة على الأداء وعلى استخدام المال العام ، مما أدى إلى الهدر الكبير للامكانيات الاقتصادية ويعود ذلك أساساً لغياب الديمقراطية السياسية التي عجز نظام الحزب الواحد عن ايجادها .

عقد التكتلات

إن الفكر الاقتصادي العربي في عقد التسعينيات سوف يتأثر بتطور عدد من الأحداث والمعضلات ، على المستويين العربي والعالمي .



الاجتماعي الذي سينتج عن عملية نقل الملكية ، وأهمها مصير العمالة في المؤسسات ، ومسألة اسعار السلع والخدمات التي سوف يتحملها المستهلكون . إن تحقيق الكفاءة الفنية من قبل المؤسسات الاقتصادية أمر مهم ، ولكن يجب أن لا يكون ذلك نقيضا للعدالة الاجتماعية ، وتوافر الحقوق الأساسية للمنتجين كما يجب أن لا يكون نقل الملكية منطلقا لزيادة الأعباء المعيشية على المواطنين .

ليست كل تجربة صالحة للنقل

ومع ذلك فمن المتوقع نظرا لضعف الامكانيات المالية للعديد من الأقطار العربية التي تبنت الملكية العامة في النشاط الاقتصادي في العقود الماضية ، أن تتوجه نحو افساح المجال أمام نشاط القطاع الخاص ، وسن القوانين التي تتناسب مع منطلقاته من حيث ضمان التملك الخاص ، والإعفاء من ضرائب الأرباح ، ونقل الملكية أو تخفيضها ، وكذلك حرية التسعير للسلع ، أو مخرجات المشاريع الاقتصادية ، وحرية إدخال وإخراج الأموال ، إلى غير ذلك من محفزات .

ولكن هل تستطيع كل تلك الحوافز أن تجذب الأموال إليها من الخارج ، وخاصة إذا كان من المعروف أن القطاع الخاص - أفرادا ومؤسسات - يوظف الحجم الأساسي من أمواله في بيئات استثمارية متقدمة ومستقرة كالولايات المتحدة الأمريكية ، والدول الصناعية المتقدمة ؟ وتشير البيانات المنشورة إلى أن الأموال العربية الموظفة في الخارج تجاوزت ٦٥٠ بليون دولار ، منها ٢٦٠ بليون دولار للأقطار العربية النفطية ، ١٦٠ بليوناً للقطاع الخاص في هذه الأقطار ، ٢٠٠ بليون للقطاع الخاص في الأقطار العربية ذات العجز ، وإذا جذبتها هل ستتوجه هذه الأموال إلى القطاعات الاقتصادية الأساسية مثل قطاع الانتاج السلعي ، والزراعة أو التعدين ، أم أنها

فبالاضافة إلى مشكلة المديونية ، والتغيرات في أوربا الشرقية ، هناك التطورات التي تحدث في العالم الرأسمالي ومنها : اقامة التكتلات الاقتصادية مثل أوربا الموحدة ، والكتلة الآسيوية ، كذلك ما سوف يحدث في النظام الاقتصادي الأمريكي نتيجة للتوسع في استخدام أدوات الديس وعمليات إعادة هيكلة المؤسسات ، وتطور أساليب الملكية وعلى الرغم من أن كل هذه المعضلات والمشاكل تحتاج إلى تفكير ابتكاري خلاق ، فإن المؤلم أن العديد من المفكرين الاقتصاديين العرب يعتمدون أساليب ميكانيكية في معالجة القضايا الاقتصادية التي تعاني منها أقطارهم . فما أن طرح صندوق النقد الدولي فكرة « التخصيصية » حتى تبنتها مجموعة منهم ، وشنوا حملة شعواء على القطاع العام ، واتهموه بالتقصير في الأداء ، وعدم المقدرة على تحقيق متطلبات التنمية ، واحتياجات المستهلكين . . وقد يكون هناك قصور في الأداء ، لكن هؤلاء الاقتصاديين لم يتعمقوا كثيرا في دراسة مقدرة القطاع الخاص على ادارة بعض المؤسسات المملوكة للقطاع العام في بعض الأقطار العربية الواقعة ضمن قطاعات اقتصادية لا يجد القطاع الخاص الاستثمار فيها أصلا ، مثل قطاع الصناعة الثقيلة ، أو في أنشطة النقل ، والمواصلات ، كما أن القضية الأخرى التي لم يناقشها هؤلاء الاقتصاديون هي الثمن

ستتوجه إلى القطاعات الخدمية مثل العمار والصدقة والتجارة ؟ وقد يقول قائل ولماذا لا نفترض امكانية تحقيق التطور الاقتصادي والتنمية من خلال النشاط الخاص مثل ما حدث في تايوان وكوريا الجنوبية ، وتايلند حاليا والفلبين إلى حد ما ؟ إن السؤال مشروع ، لكن الإجابة عنه تتطلب معرفة متعمقة بطبيعة تلك الاقتصاديات وما آلت إليه في الوقت الحاضر فعلى سبيل المثال فإن كوريا الجنوبية اعتمدت على نظام احتكاري اسمه « سايوبل »(Chaebol) ، وتلك المؤسسات شبه الاحتكارية اعتمدت خلال سنوات الديكتاتورية على عماله رخيصه ، بحيث كاد أن يصبح نظام العمل مثل نظام السخرة واستفادت تلك المؤسسات في تحقيق نموها الرأسمالي من انخفاض تكاليف الانتاج المحمي بحراب الديكتاتورية ، واستطاعت أن تغزو بمنتجاتها الأسواق الدولية خصوصا في الولايات المتحدة وعدد من الدول الاسيوية لكن بعد انتصار الديمقراطية قبل سنتين في كوريا الجنوبية أخذت الأمور منحى جديدا ، حيث يُتوقّع أن تعاني كوريا الجنوبية عجزا في الميزان التجاري والحساب الجاري ، خلال السنوات القادمة ، بسبب تراجع الصادرات ، وعدم مقدرتها على التنافس بسبب ارتفاع التكاليف بعد أن كانت تحقق فائضاً كبيرا فيه

ومن اهم العوامل التي أدت الى التطورات الجديدة هي قيام الولايات المتحدة بفرض شروط قاسية للحد من صادرات كوريا إليها ، وإصرار الامريكيين على رفع سعر صرف « الون » الكوري لكي تصبح تلك الصادرات عالية ، وتفقد مقدرتها التنافسية

في الوقت نفسه تفرض الولايات المتحدة على كوريا ضرورة فتح أسواقها للمنتجات الامريكية من أجل تخفيض العجز في الميزان التجاري بين البلدين ولقد أدت هذه التطورات إلى استفادة بعض البلدان الأخرى في جنوب شرق آسيا مثل تايلند من ميزاتها النسبية من حيث انخفاض أجور العمالة ، لكي تكسب بعض الأسواق التقليدية على حساب المنتجات الكورية الجنوبية

إذن لا يمكن أن نعد النموذج الكوري مناسبا لنا نظرا لارتفاع التكلفة الاجتماعية والسياسية والمطلوب أن نتفهم كل الظروف المحيطة بالنشاط الاقتصادي في الأقطار العربية ، ومعضلاته ومنها الديون ، وانخفاض مستويات المعيشة ، والاعتماد على النشاط الاستخراجي للنفط والمواد الأولية ، وعدم مساهمة الصناعة التحويلية بنسبة مهمة في الدخل القومي الاجمالي ، وضعف التجارة البينية بين الأقطار العربية ويضاف إلى ذلك عدم وجود قطاع خاص يستطيع أن يسهم في عملية التنمية حسب ما يتصوره بعض أنصار الاقتصاد الحر المطلق ما لم تحدث تحولات سياسية باتجاه الديمقراطية ، توفر لأصحابه قنوات للتعبير عن الرأي ، والمشاركة في اصدار القرارات السياسية ، وأن تصبح البيئة الاستثمارية قادرة على جذب الاستثمارات نتيجة لاستقرار أسعار صرف العملة ، وتوفر البنية الأساسية المناسبة ، وتحقيق امكانية اقتصادية لنجاح المشروع الاستثماري من حيث توافر المواد الخام اللازمة ، والعمالة الكفوءة ، والسوق القادرة على النمو ولتحقيق هذه الوضعية لا بد أن تمر الأقطار العربية بمرحلة مخاض حضارية ، عنيفة ستأخذ وقتا طويلا

الاعتماد على الذات . . والتكامل العربي

إن عقد التسعينيات سيشهد حصبا من الأفكار الاقتصادية ، وسوف تصطدم الكثير من الأطروحات الجاهزة بمسيرة الواقع ، حيث ستكون التكاليف الاقتصادية والسياسية عالية ، والمسألة ليست نموذجا رياضيا نضعه ونحاول أن نطبقه حسب معادلاته وقوانينه ، بل إن القضية تتطلب تفهما للمعضلات التي يعاني منها كل

اقتصاد عربي ، ومحاولة تلمس الحلول من خلال حشد كل الامكانيات الممكنة كما يجب أن نعي أن الوصفات الجاهزة من الدائنين وغيرهم لن تجدي فتيلا في حل معضلة التنمية الأمر المهم الذي يجب أن يعيه الاقتصاديون هو أن عهد المعونات والقروض الميسرة قد ولى سواء جاءت تلك المعونات والقروض من دول شقيقة أو صديقة أو غير ذلك

إن جميع الدول المانحه أصبحت في ظروف صعبه ، أو أنها أصبحت اكثر حذرا في توزيع المنح والقروض الولايات المتحدة تعيد النظر في سياسات المعونة ، وكذلك يفعل الاتحاد السوفيتي نظرا للعجز المستمر في ميزانية كلا البلدين ، أما اليابان وألمانيا الاتحادية فقد يجدان أن هناك دولا أكثر أهمية من غيرها وتستحق المعونة والاقراض كدول أوربا الشرقية أو بعض دول أمريكا اللاتينية ، أما الأقطار العربيه النفطية فهي مهما حاولت المساعدة فلن تكون في مستوى سخاء السبعينيات أو بدايات الثمانينيات لذلك تصبح مسألة الاعتماد على النفس حيوية لاستمرار النشاط الاقتصادي ، ويتطلب ذلك هيكلة جذرية لاقتصاديات العديد من الأقطار العربية

المسألة الأخرى المهمه هي أن التعاون الاقتصادي العربي يتطلب شيئا من الواقعية ، بمعنى أن تتيقن الأقطار العربية بأن بناء اقتصاديات قطرية في هذا العصر أصبح وهما ، والمطلوب ايجاد حلقات من التعاون الممكن بين مختلف الاقتصاديات العربية ، والاستفاده من عناصر الميزة النسبيه في كل قطر عربي من أجل خلق تكامل ، ويجب أن لا تتحول الكيانات الاقليمية بديلا للتوحيد الاقتصادي العربي ، والذي لا بد أن نضع لبناته بتؤدة وبحذر حتى لا تضيع الجهود في خضم التسرع □

على هامش قول على قول :

قد يأتي شاعر مجيد بمعنى من المعاني يستوقف عنده الشعراء ، فيأسرهم بفكرته ويأخذهم بتشبيهه ، من ذلك مثلاً بيت قاله النابغة الذبياني ، فانظر كم من الشعراء حاول محاكاته ! .

النابغة الذبياني

بقلم : حسن سعيد الكرمي

النابغة الذبياني شاعر جاهلي اسمه زياد ، وكنيته أبو أمامة ، اشتهر من جملة ما اشتهر به بعلاقته بالنعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وكان متصلاً به اتصالاً وثيقا الى أن حدثت ريبة في قصر النعمان ، فهرب النابغة وكانت قطيعة بينه وبين النعمان مدة من الزمان . وفي أثناء ذلك بعث النابغة إلى النعمان بقصائد عرفت بالاعتذاريات ، تنصل فيها النابغة من التهمة التي ألصقت به ، واعتذر للنعمان عن كل ذلك حتى رضي عنه ، واعتذاريات النابغة مشهورة في الشعر الجاهلي ، ومنها القصيدة العينية التي ورد فيها قوله للنعمان :

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقد وجد الأدباء والشعراء في هذا البيت معنى طريفاً ، فنسجوا على منواله ، وقالوا فيه ما يشبهه نثراً وشعراً ، والشعر في ذلك أشهر ، ولو أن طرفة بن العبد جاء بمثله في قوله :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المُرْخى وثنياه في اليد

وفي كل من البيتين صورة تستدعي النظر ، وتدفع على التأمل لما فيها من فلسفة وخيال .

وجاء الشعراء بعد الجاهلية بأقوالهم في ذلك المعنى ، فقال علي بن جبلة :

وما لامْرىءٍ حاولتَه منك مَهربٌ ... ولو رفعته في السماءِ المطالع
ولا هارب لا يهتدي لمكانه ... ظلامٌ ولا ضوء من الصبح ساطع

وقال النميري للحجاج :

فلو كنت كالعنقاء أو كسُمُوِّها ... لخلتك إلا أن تَصُدّ ، تراني

وللشاعر سلم الخاسر العباسي قول طريف في المعنى حيث يقول : ـ

فأنت كالدهر مبثوثاً حبائله ... والدهرُ لا ملجأ منه ولا هرب
ولو ملكتُ عنان الريح أصرِفها ... في كل ناحية ما فاتك الطلب

وهذه صورة شعرية أخرى ، وجاء بمثلها أبو العرب الصقلي حيث قال :

كأن بلاد الله كفاك إن يسِر ... بها هارب تُجمع عليه الأنامل
وأين يفر المرء عنك بجرمه ... إذا كانَ تُطوى في يديك المراحل

وجاء أيضاً بمثلها الفرزدق في قوله لجرير :

فإني أنا الموت الذي هو واقع ... بنفسك فانظر كيف أنت تُزاوله

وما أحد يا ابن الأتان بوائل من الموت إن الموت لا شك نائله

وكان جرير يقول للفرزدق :

أنا الموت الذي آتي عليكم فليس لهارب مني نجاء

وقالوا في المعنى أبياتاً مفردة ، كقول البحتري :

لو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن ينجيهمّ من خوف بأسك مهرب

ومثله قول أبي القاسم بن هانيء :

أين المفرّ ولا مفرّ لهارب ولك البسيطان الثرى والماء

وجاء الفرزدق في بيت له بصورة أخرى حيث قال :

أنا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى شفاء

وهو قريب من قول الأخطل في بيته :

فان تك زقّ زاملة فإني أنا الطاعون ليس له دواء

وقالوا عن النابغة أنه أفرط في مدحه النعمان والاعتذار إليه ، وما كان النعمان إلا رجلا عرفه الناس كما عرفوا غيره ، وذكروا على لسان جرير بن يزيد ، أحد رواة العرب أنه قال : كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن في خراسان من أعمال فارس وعنده بنو مرة وحسناؤه ، فتذاكروا في الشعر وذكروا شعر النابغة وعرجوا على قوله للنعمان :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسع

فقال شيخ من بني مرة عن النابغة . وما الذي رأى في النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان إلا على منظرة من مناظر الحيرة ؟ وقالت القيسية مثل هذا القول . فنظر إلى الجنيد وقال : يا أبا خالد ، لا يهولنك قول هؤلاء الأعاريب ، وأقسم بالله لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم (النابغة) لقالوا أكثر مما قال ، ولكنهم قالوا ما سمعت وهم آمنون ، أي أن بني مرة يعيبون على النابغة مغالاته في مدح النعمان ، وهم لو كانوا مع النعمان ورأوه حقا وحضروا مجلسه لقالوا في مدحه أكثر مما قال النابغة ، ولكنهم يقولون قولهم هذا وهم آمنون ، فلا النعمان يسمعهم ولا يسمعهم من والاه .

وقول طرفة بن العبد عن الطولْ المرخى وثنياه في اليد ، لا يخرج عن قولنا في القيد ماديا ومعنوياً ، ففي الرياضيات مثلاً قيد يقال له الوسيط ، كما في المعادلة الجبرية : س٢ + ع٢ = ب٢ ، أو : س٢ = ب٢ - ع٢ ، أو ع٢ = ب٢ - س٢ ، فإن (س) مهما كان لها من القيم فإن (ع) تكون مقيدة بالكمية الثابتة (ب٢).فالكمية (ب٢) هي الطوّل وهي القيد ، وهذا القيد يحول دون الامتداد إلى ما لا نهاية .

وفي الفلسفة الوجودية فكرة من هذا النوع ، فالانسان في حياته محصور بين الميلاد والممات ، والعمر في الحياة هو القيد أو هو الطولْ الذي قال عنه طرفة ، فالعمر إن طال أو قصر له أجل لا يستقدم عنه ولا يستأخر ساعة . وهذه المحدودية هي التي حملت بعض رجال الفكر الى وضع مذهب الوجودية في أوربا ، والى حصر الاهتمام عند هؤلاء المفكرين في الحياة في هذه الدنيا مدة العمر . وهي التي حملت طرفة بن العبد قديماً الى الاهتمام بحياته الدنيوية ، والعمل على العيش كما يشاء ضمن العمر المحدد له . وهذا ظاهر من دراسة معلقته دراسة فاحصة .

وفسر بعضهم القضاء والقدر بأنه ـ على حد قول طرفة ـ كالطول المرخى وثنياهُ في اليد . □



السيكلوسبورين

قفزة رائدة في ميدان زراعة الأعضاء

بقلم : صباح شمسي باشا*

قديما قال أحد الشعراء :

والليالي من الزمان حبالى   مثقلاتٌ يلدن كل عجيبة

وفي عالم الطب والدواء تبدو هذه المقولة حقيقة مؤكدة ، فما أكثر ما تقذف أرحام المختبرات ومعامل الأدوية بمواليد معجزة ، ما تفتأ تكبر وتكبر حتى تكون معقد آمال الإنسانية ، في التغلب على آلام المرض ، والسيكلوسبورين واحد من هذه المواليد . فما قيمته ، ونتائج استخدامه ؟ .

إن السيكلوسبورين الذي يعد فتحاً جديداً في عالم زراعة الأعضاء هو الدواء الذي أعطى عمليات زراعة الأعضاء نجاحاً حاسماً ، وانتقل بها إلى مرحلة الانتشار والتطور ، وفتح أمامها أبواب الأمل لتحقيق نتائج أفضل ، وفي الوقت الذي كان فيه مبضع الجراح يحقق

* صيدلانية وكاتبة من القطر العربي السوري . تعمل في الكويت .

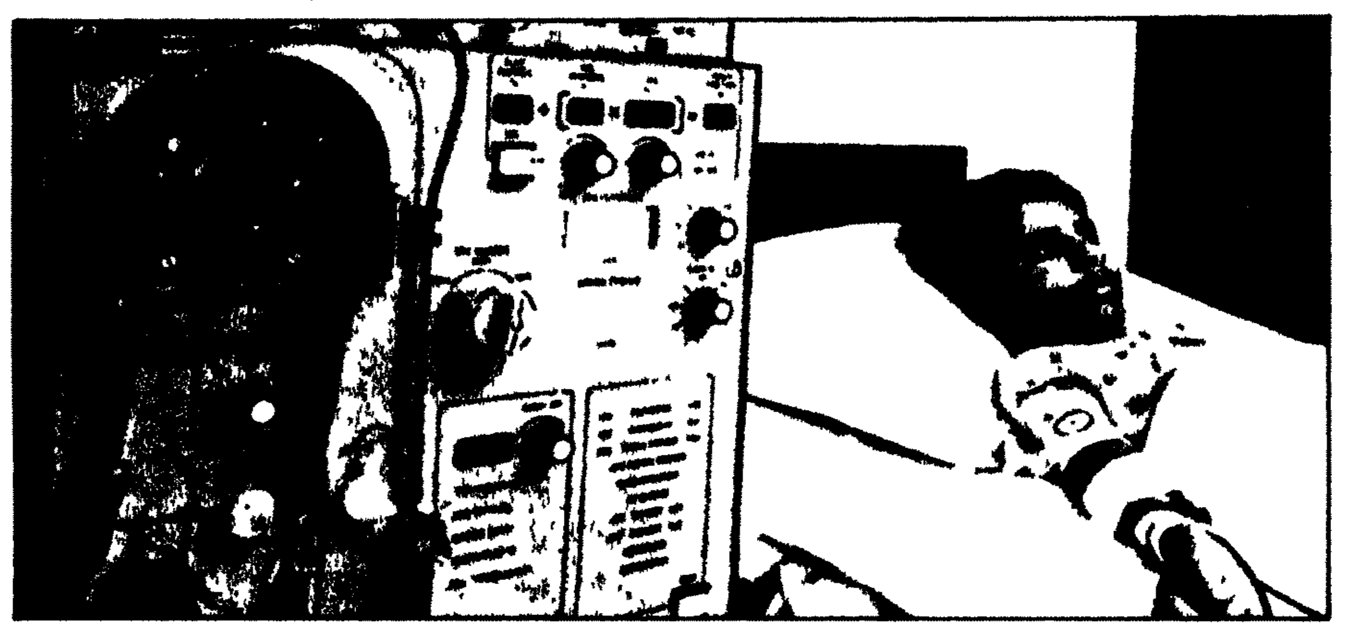
نجاحاً «تكنيكياً» رائعاً على طاولة العمليات، كان السيكلوسبورين يقف متأهباً ليكمل عمل الجراح ويعزّز نجاحه، وليحبط محاولات الجسم لرفض العضو المزروع.

في البدء كانت الأرض:

وأعود بالقارىء الكريم إلى نقطة البداية في اكتشاف «السيكلوسبورين»، السى ما قبل عقدين كاملين من قرننا الراهن، فأرحل معه إلى مزارع النرويج حيث كان باحث زراعي هناك يجري دراسة مستفيضة على التربة: بقصد إثبات أو نفي مزاعم تقول: بأن تلك التربة غنية

وكان منطلق هذه الأبحاث دائماً سؤالاً واحداً متكررا: لم تراب النرويج على الأخص؟.. وبسرعة كبيرة سقطت خصوصية تربة النرويج، وتبين للباحثين أن التراب بتكوينه الرسوبي الجيولوجي يحمل هذه العناصر التي تم الكشف عنها، لكن مشكلة التعرف على هوية تلك العناصر المثيرة ظلت قائمة.

كانت مختبرات فرنسا وسويسرا تعمل جاهدة للتعرف على خصائص هذه العناصر المكتشفة، وتفهم تأثيرها على أنسجة الجسم وأجهزته، ولقد ازداد الباحثون حماسة وحدّدوا وجهتهم في البحث حين أعلن العالم الفرنسي «جان دوسيه» عن



● المعاناة التي ساعد السيكلوسبورين على وضع حد لها

بمضادات فطرية، تفيد في معالجة بعض أمراض النباتات الشائعة هناك. ومن المثير أن نتائج تلك الأبحاث لم تكشف عن وجود هذه الصادّات فقط، بل كشفت أيضاً عن وجود عناصر ذوات طبيعة مختلفة، ونمط غير مألوف، تلقفها الباحثون وأخضعوها لدراسات موسعة إلا أنهم وقفوا عاجزين أمام بعض ألغازها، وكان لا بد من جولةٍ أخرى.

في أماكن أخرى من أوربا، وعلى التحديد في فرنسا وسويسرا، كانت هناك أبحاث مماثلة،

اكتشاف علاقة بين هذه العناصر وبين نظام (H . L . A) المناعي. هذا النظام الذي يبين التوافق أو التضاد بين أنسجة الآخذ والمعطي، والذي لا بد من معرفته قبل إعمال مبضع الجراح في أي عملية زراعة مقررة، وسرعان ما تضافرت الجهود للإفادة من هذه العناصر في إنتاج مركب مناعي يساعد الجسم على استضافة العضو المزروع دون «احتجاج» أو رفض، من خلال خاصية التثبيط المناعي التي اكتشفت فيه، وتمت تسميته بالسيكلوسبورين.



● دقة فائقة في ضبط نسبة السيكلوسبورين

وقد صاحب الإعلان عن هذا الاكتشاف سباق في ادعاء السبق إليه : راحت فرنسا تنسبه إلى العالمين جان دوسيه وجان فرانسوا بوريل ، وسويسرا تردّه إلى الباحثين بورال و كو ـ ووكرز ، وأمريكا تسارع إلى اختباره وتسجيله كواحد من أعظم منجزات العصر الدوائية . وفي غضون ذلك كانت جراحة زراعة الأعضاء بصفتها جراحة العصر تخطو خطوتها الكبرى باتجاه النجاح الحقيقي ، وكانت شمس الأمل تغمر الملايين الذين ينتظرون أن تتاح لهم الفرصة « لاستضافة زائر غريب » في أجسامهم المبتلاة ، بعيداً عن الخوف من الرفض وما يصاحبه من إحباط مدمر .

هوية الدواء الجديد :

من المؤكد أن جوانب عديدة من آثار السيكلوسبورين ما تزال مجهولة حتى الآن ، وأن الآلية التي يعمل بها في الجسم ما تزال غير معروفة على وجه الحصر ، ويتوقع المختصون أن يأتي المستقبل بكشوف جديدة لهذا الدواء لم تكن في الحسبان ، وأنه سيكون الدواء المؤثر الواسع الطيف على مختلف الأمراض المناعية المنشأ .

إن السيكلوسبورين واحد من عديدات الببتيد ، المؤلفة من أحد عشر حمضاً أمينياً ، وهو بأحماضه المتعددة هذه يعمل بكفاءة عالية على إطالة بقاء العضو المزروع ، وهو الأمر الذي كان أمنية الأطباء منذ عُرفت عمليات الزرع ، وأخذت حيزها المعتبر في عالم الجراحة المعاصرة .

أما أهميته الكبرى فتأتي بالدرجة الأولى من فعاليته القوية في تثبيط التفاعلات الخلوية التي تفضي إلى مقاومة الأجسام الغريبة الطارئة على الجسم ، وبما أن العضو المزروع ـ قلباً كان أو كليةً أو كبداً أو بنكرياساً أو جلداً أو نقي عظم أو قرنية عين ـ بما أن هذه الأعضاء أجسام غريبة فإن السيكلوسبورين يصد الخلايا اللمفاوية عن القيام بدورها الرافض ، كما أنه يعطي العضو المزروع حماية وأمناً واستقراراً ومناخاً ملائماً للعيش بسلام في الجسم المضيف .

لقد كانت عمليات الزرع قبل اكتشاف السيكلوسبورين عمليات ناجحة من الناحية التكنيكية ، ولكن المشكلة الكبرى كانت تكمن في أن العضو المزروع كان يواجه رفضاً شبه مؤكد

من قبل الجسم المضيف ، وكان الأطباء يعملون على الإقلال من حدة الرفض بالاستعانة بأدوية متعددة كالكورتيزون ومشتقاته ، ولكن هذه الأدوية لم تكن تخلو من عقبات ومضاعفات كانت تصل في نسبة كبيرة من الحالات ، إلى فشل كلي أو جزئي لعملية الزرع ، أو إلى إلحاق أذى فادح بالجسم المستضيف ، فلما جاء السيكلوسبورين أعطى عمليات الزرع نجاحاً مدهشاً وأعطى المرضى المزروع فيهم أملاً في حياة طبيعية ، أو قريبة جداً من الطبيعية ، وزودهم برصيد كبير من الأمن والطمأنينة .

محاذير الاستخدام

إذا كان لكل دواء وجهان ، فإن هذه الحقيقة تبدو شديدة الحضور مع السيكلوسبورين ، ومن هنا فإن التعامل مع هذا الدواء يجب أن يصحبه حذر شديد ، وما ينبغي للمريض مطلقاً أن يكون له رأي شخصي أو تصرف خاص في مقادير هذا الدواء ، ذلك أن زيادة تركيزه في الدم عن الحد المطلوب يجرد الجسم من أجهزة الدفاع الطبيعية ، ويجعله هدفاً غير مقاوم للميكروبات الغازية ، كما أن نقص تركيزه يؤهب الجسم لعملية الرفض ، إضافة إلى ما يسببه التعاطي غير المراقَب من اختلاطات سيئة ، ليس هنا مجال ذكرها . وإن الطبيب هو الشخص الوحيد الذي يملك الحق في التصرّف بمقادير الدواء زيادةً أو نقصاً . وفي كل الأحوال يلجأ الطبيب إلى قياس مستوى تركيز السيكلوسبورين في الدم بواسطة المختبر في مواعيد محددة ليطمئن إلى أن مايدخل الجسم من هذا الدواء هو ما يحتاجه بالدقة التامة دون زيادة أو نقصان .

ومن ناحية أخرى فإن الحذر ينبغي أن يكون على أشده في حالة تعاطي أدوية أخرى مع السيكلوسبورين ، فقد لوحظ أن بعض الصادات الحيوية والفطرية ، وأدوية منع الحمل تزيد من تركيزه في البلازما ، وأنها قد تؤدي إلى عطب في الوظيفة الكلوية . كما لوحظ أن بعض الأدوية المهدئة ، وأدوية الصرع والسل ، تسبب نقصاً واضحاً في مستوى التركيز ، الأمر الذي يقتضي من الطبيب أن يطلب إجراء معايرات مخبرية مستمرة ، حينما يكون من المتعذر تجنب هذه المشاركات الدوائية الاصطرارية ، لإجراء التعديل اللازم على الجرعة الموصوفة .

وهنالك توجيه خاص للحوامل اللواتي يتعاطين السيكلوسبورين بأنهن مطالبات بأن يراجعن الطبيب فور حدوث الحمل ، وأن يحرصن على التردد عليه بانتظام ، حتى إذا وضعن حملهن كان عليهن أن يتجنبن الإرضاع من الثدي ، لأن السيكلوسبورين يتسرب إلى الرضيع مع الحليب ، وفي هذا ضرر بالغ على



تساؤل :

ترى . . أكان ذلك الباحث النرويجي يعلم وهو يملأ كفيه بتراب مزرعته ثم يهرع به إلى المختبر أنه يطلق رصاصة البدء لسباق رائع باتجاه إنجاز دوائي ما لبث أن أخذ مكانه بين الأسماء الرائدة في عالم الصيدلة ؟ . . أغلب الظن أن الأمر لم يكن كذلك ، ولكن بعض الأعمال الخالدة تتولد من الصدفة . . وكم جاءت المصادفات بالأعاجيب . □



أرقام

بقلم : محمود المراغي

الشعب الزئبق

ماذا بقي من لبنان ؟

ربما كانت الأرقام أكثر قدرة على تقديم إجابة ، ولكن أين هي الأرقام ؟

تلك هي المعضلة . وهي معضلة استمرت خمسة عشر عاما أو يزيد ، وما زالت مستمرة !

المعروف أن لكل شعب قسماته ، وإحدى هذه القسمات : حجم هذا الشعب ، ونسبة تزايده ، ونسبة رجاله إلى نسائه وأطفاله ، وتوزيعه على الأرض .

وشعب لبنان ، كان الكثير من أوضاعه قابلاً للحصر ، وكانت الإدارة المدنية اللبنانية أكثر تقدما من غيرها في المنطقة العربية ، وكانت نسبة التعليم مرتفعة ، كما كانت نسبة التحضر (أي سكان الحضر) نسبة غالبة تصل إلى ثلثي السكان على وجه التقريب .

كان ذلك كله في الستينيات ، وعندما جاءت الحرب الأهلية في السبعينيات ، بدأ الخلل ، واتسع بقدوم الاحتلال « الاسرائيلي » ، ثم زاد اتساعا باستمرار الحرب الأهلية ، حتى بات من السهل أن نقول إن الشعب اللبناني هو « الشعب الزئبق » لا تكاد تلمسه وتحصر عدده حتى تفلت الأرقام من يدك ، فصباح بيروت غير مسائها ، وشتاؤ ها غير صيفها .

تقريران ونتيجة واحدة !

لبنان شعب صغير لم يتخط كثيرا رقم مليونين ونصف مليون نسمة ، ولبنان شعب مهاجر ، لكن الهجرة ليست حائلا دون التعرف على أحوال هذا الشعب ، والدليل : هجرة الفلسطينيين التي لم تمنع حصر أعدادهم بل وحصر حالتهم التعليمية وتخصصاتهم المهنية والفنية !

لبنان ، طبقا لتقارير الجامعة العربية كان يتراجع سكانيا طوال الثمانينيات ، ويسجل التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٨٨ أغرب ظواهر سكانية ، فسكان لبنان طبقا للتقرير :

كانوا مليونين و (٦٧٠) الف نسمة عام ١٩٨٠ ، وانخفض العدد بمقدار عشرة آلاف في العام التالي ، وبمقدار عشرة آلاف أخرى عام ١٩٨٢ وللغرابة ، بقي الرقم ثابتا لا يتحرك ثلاثة أعوام تالية ، على خلاف الشائع سكانيا في العالم .

وطبقا للتقرير الاقتصادي العربي الموحد كذلك ، زاد السكان إلى مليونين وسبعمائة ألف نسمة عام ١٩٨٦ ، واستمرت الزيادة بقدر محدود عام ١٩٨٧ .

ويظهر الارتباك في التقرير عدة مرات ، فبينما حدد عدد السكان عام ١٩٨٦ بمليونين وسبعمائة ألف نسمة ، حُدد العدد نفسه في تقرير العام السابق بثلاثة ملايين نسمة ، وإن تحفظ في تقديره لحالة السكان عام (٢٠٠٠) فتركها خالية تماما !

ويبدو الارتباك نفسه حين يقدم التقرير حجم القوى العاملة حتى عام (٢٠٠٠) على الرغم من أنه لا يستطيع تحديد حجم السكان ، وعلى

الرغم من أنه التزم الصمت أمام اللغز الاكبر وهو : معدل الوفيات .

لقد استطاع الاحصائيون أن يقدروا معدل المواليد وهو (٦٥) بالألف ، لكنهم لم يستطيعوا أن يسابقوا الرصاص فيحصوا اللبنانيين تحت الأنقاض .

تقرير « التنمية في العالم » الذي أصدره البنك الدولي عام ١٩٨٩ كان أكثر تحفظا فالتزم الصمت ازاء حالة لبنان ، وترك خانة السكان بيضاء من غير سوء ، وتوقفت بياناته عام ١٩٨٠ ، مع التحفظ أيضا .

إذن ، فنحن امام تقريرين يصلان بنا إلى النتيجة نفسها ، إنه الشعب الزئبق الذي لم يستطع أحد احصاءه .

القتل على مختلف الجبهات

القتل إذن في لبنان لم يشمل البشر وحدهم ، ولم يشمل مرافق الانتاج وكيان الدولة ، لكنه شمل أيضا أبسط وسائل التعرف على الأوضاع : تعداد من يقيمون على هذه الأرض !

ويبدو أن المشكلة كانت قائمة قبل الحربين : الأهلية و « الاسرائيلية » ، ويبدو أن هناك من يحرص على إخفاء الخريطة السكانية التي تعرفها كل بلاد العالم ، فالأوضاع السياسية في لبنان ، وتركيبة الحكم جرى ترتيبها على أساس طائفي ، والاساس الطائفي ارتكز - فيما يرتكز - على حجم هذه الطائفة أو تلك ، وعندما تراجع حجم الموارنة بين الطوائف اللبنانية ، بل وبين الطوائف المسيحية نفسها لم يعد لهم صالح في اجراء التعداد ، أو كشف الحقائق السكانية .

وربما كان العكس بالنسبة للشيعة أو المسلمين بشكل عام الذين فاق عددهم عدد المسيحيين كما تذهب التوقعات .

الخريطة السكانية اذن قضية سياسية ، وليست مجرد مسألة فنية أو اقتصادية .

ويدخل في باب السياسة : غياب الدولة وغياب الحكومة المركزية التي تبسط نفوذها على كل الأرض ، وكل الشعب ، وتستطيع أن تمارس « حق الاحصاء » !

وفي الباب السياسي نفسه يدخل التقسيم الواقعي للبنان ، كما يدخل احتلال « اسرائيل » للجنوب .

وعلى الطرف الأخر ، الفني ، تأتي قضية الواقع السريع التغيير والتحرك ، فتبعا لوطأة العمليات العسكرية يكون التدفق السكاني ، للخارج أو للداخل ، وتبعاً للمفاهيم الاحصائية المختلفة يكون إدخال المهاجرين في التعداد ، بما فيهم هؤلاء الذين يحملون جنسية مزدوجة والذين توطنوا في الخارج ، وربما للأبد . لقد توطن اللبنانيون في كندا واستراليا وغرب افريقيا ، والتحق القادرون أخيراً بفرنسا وقبرص وغيرهما فمن يدخل التعداد؟ ومن يخرج منه ؟ المشكلة فنية وسياسية .

بلا تنبؤ

في كل بلاد العالم يجري تقرير توقعات المستقبل ، فذلك أحد المؤشرات الرئيسة للتنمية الاقتصادية المطلوبة وحساب الموارد .

في لبنان يتعذر ذلك ، فالمواليد ، والوفيات ، والهجرة الداخلية التي مورست على نطاق واسع ، والهجرة الخارجية التي لم تتوقف ، كل ذلك في علم الغيب ، وضمير « الميليشيات » المتقاتلة !

لا أحد يعرف ماذا يجري غداً في لبنان ، فالمجهول أكثر من المعلوم ، ومحاولة التعامل سياسيا بالأرقام ، أي محاولة تحديد حجم الخراب والانهيار بالاحصاء ، هاتان محاولتان بلا طائل ، وبلا علاج .

الحل : أن تنتهي الحرب ، ويلتئم الشعب ، وتقوم الدولة الموحدة على أرض الواقع ، وبدون ذلك تستمر حالة « الشعب الزئبق » ويستمر الجهل بتعداد لبنان وهو أحد مظاهر المأساة . □

العربي ـ العدد ٣٧٨ ـ مايو ١٩٩٠م



محنة باقة ورد

قصة مترجمة

بقلم : وليام سانسوم *

ترجمة :

عبدالكريم محفوض *



حينما كان سيل يتجول في حديقته ، حدثته نفسه فجأة « لكم أحب أن أقطف بعض هذه الورود وآخدها الى الآنسة (د) »

كان عصر دلك اليوم رائقا ودافئا ، وكان النسيم العليل يلهو بأشجار الكستناء الطويلة بين أزهار الخطمي كان هنالك طنين عذب حينما كان النحل يهوم من زهرة إلى أخرى ، وقتها كان سيل يرتدي قميصا مفتوحا ، وكان يشعر بالانتعاش والحبور لتلك النسيمات التي كانت تدغدغ جسده بالرطوبة ، تحت قميصه وحول أضلاعه . لقد كان عصر ذلك اليوم الصيفي عصراً رائقا ، وما كان هنالك من شيء يكدر صفو سيل . إن مثل هذا الوقت كان مناسباً لانتعاش الأمل بقيام دافع بسيط ونزيه

شعر سيل بغبطة كبيرة بمنظر الورود التي حوله ، ومن هذه الغبطة تفتق عنده شوق عارم للعطاء كان في قرارة نفسه يتمنى أن يعطي . ولذلك فإنه حبط عشواء ودون أي روية قال « هاهنا أنا سيل تحدوني رغبة ما » كان كل مايريده لايتعدى العطاء لأي حل بشرى ، وصادف أن كانت الآنسة (د) أول شخص يحطر على باله لم يكن متعلقا بالآنسة (د) بأي شكل من الأشكال ، لأنه كان يعرفها معرفة طفيفة كفتاة تقدمت بها السنون إلى العشرين من العمر ، وجاءت منذ فترة من الزمن لتقطن في أحد طوابق العمارة قبالة حديقته والشيء الوحيد الذي كان يجعلها تخطر على باله هذا ـ إن خطرت ـ هو أنه كان يمقت الطريقة التي تمشي بها . لقد كانت تمشي بطريقة جامدة يسبح فيها جسدها الطويل في الوقت الذي كانت فيه ساقاها تتراكضان لمواكبته . ولكنه الآن لم يكن يفكر بهذا الأمر البتة ، بل من قبيل المصادفة المحض كان يلمح العمارة كلما انحنى

* كاتب انجليزي من مواليد سنة ١٩١٢ * كاتب ومترجم من القطر العربي السوري

لقطف وردة من الورود ، فالعمارة هي التي طرحت صورة الآنسة (د) على ذهنه .

وقع اختيار سيل على بعض الورود العادية المبتذلة . وعندما كانت تنقصم كل ساق من السيقان كان يطلق الصفير من بين أسنانه . لقد اختار هذه الورود العادية لأنها كانت أقرب الورود الى متناول يده ، ولأنها في المقام الثاني نضرة ومفعمة بالحياة . إنها لم تكن ورودا نادرة ولا مكلفة ، بل كانت مجرد ورود لطيفة يانعة ومتواضعة .

خرج سيل من حديقته مفعماً بالرضى عن نفسه وهو يحمل الورود في يديه ، وحط قدمه على الرصيف « الاسفلتي » الذي يفضي إلى العمارة المقابلة عبر الطريق . ولكن ما أن لامست قدمه الاسفلت ، وما أن حدجه رجل كهل بنظرة خبيثة لحظة عبوره ، وما أن دب النشاط في حركة السير من جديد حتى بدأت تتتابع بعض الهواجس ، وتجمد النشوة الاعتباطية في سريرته . هجس فيما بينه وبين نفسه « ويحي ، ما هذا الذي أنا فاعله ؟ »

وخطا خارج نفسه ورأى سيل يحمل باقة من الورود الرخيصة الى الآنسة (د) في العمارة الواقعة عبر الطريق .

« هذه ورود رخيصة » حدث نفسه : « إنها هدية مفاجئة ، لسوف أبتسم وأنا أناولها إياها ، ولسوف نعرف ـ كلانا ـ أنه ما من سبب وجيه لهذه الهدية ، ولذلك فإن الأمر برمته سيوحي بالطيبة ، بالطيبة والأخوة البسيطة . ونظراً لذلك السبب نفسه ستبدو هذه اللفتة مني ـ بطريقة أو بأخرى ـ أنها موقف من أكثر المواقف المتعمدة افتعالا . فمثل هذه اللفتة البسيطة شيء محال ، والأمر غير المحتمل سوف يكون موضوع الظن ، وهديتي هذه ستعد شيئا مصطنعا بالتأكيد » .

« آه ، ألا ليت لي سببا ما ـ كالتبجيل أو المكسب المادي أو الغواية ـ ليت لي أي دافع من الدوافع المقبولة التي قد تعود بورودي الى اطار التواد الاجتماعي . ولكن لا ـ ليس في دخيلة نفسي شيء من هذه الاشياء . إن كل ما أتمناه هو أن أعطي وأن لا أنال شيئا بالمقابل » .

وبينما كان يتابع طريقه تمكن سيل من رؤية نفسه منحنياً ومبتسما ، لقد رأى نفسه وهو يبتسم ابتسامة أعرض مما ينبغي ، ويبالغ باعتذاراته عن فعلته الطيبة . هيمن عليه شعور بالتقزز وهو يرى نفسه يلبس لبوس الشجاعة العتيقة . لقد تمكن أن يرى تلك الابتسامة الساخرة على وجه الآنسة (د) ، ابتسامة الفطنة .

رمى الورود في « البالوعة » وعاد أدراجه على مهله الى حديقته . من شباكها في أعالي الطوابق الاسمنتية ، شاهدته الآنسة (د) وهو يطوح بالورود . لكم كانت تبدو وروداً نضرة ! لكم كانت ستشيع جواً من الحياة في غرفتها السقيمة ! « يالها من لفتة كريمة » همست الآنسة (د) « لو أن السيد سيل جلب لي تلك الباقة اللطيفة من الورود ! يالها من لفتة كريمة لو أنه قطفها من حديقته وجاء بها الى هنا ، وقدمها ـ ولو من قبيل المصادفة المحض ـ هدية لي في عصر هذا اليوم الممتع » هذا ما حلمت به الآنسة (د) بضع دقائق فقط .

وقطبت جبينها بعد ذلك ونهضت وعدلت ثوبها ومضت مسرعة الى داخل المطبخ « حمداً لله على أنه لم يفعل ذلك » وتنفست الصعداء . لو فعل ذلك لخالجني الارتباك الشديد . ولكن ، أفلا يبدو عليه بأنه كان يقصدني . « لو قصدني لكان الموقف مشحونا بالعواطف بحيث تعجز الكلمات عن التعبير عنه » . □

فضل المشورة

● قال لقمان لابنه : يابني ، اجعل عقل غيرك لك في ما تدعو الحاجة إلى فعله . فقال ابنه : كيف أجعل عقل غيري لي ؟ قال : تشاوره في أمرك .



بقلم : الدكتور عبد المهدي طالب رحمة الله *

هل يمكن أن يمر تيار كهربائي في سلك دون أن يسخن ؟ وماذا يعني عدم سخونته ؟ ثم ماذا يعني وجود مثل هذا السلك ؟ هل يعني بداية عصر جديد للألكترونيات ؟

لا شك أن تراكم المعارف والخبرات قد مكّن إنسان القرن الحالي أن يحقق ما يعادل ما حققته الأجيال التي سبقته قروناً عديدة أو ما يزيد عن ذلك ، فمع بدايات هذا القرن تمكن كل من فلمنغ وفورست من تصميم الأنابيب الألكترونية المفرغة واختبارها . أحدث هذا ، وما طوّر عنه ، ثورة في عالم الألكترونيات ، فقد أمكن في البداية قياس الضغوط الواطئة التي تحدثها أجهزة التفريغ بتلك الأنابيب ، ثم امتد استخدامها لتشمل أجهزة لا حصر لها ، منها المذياع وبقية أجهزة الارسال والاستقبال والكشف والحاسبات وغيرها التي أعطت الوجه الحضاري للنصف الأول من هذا القرن .

في عام ١٩٤٨ دخل الإنسان - إن صح التعبير - العصر الألكتروني الثاني باكتشافه (الترانزستور) ، وأحدث هذا الأخير ثورة في عالم الألكترونيات ، لا يتسع المجال هنا للحديث عنها ، لكنها دون شك مهدت للإنسان غزو الفضاء ، وتحقيق منجزات كانت مجرد أضغاث أحلام .

في منتصف عام ١٩٨٦ بدأت ثورة جديدة في

* أستاذ فيزياء بكلية العلوم - جامعة بغداد .

عالم الألكترونيات باكتشاف ما يعرف الآن بالتوصيلية الكهربائية المفرطة ، أو ما يسمى أحياناً الناقلية الكهربائية الفائقة

واخترق السائل الزجاج

خلال العقود السبعة المنصرمة عرفت ظاهرتان مهمتان في عالم الدرجات الحرارية المنخفضة (الزمهريريات) ، هما ظاهرتا التوصيلية المفرطة ورديفتها السيولة المفرطة اللتان تعاملهما النظريات الفيزيائية على الأسس العلمية نفسها ، فظاهرة السيولة المفرطة التي لما تثر بعد فضول العلماء بدرجة التوصيلية المفرطة نفسها ، فهي بالتحديد ما يعاني منه الهليوم المسال ، بعد اجتيازه درجة ٢,١٨ كلفن باتجاه الصفر المطلق من تغاير طوري ، ليصبح ذا سيولة مفرطة ، أي تتلاشى عند ذلك لزوجة السائل بوضوح ، ثم يمكنه اختراق جدران الأوعية التي تحتويه ، ومنها الأوعية الزجاجية ، وعند ذلك أيضاً تنتقل الحرارة خلال السائل بسرعة تقرب من $\frac{1}{10}$ من سرعة الصوت في الهواء ، وتسمى أحيانا « الصوت الثاني »

الظاهرة الثانية ، التوصيلية المفرطة التي تستأثر بالاهتمام حالياً لها قصة طويلة

ففي عام ١٩١١ اكتشف العالم الهولندي كامرلينغ أونز أن تبريده بلورة نقية من الزئبق إلى درجة الهليوم المسال (٤,٢ كلفن) جعلها تفقد مقاومتها الكهربائية بشكل مفاجيء وهو ما عدّ البداية لاكتشاف ظاهرة التوصيلية المفرطة

ويعني هذا الاكتشاف أنه في دائرة مغلقة من الزئبق ، أو أي مادة تمتاز بالخواص نفسها ، فإن التيار الكهربائي يمكن أن يمر إلى ما لا نهاية دون تبديد كالذي يحدث في الأسلاك التقليدية الناقلة للتيار الكهربائي وقد لوحظت الظاهرة نفسها في الرصاص ومعادن أخرى ، كما لوحظ أن هذه الظاهرة تفقد خصائصها عند استخدام تيار عال نسبياً ، أو بوجود مجال مغناطيسي عند قيمة معينة ، وقد سميت قيم التيار أو المجال المغناطيسي هذه بالتيار الحرج والمجال المغناطيسي الحرج على التعاقب ، وتتحدد قيم التيار أو المجال المغناطيسي وفقاً لدرجة الحرارة

والآن ما الفرق بين الموصلات العادية والمفرطة ؟ في الأسلاك المعدنية الاعتيادية تمر الألكترونات عبر مسار مليء بذرات المعدن والشوائب ، إضافة إلى الشقوق المجهرية ، وبتصادم الألكترونات بالذرات تفقد قسما من طاقتها ، مما يجعل السلك المعدني يسخن

أما في الموصلات المفرطة فإنه يفترض أن كل الكترون يسحب مجموعة من الذرات التي تخالفه في الشحنة باتجاهه ، وهذه تسحب بدورها الكتروناً ثانيا ، وهكذا تصير المادة سالكة لسيل الألكترونات اللاحقة ويمكن تصور خط سحب بين كل الكترونين متلاحقين في المسار ، ولذلك يعزى سبب حدوث ظاهرة التوصيلية المفرطة في الدرجات الحرارية المنخفضة إلى تدني سرعة اهتزاز الذرات ضمن مسار الألكترونات ، مما يقلل من احتمالية تصادم الألكترونات معها ويتم الحصول على الدرجات الحرارية المنخفضة بتسييل مختلف الغازات باستخدام ضغوط عالية

حتى عهد قريب كانت ظاهرة التوصيلية المفرطة مقترنة بالدرجات الحرارية المنخفضة وعلى الأخص درجة حرارة الهليوم المسال ولما كان حفظ المواد في مثل هذه الدرجة المنخفضة يحد من استخدامها لأغراض مهمة ، بالإضافة إلى الكلفة العالية وندرة الحصول على سائل الهليوم ، أو حتى حفظه ، فإن التطور باستغلال ظاهرة التوصيلية المفرطة ظل مقصورا على استخدامات محددة ، كقياس ارتفاع سائل الهليوم في الأوعية الفولاذية التي تحويه

لو وجد الموصل

لو أمكن الحصول على موصل عديم المقاومة للتيار الكهربائي فإن ذلك سيحدث ثورة

اقتصادية لا مثيل لها ، إن ذلك سيوفر ما يقارب ١٥٪ من الطاقة الكهربائية المهدورة على شكل حرارة في شبكات الطاقة الكهربائية الحالية ، وهي كذلك ستسهل رفع القطارات في الهواء (انعدام الاحتكاك) باستعمال المغانط ذات التوصيلية المفرطة ، كما يمكن رفع المواد الثقيلة في خطوط الإنتاج والتجميع في الصناعة ، وسيتمكن الأطباء من رؤية باطن جسم الإنسان دون إجراء مداخلات جراحية باستخدام مغانط فائقة التوصيل في أجهزة الرنين النووي المغناطيسي (NMR) . لكنها دون شك ستحدث ثورة في عالم الرقائق الألكترونية وربما أمكن صنع حاسبة الكترونية على رقيقة واحدة .

سباق العلماء

لقد وجد أن معظم العناصر تصبح مفرطة التوصيل عندما تصبح درجة حرارتها بحدود درجة الهليوم المسال ، ولكنها ـ كما أسلفنا ـ صعبة المنال والحفظ ، وهذا ما حفز العلماء للبحث عن بديل لحل هذه المعضلة .

وفي عام ١٩٧٣ تمكن العلماء من رفع درجة حرارة التوصيلية المفرطة إلى ٢٣ كلفن ، باستخدام مركب نيوبيوم ـ قصدير ـ جرمانيوم . وفي عام ١٩٨٥ تمكن كل من مولر وبينوروز في مختبرات أبحاث زيوريخ ، وباستخدام أكاسيد معادن (باريوم ـ لانثولوم ـ نحاس ـ أوكسجين) المعروفة بالسيراميك من رفع درجة الحرارة تلك إلى ٣٥ كلفن .

وتوالت الأبحاث والنتائج فيما يشبه الهستيريا ، للحصول على مركبات تصبح مفرطة التوصيلية بدرجات حرارية أعلى ، وكان لليابانيين نصيب الأسد في ذلك ، إذ تمكن شو ، وفريق عمله ، في بداية عام ١٩٨٧ ، من الحصول على مركب يصبح مفرط التوصيل عند درجة ٩٤ كلفن ، وهذا إنجاز مهم ، إذ أنه يعني أنه يمكن الحصول على التوصيلية المفرطة باستخدام النيتروجين السائل الزهيد الثمن بدلاً من الهليوم السائل .

وفي عام ١٩٨٨ أعلنت وحدة أبحاث المعادن في وكالة العلوم والتقنية اليابانية عن توصلها إلى مركب يصبح ذا توصيلية مفرطة عند درجة ١٠٠ كلفن ، وكان التطور الأكثر إثارة هو ما أعلنه فريق أبحاث من جامعة بيركلي ـ بكاليفورنيا في السنة نفسها عن الوصول إلى درجة ٢٣٤ كلفن ، وما أعلنته جامعة ولاية واين الأمريكية من ملاحظة علامات التوصيل المفرط عند درجة حرارة ٢٤٠ كلفن ، بعد تسليط أشعة مايكروية على أحد النماذج .

وهكذا ، وبشكل سريع ، لم يسبق له مثيل ، أصبح الوصول إلى التوصيلية المفرطة بدرجات الحرارة الاعتيادية أمراً ممكناً ، لكن اكتشاف مواد جديدة في المختبر شيء ، وتحويل هذه المواد إلى منتجات مفيدة علميا وتجاريا شيء اخر . إن تصنيع هذه المواد على شكل أسلاك أو أشرطة مهمة صعبة ،وخاصة أن المواد المكتشفة عبارة عن مواد سيراميكية هشة . وسيكون هناك سبيل آخر نحو تطويع تلك المواد إلى ما يحقق فائدة البشرية . □

*** الآن حل الصيف ، وكما في كل صيف ، تشحنني الحياة بالحركة ، فأنسى عملي. هذا الصيف قاومت شهية الحياة والتنقل كثيرا ، وحاولت الانكباب على عملي ، لكن جمال الدنيا الصيفي هزمني .**

ليو تولستوي

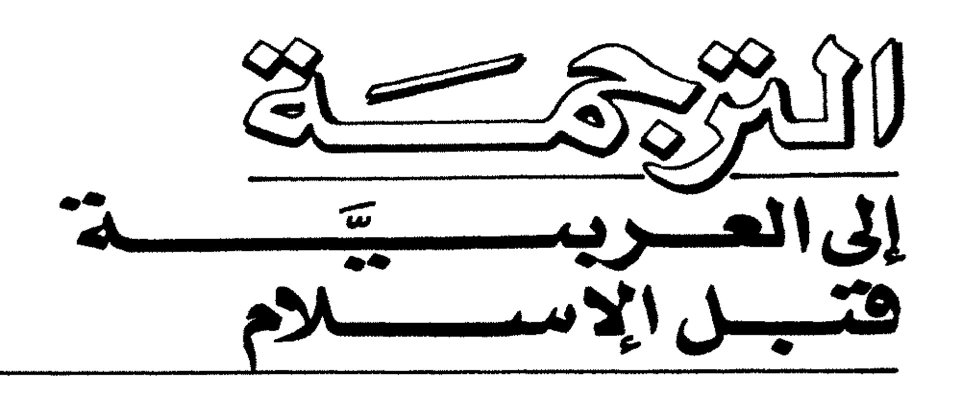



صدر العدد الجديد من:
مايو
١٩٩٠
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين.
في هذا العدد:
استطلاع عن الجبال المنحوتة.
عفرتوس - مسلسل بالألوان.
دعوة مفتوحة لزيارة البحرين.
سرقة في الفضاء.. من الخيال العلمي.
العجوز الذي يحسب لكل شيء حسابه - قصة.
إضافة إلى الأبواب الثابتة:
إسلاميات.
كمبيوتر.
٨ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة.
نتيجة مسابقة العدد ٥٠

« هل عرف العرب لغات أجنبية وترجموا بوساطتها بعض الآثار المهمة في العلم والأدب إلى اللغة العربية قبل الإسلام ؟ » .

لقد اختلف الباحثون والكتاب حول هذا الأمر .

المقال التالي يلقي أضواء على هذه القضية المهمة .



الترجمة إلى العربية قبل الإسلام

بقلم : عبدالرزاق البصير

حتى تكون الترجمة من لغة إلى لغة ترجمة صحيحة ، فإنه لابد أن يكون المترجم متقناً للغة التي ينقل منها ، واللغة التي ينقل إليها كل الاتقان ، ولابد أن يكون للمترجم أسلوب واضح ليكون ما يترجمه بيِّناً لمن يقرؤه .

وقد تحدث كثير من المؤرخين عن الترجمة إلى العربية أيام خالد بن يزيد بن معاوية ، وقد قام بذلك اصطفان القديم حيث نقل بعض كتب الكيمياء . كما نقل ماسرجويه البصري كتاباً فى الطب أيام مروان بن الحكم ، ثم يسود صمت المؤرخين مدة الخلافة الأموية كلها ، حتى تأتي خلافة المنصور . عندها يتبسط المؤرخون في حديث النقل إلى العربية ، فهم يخبروننا أن كثيراً من كتب الفلك والطب والهندسة والفلسفة وبعض كتب الأدب ، نقلت من الفارسية والسريانية واليونانية والهندية إلى اللغة العربية . ويبدو أن الترجمة كانت ترجمة متقنة ، بدليل أن من قرأها فهمها فهماً دقيقاً إلى حد أن المشهورين من أدباء العربية وعلمائها ، تمثلوا ما قرأوا تمثيلا كاملاً مكنهم من أن يؤلفوا كتباً يناقشون فيها (اقليدس) و (أفلاطون) وغيرهما من الفلاسفة والأطباء والمهندسين .

التأثر بالترجمة

يجمع المؤرخون على أن أبا نواس وأبا تمام والبحتري وبشارا والمتنبي والجاحظ والنظام وأباحيان التوحيدي وجماعة إخوان الصفا كانوا كلهم متأثرين بما نقل إلى العربية من كتب فلسفية وأدبية .

ومن المحقق أن كثيراً من الكتب التي نقلت إلى العربية أتى عليها الزمن ، ولم يبق منها إلا القليل ، أشهرها كتاب كليلة ودمنة ، ورسائل ابن المقفع ، والحق أنك حين تقرأ آثار ابن المقفع يتضح لك اتقان هذا الأديب للغة العربية ، إذ أنك لا تشعر وأنت تقرأ هذه الآثار بأنها مترجمة من لغة أجنبية ، فكأنها كتبت بالعربية .

ومما هو معروف عند الناس أجمع أن ترجمة الكتب العلمية أصعب بكثير من ترجمة الكتب الأدبية ، لأن العلوم التطبيقية كالطب والهندسة تعتمد على كثير من المصطلحات ، أما الكتب الأدبية فإن مصطلحاتها أقل من المصطلحات العلمية

ومن الغريب أن أحدا من المؤرخين لم يحدثنا عما لقيه أولئك المترجمون من مصاعب لغويه ، وكيف تغلبوا عليها حين قاموا بهذه المهمة الخطيرة ، وهو أمر مهم،لأن تطويع اللغه للمترجمين الأوائل أمر غاية في الخطورة ، وكان من المفروض أيضا أن يقف المؤرخون عند أسلوب المترجمين إشاده او نقدا ، ولكننا لم نجد شيئ من ذلك وعلى كل حال فإن المؤرخين مجمعون على أن الترجمة بدأت أيام خالد بن يزيد ، ولكني أعتقد أن اللغة العربية شهدت ترجمة قبل العصر الأموي ، والدليل على ذلك ما نجده من مفردات غير عربية وردت في القران الكريم على أن آراء العلماء مختلفة في المفردات الأجنبية التي وردت في القرآن

فقد ذكر السيوطي أن المفردات التي نقلت إلى العربية بلغت (١٢٤) كلمة ، وقد عدد اللغات المنقول عنها تلك الألفاظ فأوصلها إلى احدى عشرة لغةهي الحبشية والفارسية والرومية والهندية والسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية

اتصـــال مســـتمر

وفي هذا النقل دلالة على أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا أمة منطوية على نفسها ، وإنما كانوا متصلين بغيرهم من الأمم اتصالاً اقتصاديا وسياسياً ، فإن نقل الألفاظ الأجنبية لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان الاتصال قوياً مع الأمم التي نقلت منها تلك الألفاظ

وإذا ما تساءلنا عن كيفية نقل هذه الألفاظ فإننا لا نجد جواباً عن هذا التساؤل . وربما يعود سبب ذلك الى ضياع كثير من كتب التراث ، لا سيما الكتب التي ألفها العرب قبل الاسلام

فقد ذكر ابن سلام في طبقاته أن النعمان أمر أن تنسخ له أشعار العرب في الطنوح ـ وهي الكراريس ـ ثم دفنها في قصره الأبيض فلما كان المختار بن أبي عبيد قيل له إن تحت القصر كنزا ، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار

ومما لا يحتاج إلى بيان أن محمد بن سلام من العلماء الموثوقين الذين إذا وجدوا ما يخل بأي خبر أوضحوا ذلك لقرائهم ، ولم نجد ابن سلام قد ضعّف هذا الخبر أو شك فيه

وعلي أن أشير إلى أن القراءة والكتابة كانت شائعة في الجاهلية والأخبار عنها كثيرة يطول بنا الحديث لو أردنا استقصاءها هنا

فنكتفي بما رواه أبو الفرج الأصفهاني من أن عمرو بن كلثوم بلغه أن النعمان يوعده ، فدعا كاتبا من العرب فكتب إليه

ألا أبلغ النعمان عني رسالة
فمدحك حولي وذمك قارح
متى تلقني في تغلب ابنة وائل
وأشياعها ترقى إليك المسالح

وروى أبو الفرج أيضا أن لقيط بن يعمر الأيادي صاحب الصحيفة المشهورة التي حذر فيها قومه غزو كسرى على غروهم ، وفيها قوله

سلام في الصحيفة من لقيط
إلى من بالجزيرة من أياد

وختمها بقوله

هذا كتابي إليكم والنذير لكم
لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا

وقد فصل الحديث في انتشار الكتابة في الجاهلية الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه القيم (مصادر الشعر الجاهلي)

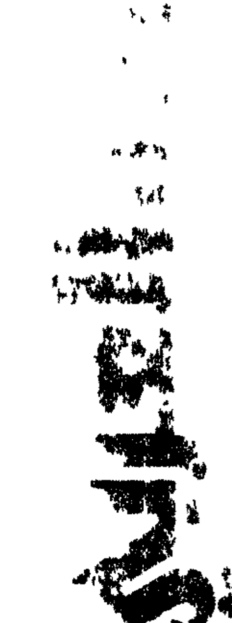
تســاؤلات مهمــة

الذي أريد أن أصل إليه هو أن أموراً كثيرة تتصل بالكتابة والتأليف في الجاهلية قد غمرتها

العصور ، الأمر الذي يترك كثيراً من التساؤلات المهمة دون جواب من هذه التساؤلات ما يتعلق بكيفية نقل الألفاظ الأجنبية إلى اللغة العربية ، وقد أشرنا إلى نقل بعضها إلا اننا نتساءل كيف نقلت هذه الألفاظ نقلا مستساغا إلى درجة أنها دخلت في اللغة العربيه وامتزجت فيها امتزاجاً جعلها ألفاظا عربية استعملها القرآن الكريم كلفظة (الاستبرق) و (السندس) و (الأسفار) و (سكر) في قوله تعالى (تتخذون منه سَكرا ورزقا حسنا) « اية ٦٧ » سورة النحل

وقد نقل الدكتور محمد عيد ذلك في بحث ممتاز نشره في مجله (اللسان العربي) اعتمد فيه على مصادر موثوقة

ومن يدري فلعل الباحثين يتمكنون بأن يبددوا لنا ظلام هذه الحيرة في هذه القضية فيما يأتي من الأيام فإن هناك خطأ يرتكبه الكثيرون عن حسن نية وهو أنهم يعتقدون بأن من الأفضل للاسلام أن يقود أمة لا تملك شيئاً من الثقافة ، ولذلك نجدهم يجتهدون في التقليل من شأن العرب قبل الإسلام ، في حين أن المنطق الصحيح يقول بأن من الفخر للإسلام أن يقود أمة تمتلك ثقافة وفهماً دقيقين للأمور التي تناسب حياتهم ، فإن قيادة الأمة المثقفة أصعب بكثير من قيادة الأمة الجاهلة التي تأخذ كل ما يقال لها من غير حوار أو نقاش وما الشعر الجاهلي الذي أجمع نقاد الأدب على رفعة مكانته لما يتضمنه من تصوير صادق لحياتهم من حيث عقائدهم في الحياة والموت ، ومن حيث ما كانوا يصطنعونه في حياتهم من أمور حضارية (كالزنجبيل) و (الحرير) و (النمارق) و (الزجاج) وغير ذلك كثير ، ليس هذا الشعر الذي يتبع قواعد محكمة في الوزن والنحو والقافيه إلا دليلا ساطعا على أن عرب الجاهليه غير ما يصفهم الكثير من الناس □





عندما أعلن في باريس نبأ وفاة الملك البريطاني جورج الثالث دون أن يؤيد هذا النبأ رسميا ، جاء أحدهم يسأل السياسي الفرنسي تاليران الخبر اليقين ، فقال له تاليران :
ـ بعضهم يقولون إن الملك البريطاني مات ، وآخرون يقولون إنه لم يمت ، وأنا شخصيا لا أصدق هؤلاء ولا أولئك ، هذا سر وأرجو ألا تورطني نفضحه .

□□□

سرعة قضاء الحاجة

● قال عبدالله بن عامر لمعاوية . إن لي عندك حاجة ، أتقضيها ؟ قال : نعم ، ولي عندك حاجة أتقضيها ؟ قال نعم . فقال معاوية : سل حاجتك .
قال : أريد أن تهب لي دورك وضياعك بالطائف ، قال : قد فعلت ، قال : فسل حاجتك ، قال : أن تردها علي ، قال : قد فعلت .

□□□

العجوز والطبيب

● ذهب رجل عجوز إلى أحد أطباء العيون ليعرض نفسه عليه ، وبعد أن فحصه الطبيب قال له العجوز :

ـ هل هناك شيء خطير يا دكتور ؟ إنني خائف ، فلم أعد أرى إلا بصعوبة ، طمئني يا دكتور .
فقاطعه الطبيب قائلا :

ـ ما هذه الضجة التي تحدثها ؟ أنا نفسي لم أعد أستطيع الرؤية إلا بصعوبة ، ولم أحدث قط مثل هذه الضجة .

□□

العميد والصديق والهدية

● أراد عميد كلية في إحدى الجامعات أن يهدي صديقا له نسخة من كتابه الجديد ، فكلف ناشر الكتاب بارسال تلك النسخة ، فأرسل الناشر نسختين بدلا من نسخة واحدة ، وبعد حين ، قابل العميد صديقه وسأله :
ـ هل جاءك كتابي الجديد ؟
فأجابه :
ـ نعم ، وقد انتهيت من قراءة الجزء الأول ، وكدت أفرغ من قراءة الجزء الثاني !

□□

في الصميم :

إن الضمير لا يحول أبـدا دون ارتكـاب الخطيئة ، ولكنه يمنعك من التمتع بها .

« ثيودور درايزر »

هناك لحظة في الحياة نكره فيها الكذب أشد الكره ، إنها اللحظة التي يكذب علينا فيها أحدهم .

« اندريه روسان »

لكمْ كانت الحياة جميلة لو أن الذين لديهم مـال يستعملونه كما يمكن أن يـستعـملـه أولئك الذين يفتقرون إليه فيما إدا كان لديهم مال .

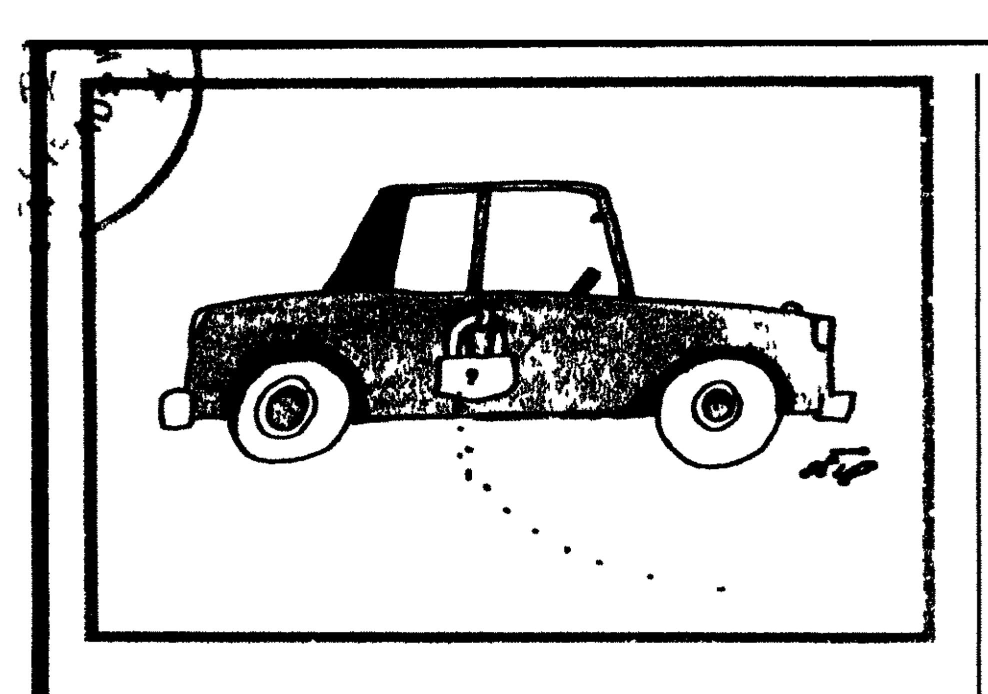
« موريس دورون »

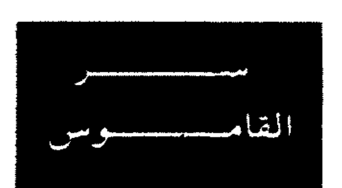
قاموس الظرفاء :

الحماس : هو اللحظات التي لا يسع المرء فيها الامتناع عن ارتكاب الحماقات .

المقبلات : شيء تأكله فتفقد قابليتك للطعام .

الصحراء : هي المكان الوحيد الدي لا يمكن هدمه إلا بالتعمير .





● إبني الان أستميد من القاموس أكثر من السانق ، فقد صارت معرفة الكلمة أسرع ، إذْ اكتشمت سراً في القاموس . وهو أن كلماته واردة حسب الترتيب الهحائي

غريب والله هذا الامر

● كـان للموسيقـار الفرنسي جول ماسنيه مقعد خاص في مسرح الأوبرا - كوميـك في بـاريس ، ولكنه لم يكن مـواظبا عـلى اشغاله . وفي إحدى الأمسيـات رغب في حضور حفلة تقدم فيها بعض أعماله ، فذهب ووجد مقعده مشغولا ، فسأل الجالس مكانه .

- سيدي أليس هذا المقعـد للمـوسيقـار ماسنيه ؟

فأجابه ذلك الشحص بكل ثقة :

- طبعـا فأنـا جول ماسنيه .

فقـال الموسيقـار على الفور :

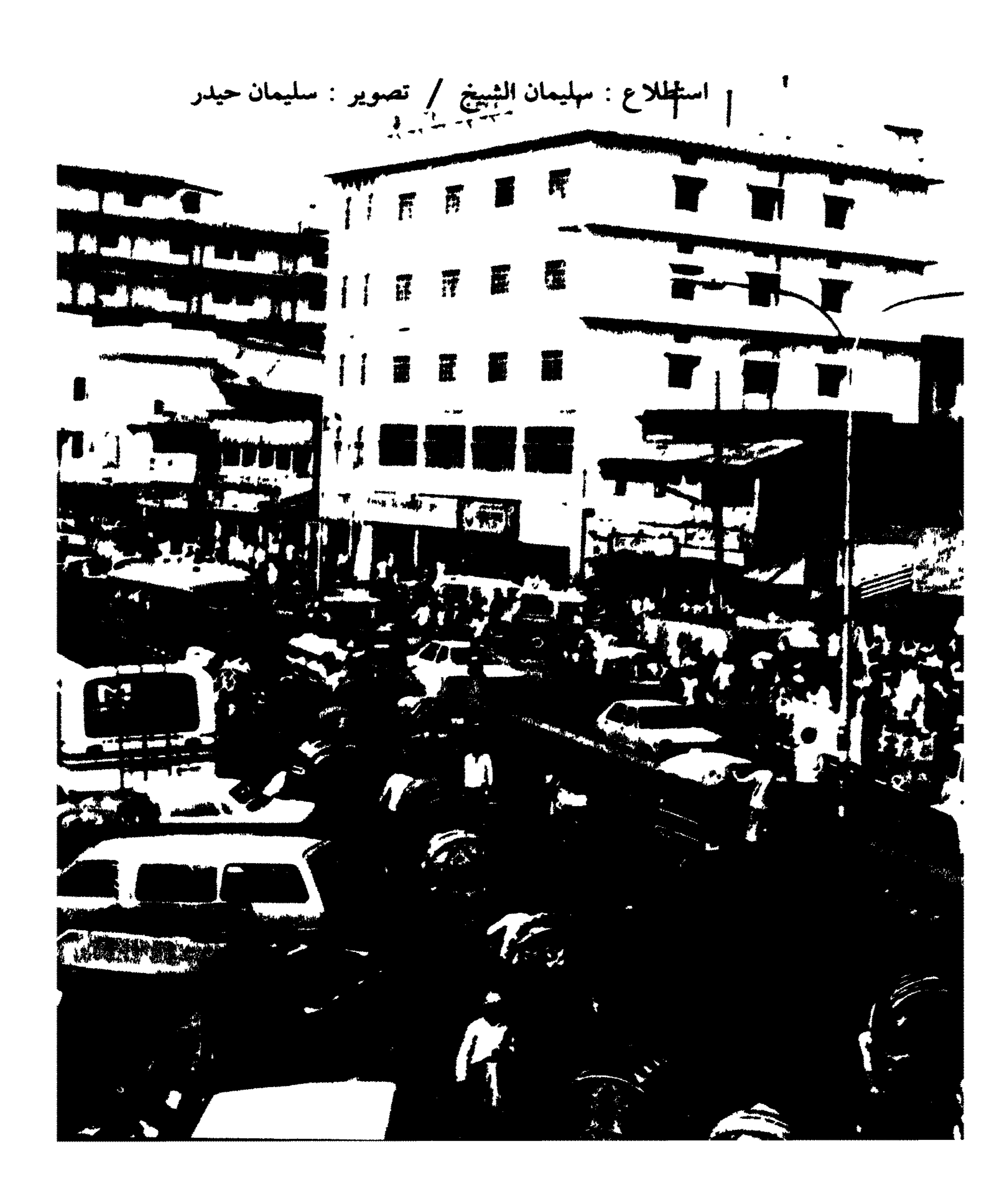
- غريب والله هذا الأمر ، فها قد انقضت خمسون سنة وأنا أعتقد أنني جول ماسنيه .



صراع العضلات والعجلات في :

بنغلاديش

استطلاع : سليمان الشيخ / تصوير : سليمان حيدر



تعد بنغلاديش ثاني أكبر بلد إسلامي في عدد السكان بعد أندونيسيا ، إذ بلغ عدد سكانها حوالي ١١٠ ملايين نسمة . فيا [illegible] ي تصل الكثافة السكانية فيه إلى أعلى المستويات .

إذا ما كان قول المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت بأن مصر ما هي إلا هبة نهر النيل ، فإنه صحيح أيضاً بالنسبة لجمهورية بنغلاديش الشعبية ، لأن هذه الجمهورية الآسيوية الحديثة الاستقلال (١٩٧١) ، ما هي إلا هبة ثلاثة أنهار كبيرة ، هي : براهما بوترا ، وغانغز وميغنا ، وعشرات أخرى من الأنهر الأصغر منها .

وإذا ما كان النيل وافر العطاء في معظم الأحيان ، فإن الأنهار الثلاثة وفروعها العديدة التي تقع منابعها خارج بنغلاديش (من جبال الهملايا) ، تعطي وتأخذ في الوقت نفسه . إن العطاء هنا مفهوم وواضح ، إنها تسهم في إرواء معظم مساحة الجمهورية (١٤٤,٠٠٠ ألف كيلو متر مربع) والتي ما هي إلا هبة الغرين والطمي اللذين ساقتهما خلال ملايين السنين ، لكنها في الوقت نفسه تأخذ وتدمر وتغرق الزرع والضرع والبشر ، وتحيل الحياة إلى موات ، ذلك أن هذه الأنهار تكون فيضانات عارمة عندما يذوب الثلج أو عندما تتساقط أمطار غزيرة في بعض الأيام من أشهر المطر - المانسون (من « مايو » ايار إلى « أكتوبر » تشرين الأول) .

نعمـــة ونقمـــة

هكذا تحصل ثنائية الأخذ والعطاء في حياة الناس ، وهكذا يتحول الماء الذي هو نعمة إلى نقمة في بعض الأحيان ، والمؤسف في هذا الأمر أن إمكانية التنبؤ بحدوث هذه الفيضانات قبل أسابيع أو أشهر لم تصل إليها الإمكانات العلمية حتى الآن .

وقد فاق فيضان سنة ١٩٨٨ كل التوقعات ، إذ استمر حوالي ثلاثة أسابيع .

صحيح أن معالجات عدة تمت في بناء بعض السدود (كسد كابتائي وتيستا ، وبناء عشرات القنوات والخزانات والجسور والحواجز وغيرها) ، وقد أنقذ ذلك آلاف الأميال من الأراضي التي أصبحت صالحة للزراعة ، لكن مع ذلك فإن مشكلة الفيضانات ما زالت قائمة ، وما زالت مشكلة مؤرقة للناس والحكومة .

وقد ذكر لنا السيد غلام مصطفى ، وزير الري والتنمية المائية وضبط الفيضانات ، أنهم بصدد وضع خطة عاجلة ومدتها خمس سنوات ، يمكنها أن تعالج بعض

● وجه من بنغلاديش



مشاكل الفيضانات ، أما الخطة الآجلة التي قد يستغرق تنفيذها حوالي ربع قرن ، فإنه من المؤمل لها أن تعالج معظم مشاكل الفيضانات ، وتضع حداً لهذه الظاهرة الخطيرة .

*** هل وصلتم إلى حل مرضٍ مع الهند لاقتسام المياه ؟**

ـ كما تعرف فإن الهند قد أقامت سداً على نهر الغانغز (سد فاركا) بالقرب من الحدود البنغلاديشية الغربية ، وهذا أضر بمزارعينا ، وحجز مياها كثيرة عن الأراضي في غرب البلاد . وما زلنا نتابع جهودنا مع جارتنا الهند لحل هذه المشكلة ، وآمل أن نحلها قريباً ، خاصة أن الحكومة الجديدة في الهند قد وضعت في برنامجها متابعة هذا الأمر .

*** وفيضانات البحر وأعاصيره (تقع بنغلاديش على خليج البنغال) هل تماثل خطورة فيضانات الأنهار ؟**

إن فيضانات البحر وأعاصيره لا تماثل خطورة فيضانات الأنهار ، وفيضانات البحر تثور مدة يومين أو ثلاثة ، وتضرب الموانيء ، وتخرب منشآتها ، ومده وثورانه يسهمان في ملوحة مياه الآبار ، ومصبات الأنهار ، وحاجتنا إلى المياه الحلوة تصبح ماسة خلال ثورته وبعدها ، وذلك للتغلب على الملوحة التي نشرها وهذا ما يسهم به نهر براهما بوترا .

هكذا ترى أن أنهارنا تسهم في ثنائية النعمة والنقمة معاً !

عصبة متحالفة

مع انبثاق خيوط الشمس الأولى من صباح يوم الجمعة ١٩٩٠/٢/٢ ، كانت بعثة مجلة « العربي » تسعى في طرقات « دكا » ، عاصمة جمهورية بنغلاديش .

قليل من الناس كانوا يسعون في الطرق وعلى جوانبها . الدراجات العادية « الريكشا » الملونة ، الملحق بها صندوق في الخلف والتي

● خارطة بنغلاديش بمدنها المهمة وحدودها مع جارتيها الهند وبورما

أضيفت إليها عجلة ثالثة هي وسيلة النقل الغالبة التي صادفناها في الطرق . المساحات التي لم يتم البناء عليها خضراء محاطة ببرك وسواق عديدة .

يتحلق مجموعة من الناس حول بعض الأماكن ، فأسأل مستقبلنا عن تفسير لما أرى ، خاصة أننا في يوم جمعة ، فيجيب : بأنهم جاءوا لأخذ دور لهم ، علهم يفوزون بيوم عمل .

علقت : لكنه يوم عطلة .

أجاب : يوم الجمعة هو يوم عطلة رسمية ، هذا صحيح ، إلا إن بعض المصانع الصغيرة تستمر بالعمل .

*** ألا يوجد لها عمالها المتخصصون المعروفون ؟**

ـ بلى ، إن لها ذلك ، لكن بعض من تجمهروا يأملون بأن الإدارة قد تحتاجهم لهذا الأمر أو ذاك .



علقت قائلاً : معنى هذا أن هناك أياديا عاملة عاطلة كثيرة .

فابتسم مستقبلنا ابتسامة ذات معنى ، وسأل :

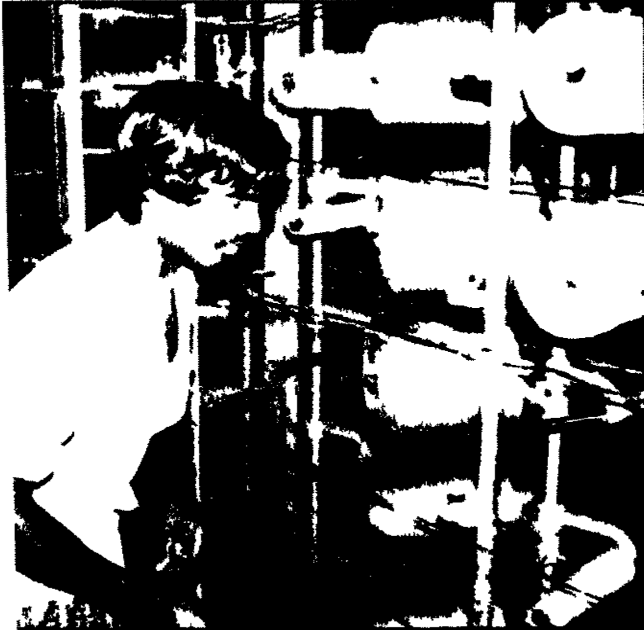
ماذا تتوقع لعدد سكان تجاوزوا مائة وعشرة ملايين نسمة ، ويسكنون في مساحة محدودة ، وتصل كثافتهم السكانية إلى حوالي ٨٥٠ نسمة في كل كيلو متر مربع واحد ؟ هل تتوقع أن لا توجد بطالة بينهم ؟

فإذا ما أضفنا إلى ذلك حلف الفيضانات والأعاصير والكوارث والأمراض والأمية (٢٤٪ فقط من الشعب تقريباً متعلمون) ، فهل توجد بعد ذلك غرابة بأن ترى العاطلين عن العمل يطرقون الأبواب ، وقد يمدون أيديهم ويطلبون حسنة ؟

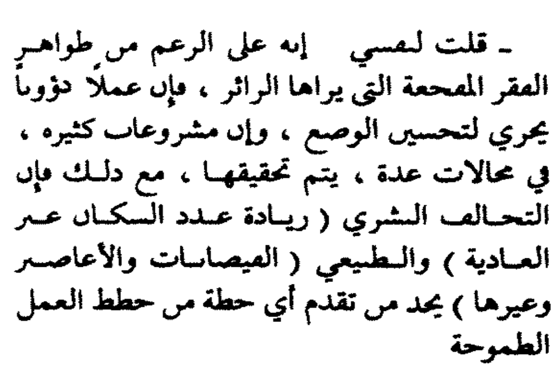
تغير المنظر وظهرت بدلاً من المساكن الفقيرة المتواضعة أبنية حديثة وطرق معبدة جيلة ، تحفها الأشجار من جميع الجوانب . ها نحن قد وصلنا الى الفندق هكذا قال مستقبلنا . انتقلت إلى الفندق ، وهناك تابعت حوار الأرقام والمعلومات ، وتحول الأمر من حوار بين اثنين ، إلى حوار ذاتي .







● نبات الصوف حيث يتحول إلى صناعات عدة منها الخيوط ومصنوعات يدوية جميلة أخرى



ـ قلت لنفسي : إنه على الرغم من ظواهر الفقر المفجعة التي يراها الزائر ، فإن عملاً دؤوبا يجري لتحسين الوضع ، وإن مشروعات كثيرة ، في مجالات عدة ، يتم تحقيقها ، مع ذلك فإن التحالف البشري (زيادة عدد السكان غير العادية) والطبيعي (الفيضانات والأعاصير وغيرها) يحد من تقدم أي خطة من خطط العمل الطموحة

تذكرت في هذه اللحظة الأرقام التي جاءت في استطلاع سابق نشرته « العربي » في شهر « يونيو » حزيران ١٩٧٨

فقد جاء فيه : تصل نسبة الأمية إلى ٨٠٪ ، ولا يتجاوز متوسط دخل الفرد ١٢٥ دولاراً في السنة ، ويعاني ٨٠٪ من السكان من سوء التغذية . ومعدل الزيادة في السكان يصل إلى ٣٪ سنوياً .

وبمقارنة هذه الأرقام وغيرها بالأرقام الحديثة ، خاصة في السنتين الأخيرتين وجدنا أن الأمية قد انخفضت حوالي ٤٪ عن الرقم السابق لتصبح ٧٦٪ ، وأن معدل دخل الفرد ارتفع ليصبح ١٧٥ دولاراً في السنة ، في حين أن معدل نسبة سوء التغذية انخفض حوالي ٥٪ ليصبح ٧٥٪ .

أما معدل الزيادة السكانية فقد آثرت طرحه على الجهات المختصة .

القاعدة والاستثناء

ألقيت نظرة عجلى من نافذة الفندق : كانت عشرات الدراجات العادية والنارية بألوانها وزركشاتها المختلفة تملأ الطريق وتغص بالبشر .

وإذا ما كان تجمع عشرات الدراجات استثناء من القاعدة في الطرق في أغلب بلدان العالم ، فإن تجمع مئات الدراجات العادية والنارية في بنغلاديش بدا لي أنه القاعدة وأن ما عداه هو الاستثناء .

خرجت إلى الشارع ، وراقبت المنظر بنفسي ، وركبت إحدى الدراجات وهم يطلقون على الدراجة العادية اسم « ريكشا » ، في حين أن الدراجة النارية الملحق بها صندوق يحتوي على مقعد وعجلة ثالثة تحمل راكبين (بعضها يحمل ستة ركاب أو أكثر) فإنهم يطلقون عليها اسم BABY TAXI، أي « التاكسي الصغير » . إن العضلات هنا تخوض صراعاً شرساً مع العجلات وبنية الإنسان البنغلاديشي ضامرة رفيعة ، ومع ذلك فإنه يخوض صراعه بشراسة ، وعلى العجلات أن تدور وتقطع طرقاً ومناطق ومسافات ، وإلا فإن الأفواه التي تنتظر لن تأكل في ذلك اليوم .

وهناك نوع ثالث من العجلات ، إذ يثبت الفرد عدة أخشاب على عجلتين ، ويتولى هو جر العربة التي تحمل الأغراض والأثاث . وربما يساعده فرد آخر في الدفع ، كما أن النقل النهري يعتمد في كثير منه على العضلات التي تسير آلاف القوارب . وهكذا تم حل مشكلة نقل الأفراد والجماعات والأشياء بأقل ما يمكن من التكاليف ، في حين أن عدد السيارات واستعمالها ـ حسب مشاهدتي ـ في الطرق قليل جداً ، ربما لا يصل إلى واحد من عشرين بالنسبة للوسائط الأخرى .

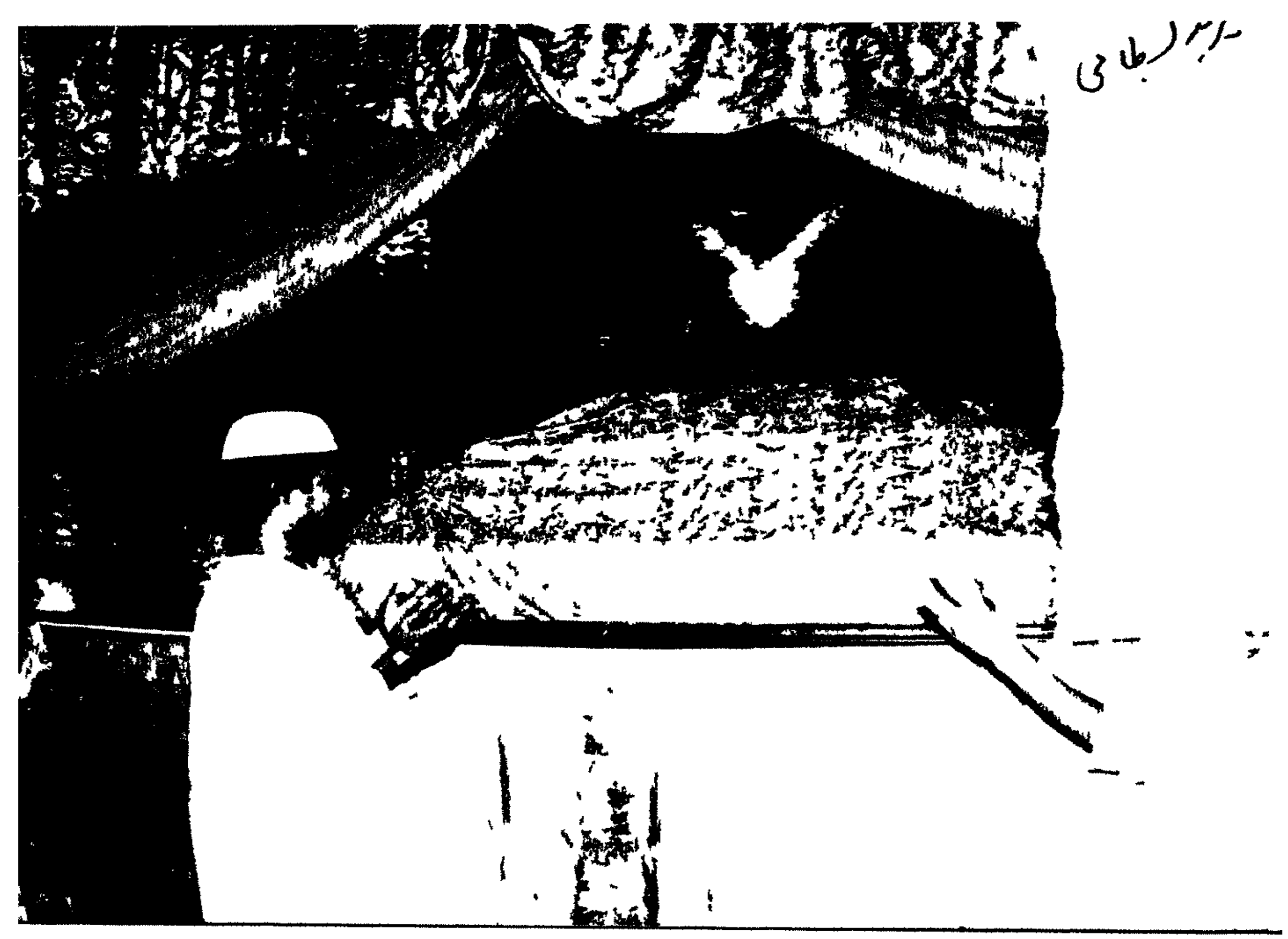
عندما تفيض الحياة بالبشر

*** إذا كان معدل الزيادة السكانية قد وصل إلى ما يزيد عن ٣٪ سنة ١٩٧٨ ، فما النسبة الآن ؟**

أجاب السيد تسليم الرحمن ، سكرتير التنسيق في وزارة الصحة والتخطيط العائلي ـ ضبط عدد السكان ـ بأن أخطر ما يواجه بلدنا

● طفلة تؤدي إحدى رقصات الغجر





● ضريح الولي بايزيد السطامي في شيتاغونغ ، يقصده طالبو الحاجات والذين يشكون العاهات

المحدود المساحة والموارد هو الزيادة الكبيرة في عدد المواليد ، إذ أنه يولد خمسة أطفال في كل دقيقة في بنغلاديش. وعلى الرغم من الجهود والوسائل التي تبذلها عدة جهات حكومية وشعبية للحد من ظاهرة الزيادة السكانية ، فإن النتائج مازالت دون المستوى المطلوب.

صحيح أن معدل الزيادة السكانية قد تدنى إلى ما يقارب ٢,٥٪ ، وربما أقل من ذلك ، ومع هذا فإن هذه النسبة ما زالت عالية ، لقد كان معدل عدد الأبناء في العائلة سبعة أبناء في السبعينيات تقريبا ، ووصل في هذه الأيام إلى حوالي خمسة أبناء. لكننا نحلم ونأمل بأن يصل العدد في نهاية هذا القرن إلى اثنين فقط ، وقد لجأنا إلى تكثيف حملة التوعية لمخاطر الزيادة السكانية ، ويتم تركيزنا على الريف (يسكن ريف بنغلاديش حوالى ٨٥٪ من عدد السكان)

وقد وصلت نسبة الذين تعقموا اختيارا بين النساء والرجال إلى حوالي ٢٣٪ من عدد السكان. ووصلت نسبة النساء بينهم إلى ٦٠٪ ومعظم حالات التعقيم تم إجراؤها بعد ولادة طفلين للعائلات.

*** ما موقف رجال الدين من حملتكم ؟ وهل هناك تنسيق معهم ؟**

ـ أجاب السيد تسليم الرحمن: لقد جعلنا من المسجد مركزاً مهماً لحملات التوعية بخطورة زيادة النسل ، وقد أقمنا دورات مكثفة كثيرة للشيوخ وأئمة المساجد ، لتوضيح أهداف حملتنا ومراميها ، وقد وصل عدد من التحق بهذه الدورات حوالي عشرة آلاف شيخ وإمام. ونأمل أن تؤتي جهود المشايخ وجهودنا ثماراً طيبة

وجـــوه أخـــرى

سـألت بعض الـزمـلاء في وزارة الاعـلام البنغلاديشية :

* ألا يـوجد وجـوه أخرى في هـذا البلد يمكن تقديمها للقارىء ؟

أجابوا : بـلى ، هناك وجـوه أخرى عـديدة متنوعة .

في صباح اليـوم التـالي كنـا في قلب قلعـة « لالـاغ » ، أو حسب اسمهـا القـديم قلعـة « أورانغبـاد » التي يعـود تـأسيسهـا إلى سنـة ١٦٧٨م ، وتقع في الجهة الجنـوبية الغـربية مس مـدينة دكـا القـديمـة ، وتـطل عـلى نهر سـوري غانغا الذي يمر بـالعاصمـة ، وتقوم عليـه حياة متكـاملة من التجارة والنقـل والصيد وصنـاعة السفن . وما زالت أجزاء من القلعـة وبوابـاتها قـائمة حتى الآن ، إضـافة إلى مسجـد بثـلاث قباب ، ومبنى يحتوي على ضريـح ابنة الحـاكم المغـولي في تلك الفترة ، وقـاعـة الاستقبـالات الرسمية ، والحمـام الملحق بها الـذي تحول إلى متحف يحتـوي على بعض آثـار تلك المرحلة ، وكانت القلعة جزءاً مس منشآت أخـرى عديـدة للدفاع عن مدينة « دكا » .

أسس المغول مدينة « دكا » سنـة ١٦٠٨م ، واتخذوها عاصمة لمقاطعة البنغال .

وقد أخذ الإسلام بالانتشار في البنغال ابتداء من القرن الثامن والتاسع الميلاديين ، من خلال البعثات الصوفية والتجار العرب ، وغيرهم مس المسلمين . وكانت تنتشر فيها الهندوسية والبوذية وتحتـوي بنغلاديش الآن عـلى ما يقـارب ١٢٪ من الهندوسيين ، و ٠و٦٪ من البوذيين و ٠و٤٪ من المسيحيـين ، ونسبـة قليلة من الـوثنيـين ، والبقيـة مسلمون . ويمكن عـد الشعب البنغالي مزيجاً من شعـوب عديـدة ، بينها شعـوب شبه الجزيرة الهندية ، والمنغوليين ، والمغول والفرس والعرب والأفغان ، وغيرهم .







● يمر نهر بوري عابرا بمدينة دكا حيث تقوم حياة كاملة عليه ، وإلى اليمين صراع العضلات والعجلات مستمر وإلى اليسار طائر الغراب حيث تجده في كل مكان من بنغلاديش



● جمع أعشابا وعيدانا وطحن بعضها وخلطها وأحد يصيح بأن عنده لكل داء دواء

وقد سيطرت حكومات إسلامية على المنطقة ابتداء من القرن الثالث عشر ، أبرزها المغول ، واستمر حكم المسلمين فيها حوالي خمسة قرون ، ثم بدأت بعد ذلك الغزوات الأوربية تتوالى على المنطقة ، إلى أن خضعت للانكليز مع غيرها من مناطق شبه الجزيرة الهندية بدءاً من سنة ١٧٥٧م ، واستمر الحكم البريطاني إلى سنة ١٩٤٧م .

فقد جلا في ذلك العام ، بعد أن أقيمت دولتان : هما الهند والباكستان .

وتألفت باكستان من جناحين : غربي،عاصمته كراتشي ، وشرقي،عاصمته دكا ، إلا أنه نتيجة للصراعات بين القوى الموزعة بين الجناحين وعدم مرونة السلطة المركزية خصوصاً في مجال الاستجابة لبعض المطالب القومية ، كمطالب البنغاليين باعتماد اللغة البنغالية في بلادهم ، فإن الأمر وصل إلى قيام حرب بين الجزأين اللذين تفصل بينهما الهند . وقد ساعدت الهند بنغلاديش ، وتم التوصل إلى الانفصال سنة ١٩٧١ وقيام جمهورية بنغلاديش الشعبية بعد ذلك . لكن بعد خسارة حوالي ثلاثة ملايين من الضحايا ، وهجرة ما يزيد عن عشرة ملايين من البشر حسب ما ورد في المصادر البنغالية .

وتزخر بنغلاديش بآثار من جميع المراحل التاريخية السابقة ، وتتولى مؤسسة السياحة الوطنية إضافة إلى وزارة الثقافة الإشراف على هذه الأماكن ، إضافة إلى أماكن الثقافة والترفيه والتسلية والاستراحات والمؤسسات السياحية الأخرى .

وقد ذكر لنا السيد غازي صادق المدير في إدارة السياحة أن بنغلاديش تحتوي على أماكن متنوعة للسياحة ، بينها التاريخية والطبيعية من جبال وغابات وبحر ، وقد بلغ عدد السياح ٥٠, ٢٢٨ سائحا سنة ١٩٧٨ ، في حين أن عددهم ارتفع الى ١٫٠٢٠,٧٨٢ سائحاً سنة ١٩٨٨ ، كما أن السياحة الداخلية وصلت إلى أرقام قياسية في السنة نفسها أيضاً .

تنوع في الثقافات

إذا كانت بنغلاديش ملتقى لبعض الشعوب ، فإنه من الطبيعي أن تتلاقى فيها الثقافات وتتنوع . هكذا علقت عندما التقيت بالدكتور انعام الله الحق سكرتير وزير الثقافة .

فذكر : إن هذه الأرض التي تسمى بنغلاديش الآن قد استقبلت هجرات من شعوب عديدة في فترات زمنية مختلفة ، (٤٠٪ من كلمات اللغة البنغالية مصدرها لغات أخرى) لكن الأكثرية استوعبت الأقليات الوافدة ، إلا أن التشكيل الثقافي جاء متنوعاً ، صحيح أنها تحمل الطابع العام البنغالي ، إلا أن فيها تنويعات وأشكالا مختلفة . وأضاف : يمكنك أن ترى ذلك ، على سبيل المثال ، في الموسيقا والرقص الشعبي . وقد شاهدنا مساء ذلك اليوم



● درس الأرز وتنقيته ، إنه الغداء الرئيس في البلاد

التدريبات التي كانت تقوم بها بعض فرق الموسيقا والرقص الشعبي في المتحف الوطني ، استعداداً لاستقبال الرئيس الفرنسي ميتران في الأسبوع الأخير من شهر (فبراير) شباط ١٩٩٠ ، راقبت الأشكال والهيئات والألوان لبعض المشتركين في تلك النشاطات ، فوجدت أشكالاً وألواناً مختلفة : السمرة الغامقة أو الفاتحة تختلط باللون القريب من الأصفر،والرقص والموسيقا يتنوعان

تذكرت في هذه اللحظة أن شعوباً وقبائل صغيرة ما زالت تعيش حياتها القبلية المميزة في منطقة شيتاغونغ وكوكس بازار وغيرها ، ومعظمها تعود أصولها إلى الجنس البورمي (تحاذي بورما حدود بنغلاديش من الجهة الجنوبية الشرقية ، ويحاذيها من الجنوب خليج البنغال . ما عدا ذلك فإن الهند تحيط ببنغلاديش من جميع الجهات) وبعضهم يدين بالبوذية .

تـوالى الرقص الشعبي الذي يعبر عن موضوعات مختلفة في حياة الشعب كزفة العروس ووداعها ، أو كالرقصة التي تعبر عن نزال السيوف التي تشبه رقصة التحطيب في بعض أقطارنا العربية ، أو رقص « النور » أي الغجر الذي قامت به مجموعة من الأطفال ، وقد لاحظت احتفاءهم بالملابس الزاهية البراقة ذات الألوان الحارة (الأحمر ، الأخضر ، الأصفر ، الأزرق) .

كما لاحظت رنة حزن واضحة في بعض موسيقاهم ، إذ يكثر فيها الأنين والونين خصوصاً عند استعمال آلة (السيتار) وهي تشبه الى حد ما آلة القيثارة عندنا .

مساجد فخمة

إذا ما كانت صفات البطش والتدمير والقتل قد لازمت زحف المغول واحتلالهم وتعاملهم مع كثير من الشعوب ، فإن هذا لا يعني بأن حياتهم



● شعب كثير ومظاهرات عديدة ومطالب متنوعة

كلها كانت حروباً وبطشاً وقتلاً واحتلالاً ، لقد تركوا منجزات تخصهم ، وتحمل طابعهم في البناء والعمارة والصناعة . وكان المسجد وتشكيلاته المميزة من قبة وقنطرة ومنارة ومحراب وغير ذلك وحدات أساس في فن البناء المغولي ، والمساجد الباقية من الزمن المغولي في بنغلاديش ما زالت تشهد فخامتها ورونقها وروعتها وتشكيلاتها بذوق فني متميز . ويوجد في « دكا » عاصمة بنغلاديش (تجاوز عدد سكانها ستة ملايين نسمة حالياً) وغيرها من المدن عشرات المساجد التي بقيت من ذلك العصر . ويلاحظ الميل إلى الإكثار من القباب على مساجد العصر المغولي ، مثل مسجد النجوم في دكا الذي تم تأسيسه في القرن الثامن عشر ، ومسجد كشاثيتولي الذي بني في الفترة نفسها ، كما يلاحظ وجود ميل إلى الإكثار من الوحدات التزينية المتعددة الألوان في مساجد تلك الفترة . وأبرز مساجد مدينة دكا الآن مسجد بيت المكرم (مسجد الدولة الوطني) الذي صمم بشكل يشابه الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ، وقد أسس سنة ١٩٦٢م ، ويتسع لحوالي ٧٥ ألف مصلٍ ، بطبقاته السبع وساحاته الملحقة . ويتجمع بالقرب منه يوم الجمعة باعة سجاجيد الصلاة والمسابح والمساويك وأغطية الرأس والعطور لبيع مقتنياتهم للجمهور الذي يقبل عليها بكثرة . وقد ألقيت خطبة الجمعة باللغة البنغالية أولاً ، ثم ألقى شيخ آخر خطبة مماثلة بلغة عربية فصيحة وبصورة متقنة تماماً . هذا ويشاهد الداخل والخارج من المسجد عشرات من طالبي الصدقة والإحسان ، والذين يشكون من بعض العاهات .

بعد أن خرجنا من مسجد بيت المكرم ، واجهتنا جموع حاشدة من الشبان تسير في مظاهرة ، وهم يهتفون .

● صراع العضلات والعجلات في بنغلاديش

سألت أحد أفراد المجموعة : ما الهدف من التظاهرة ؟

أجابني : إننا نحتج على نقل الجامعة الإسلامية من مدينة غازي يبور (تبعد حوالي ٧٥ كيلومتراً عن مدينة دكا إلى مدينة أخرى اسمها « كوستيا » تقع في غرب البلاد .

وقد شهدت عدة مظاهرات في الأيام القليلة اللاحقة التي قضيتها في بنغلاديش ، بعضها يطالب بالسكن ، وغيرها يحتج على هذا القرار أو ذاك . ومع أن الحكومة قد عالجت موضوع الجامعة الإسلامية (تم إنشاؤها في بداية الثمانينيات) بإنشاء كلية جامعية بديلة ، وحولت مباني الجامعة إلى مستشفى يستوعب ٤٠٠ سرير . ومع ذلك فإن المظاهرات استمرت بالتدفق في العاصمة وفي غيرها من المدن .

شكر وامتنان

إثر انتهائنا من مقابلة السيد سيد محمد قيصر ، وزير شؤون الزراعة ، في مبنى المجلس الوطني (البرلمان) ، فإننا طفنا بأرجائه وشاهدنا فخامة طوابقه التسعة ، ثم شاهدنا المبنى من الخارج ، وتحيط به قنوات المياه من الجانبين ، ويجمع في معماره أسلوبي العمارة الغربية والشرقية معاً ، وقام بتصميمه المهندس الأمريكي لويس كاهن . وتم إنجازه في بداية الثمانينيات ، وقد حاز على جائزة آغا خان العالمية في فن العمارة سنة ١٩٨٩ .

وعودة إلى ما ذكره السيد وزير الزراعة ، وقد تناول في حديثه صراعهم لتوفير متطلبات الحياة الغذائية لأفواه تزيد زيادة كبيرة ، فأكد على أنهم لجأوا إلى سد النقص في إنتاج الغذاء الرئيسي في البلاد - الأرز - إلى زراعة الأراضي عدة مرات بعدة محاصيل .

وذكر أنهم ينتجون حوالي ١٨ مليونا ونصف مليون طن من الأرز سنوياً ، في حين أنهم يحتاجون إلى ٢٠ مليون طن ، كي يسدوا حاجة





● سكن داخلي لطالبات الجامعة قيد الإنجاز ، إنه هدية من الكويت - فوق - قش وطين أو « زينكو » وعيدان البامبو هي مساكن القرية في بنغلاديش أسفل

الأعداد المتزايدة من السكان ، خاصة أن الأرز هو الغذاء الرئيس في البلاد . وأنهم يسدون النقص إما بالاستيراد ، أو باستعمال القمح الذي وصل إنتاجه إلى حوالي عشرة ملايين ومائتي ألف طن سنة ١٩٨٩ . وذكر أيضاً أن ٧٢٪ من جوت العالم يصدر من بنغلاديش ، (ينتجون حوالي ٥ ملايين بالة في السنة) ، وأنهم ينتجون حوالي ٩٠ مليون باوند من الشاي ، هذا عدا إنتاجهم من السكر والدخان والقطن

وأكد على أهمية القطاع الزراعي في الناتج القومي (حوالي ٥٥٪ منه) ، وفي تقديم مقومات الحياة والعمل لما يقارب ٧٥٪ من السكان ، وحوالي ٨٠٪ من أرباح التصدير تأتي من هذا القطاع ، خاصة من قطاع الجوت .

وقد قدر تقديراً عالياً المساعدات والمساهمات التي تقدمها بعض الأقطار العربية لبنغلاديش ، وقال : إن ذلك دين في أعناقنا بأن لا ننسى مساعدات الدول الشقيقة والصديقة وثمن مساعدات الكويت التي توجه بعضها إلى قطاعات إنتاجية مهمة ، كالمساهمة في بناء السدود ومشروعات الري وتوليد الطاقة وغيرها من مشروعات .

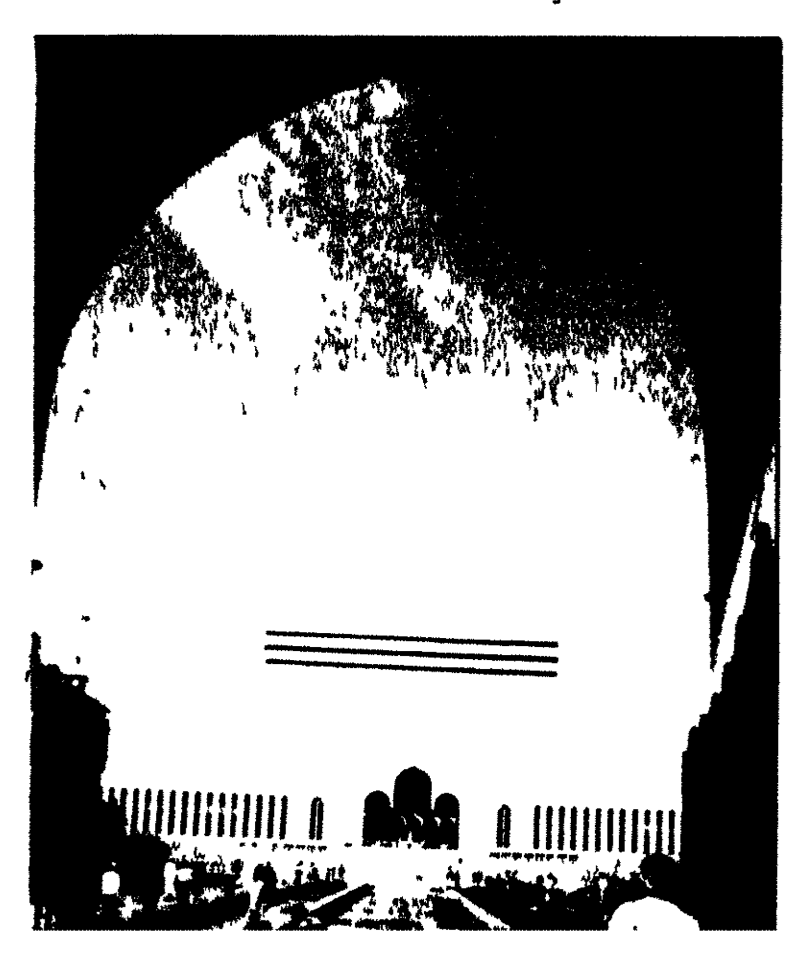
عندما ذكرت موضوع القروض والمساعدات من قبل حكومة الكويت لبنغلاديش في أثناء حديثي مع السفير الكويتي في بنغلاديش السيد محمد النجران ، فإنه علق على ذلك بقوله : إن ما تقوم به الكويت ما هو إلا من صميم واجباتها نحو الأشقاء والأصدقاء ، وذكر بأن هناك مساهمات ومساعدات آنية ، ومساعدات دائمة يتولاها قطاع الدولة ، كما أن للقطاع الأهلي مساهماته العديدة من خلال الجمعيات العديدة (اللجنة الكويتية المشتركة للاغاثة في بنغلاديش) .

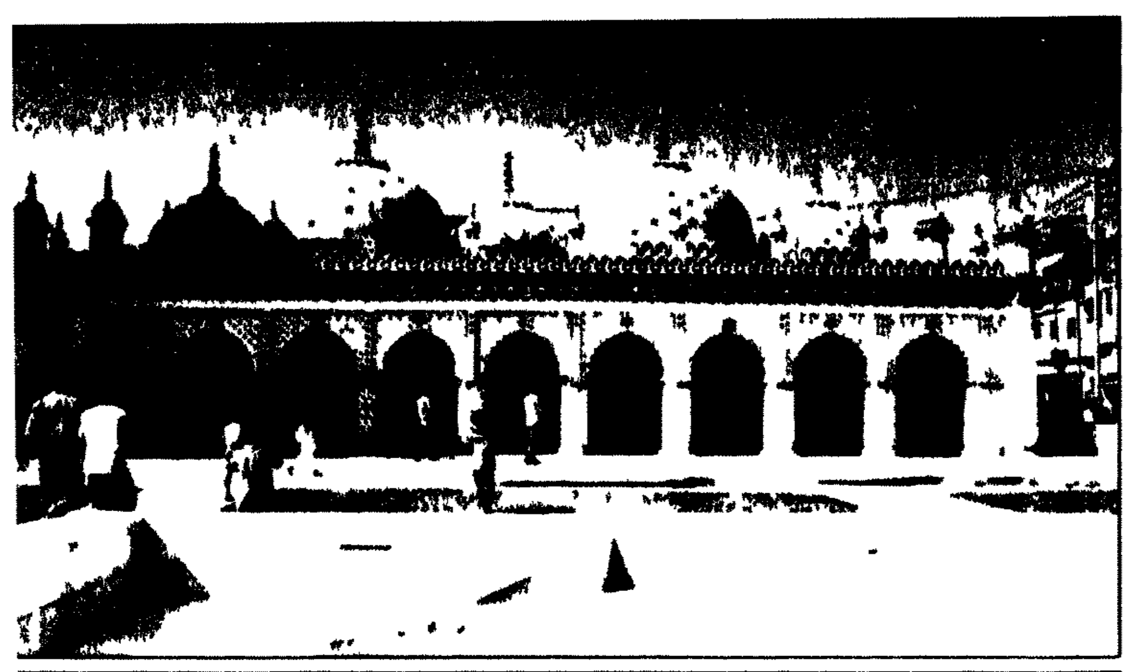
وآخر المشروعات التي سيبدأ العمل فيها في هذا العام هو إنشاء مستشفى عام في مدينة دكا هدية من الشعب الكويتي الى شعب بنغلاديش قامت بتمويله اللجنة الشعبية الكويتية لجمع التبرعات وسيكلف حوالي مليوني دولار أمريكي وهناك عدد كثير من المشروعات والمساعدات التي قدمتها وتقدمها هيئات لجان الخير في الكويت مساعدات في قطاع الزراعة وبناء المساجد والمدارس والمستشفيات والمستوصفات والبيوت وغيرها

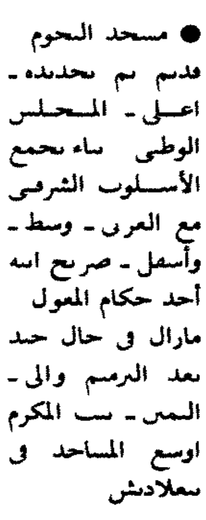
وقد اصطحبنا السيد النجران لزيارة بيت سكن الطالبات الجامعيات الذي مولته اللجنة الشعبية لجمع التبرعات والذي يستوعب حوالي ٤٠٠ طالبة (تم افتتاحه في شهر مارس الماضي) .

أرض الأولياء

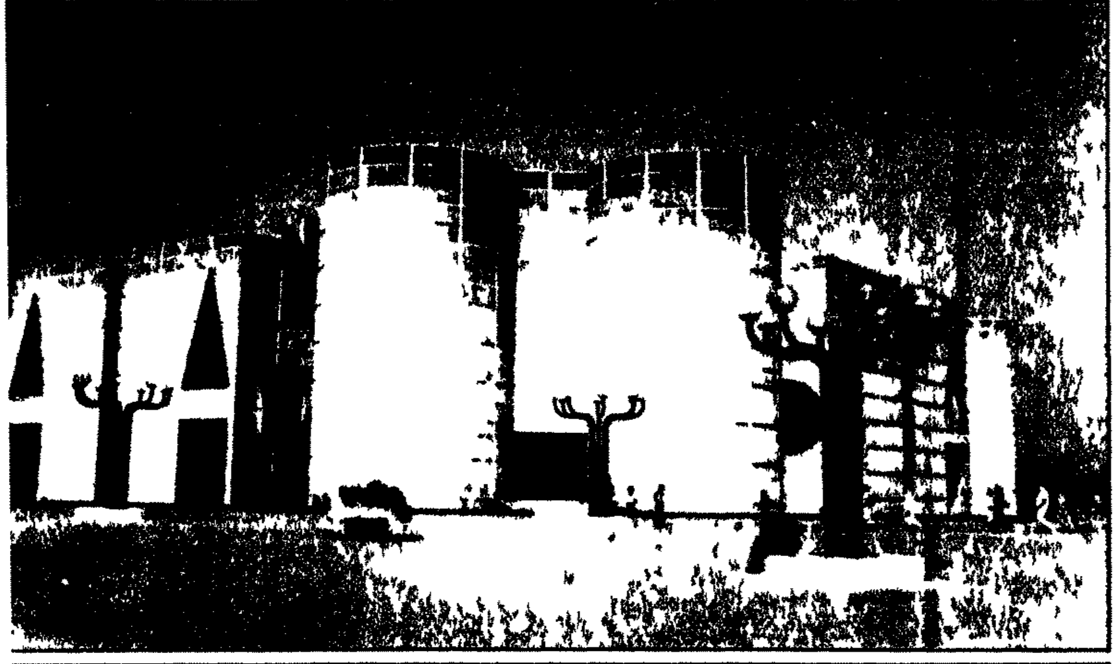
إذا ما كانت مدينة شيتاغونغ الواقعة على خليج البنغال في الجنوب الشرقي من بنغلاديش ، هي المدينة الثانية في الأهمية وعدد السكان (يزيدون عن مليوني نسمة) بعد دكا . وفيها الميناء الرئيسي للبلاد وتحتوي على مصانع

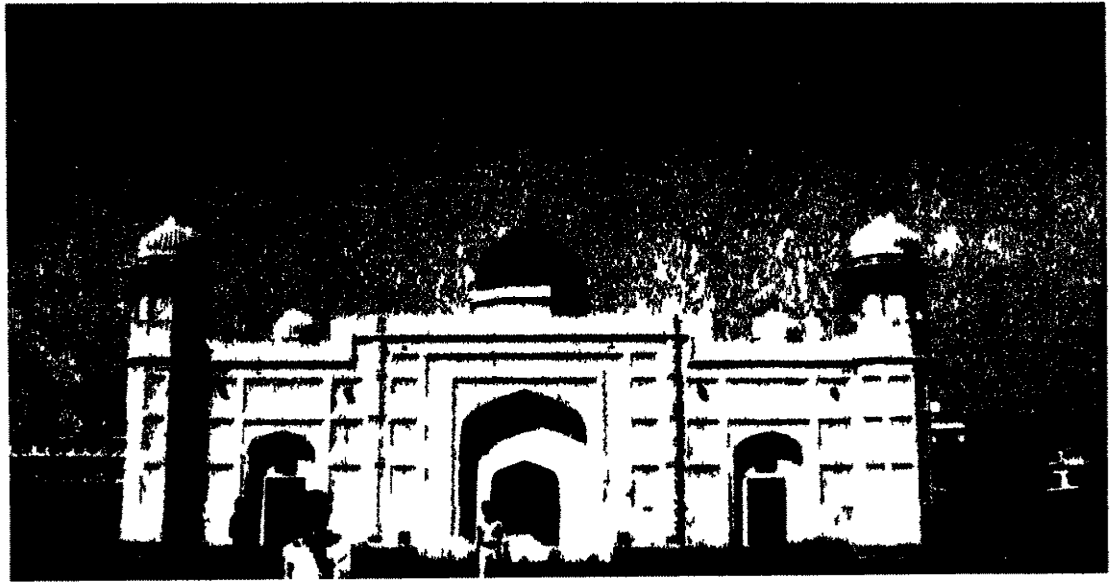






● مسجد النجوم قديم تم تجديده - أعلى - المجلس الوطني بناء يجمع الأسلوب الشرقي مع الغربي - وسط - وأسفل - ضريح ابنة أحد حكام المغول مازال في حال جيد بعد الترميم وإلى - اليمين - بيت المكرم اوسع المساجد في بنغلاديش





النفط وتكريره ، ومصانع الفولاذ ومصانع عديدة مهمة أخرى ، ويزرع في منطقتها الشاي والجوت والأرز والخضراوات والفواكه وغير ذلك . فإنها الى جانب ذلك تعد أرض الأولياء .

* ولماذا هي كذلك ؟

- أجاب السيد مفضل حسين مدير شركة السياحة في المدينة بقوله :

هناك إلى جانب وقائع التاريخ المدونة وقائع أخرى تنتقل شفاهة على ألسنة الناس وهذا ما يطلق عليه بعض الناس اسم أسطورة أو موروث شعبي ، وغير ذلك .

وتفيد هذه الموروثات بأن هذه المنطقة (قريبة من الحدود البورمية) .

كانت تنتشر فيها الديانة الهندوسية والبوذية (ما زال بعض سكانها كذلك) . وبما أن الإسلام انتشر عن طريق التجار وأفراد الحركات الصوفية في هذه البلاد ، لذلك فإن قصصاً كثيرة تروى في هذا المجال ، منها على سبيل المثال أن الشيخ بايزيد البسطامي الإيراني الأصل جاء الى هذه المنطقة منذ ما يزيد على ١١٠٠ سنة ، إلا أن الحاكم الهندوسي منع إقامته في البداية ، إلا أنه تحت إلحاح الشيخ وطلبه بأن يمنحه قطعة أرض صغيرة للصلاة عليها استجاب له ، ثم كثر أتباع الشيخ وأنصاره الى درجة أنهم عَدوه ولياً ، فأقاموا حول ضريحه مسجداً ، وتحول الضريح إلى مزار يزوره عشرات الناس يومياً للتبرك .

هذا وقد شاهدنا عشرات الرجال والنساء والأطفال يزورون الضريح ، ويضعون بجانبه الشموع ، ويتباركون بحجارته أو قضبانه ، ويقرؤون على روحه الفاتحة .

ويقع الضريح على تلة ، تبعد حوالي ستة كيلومترات عن وسط مدينة شيتاغونغ .

بركــة من دمـــوع

والمزار الثاني الذي ذهبنا إليه مزار الشيخ فريد ، ويفيد الموروث الشعبي عن هذا الشيخ أنه عندما جاء وسكن المنطقة ، فإن ضائقة اقتصادية كانت منتشرة فيها ، إلى درجة أن غربان المنطقة شكت منها ، فجاء أحدها وشكا أمره للشيخ فريد ، ثم طلب الطائر أن يمنحه الشيخ إحدى عينيه ، فما كان من الشيخ إلا أن وافق على ذلك ، كي ينقذ الطائر ، ثم جاء غراب آخر وطلب العين الأخرى ، فما كان من الشيخ إلا أن رق لحاله ، وأعطاه إياها . وقد سقطت من العينين حين منحهما دموع كثيرة ، تكونت منها البركة الملحقة بضريح الشيخ .

وعدت المياه منذ ذلك اليوم مباركة ولها قدرة على الشفاء ، لذلك فإن طالبي الحاجات يزورون المكان ويتباركون به ، ويأملون الشفاء إثر استعمالهم لمياه البركة . إثر سماعي تلك الحكاية سألت السيد مفضل : وكيف كان الشيخ يرى ؟ فعلق : لا تَنْسَ أنه ولي ، فلقد استمر بالرؤية بدون عينين .

عندما خرجنا من المزار ، وعلى مبعدة أمتار قليلة منه ، فإن رجلاً كان قد افترش الأرض ، وأخذ يصيح « بالميكروفون » على خلطة سوداء حضرها من أعشاب وقشور ، وأخذ يضعها بأوعية صغيرة ، والناس حوله يتحلقون . إضافة للخلطة فإن عشرات من المواد الأخرى وضعها حوله ، وأخذ صوته يلعلع بالترويج لها . لقد كان يبيع تلك الأشياء على أنها الدواء الشافي لكثير من الأمراض !

ذهب البــــلاد

كي ننقل صوراً منوعة عن الحياة والناس في بنغلاديش آثرنا زيارة أحد مصانع الجوت .

والجوت هو « ذهب » بنغلاديش أو نفطها ، حسب تعبير السيد أبي صادق محمود أحمد ، مدير أحد مصانع الجوت في شيتاغونغ (حفيز جوت ميلز) .

ويبعد المصنع عن وسط المدينة حوالي ٢٠

كيلومتراً ، على الطريق المتجه إلى دكا (تبعد شيتاغونغ عن دكا حوالي ٢٦٠ كيلومتراً) ، وتحيط بالمصنع غابات من أشجار البابـاي والخيزران والموز والمانغو وحقول الجوت والأرز . ذكر السيد أبو صادق أن إنشاءات المصنع بدأت من سنة ١٩٦٢ ، وأن إنتاجه التجاري بدأ سنة ١٩٦٧ .

وقدرته الإنتاجية تصل إلى حوالي ١٣,٦٠٠ متر طن سنويا من الجوت ، يصدر أغلبه لبلدان العالم ، إما مادة خاما أو بعد تصنيعه ، وأهم المصنوعات الناتجة عنه أكياس الخيش (شوالات) ، والخيوط والحقائب والسجاد (يضاف إليه القطن) وغيره .

ويعمل بالمصنع حوالي ٤٥٠٠ بين عامل مستديم ويومي وموظفين ومشرفين . وقد زرنا مخازن المصنع ، ثم تابعنا مراحل الإنتاج مرحلة بعد أخرى . وقد تم استيراد آلات المصنع من المانيا وانكلترا . ومعظم عمال المصنع متخرجون من مدارس مهنية متخصصة ، ولم أشاهد أي خبير أجنبي بينهم .

وكي نصل إلى فكرة واضحة عما تكتنزه الطبيعة البنغلاديشية من معادن فإننا آثرنا الالتقاء بالسيد ضياء الدين أحمد ، وزير الطاقة والموارد المعدنية ، وقد ذكر : ـ

تشتهر بلادنا بأنها تحتوي على ٢٥٠ نهراً ، بين كبير وصغير ، و ٥٦ نهراً منها تنبع من خارج حدودنا ، خاصة أكبر ثلاثة أنهار . وقد استفدنا من المياه بتوليد الطاقة الكهربائية التي نأمل بتوصيلها إلى جميع قرانا ، (حوالي ٦٨ ألف قرية ، نصفها أو أكثر لم تصل إليه الكهرباء حتى الآن) .

كما أن كميات كبيرة من الغاز قد تم اكتشافها في بلادنا ، وتكفينا مدة تزيد عن ٨٠ سنة . ومعظم الطاقة المستعملة في بلادنا تقوم على المياه والغاز ، ومعظم حقول الغاز موجود في منطقة (سليت) ، في شمال شرق البلاد .

كما أن النفط قد تم اكتشافه في تلك المنطقة (إنتاجه قليل ولا يتجاوز ٣٠٠ برميل يومياً) .

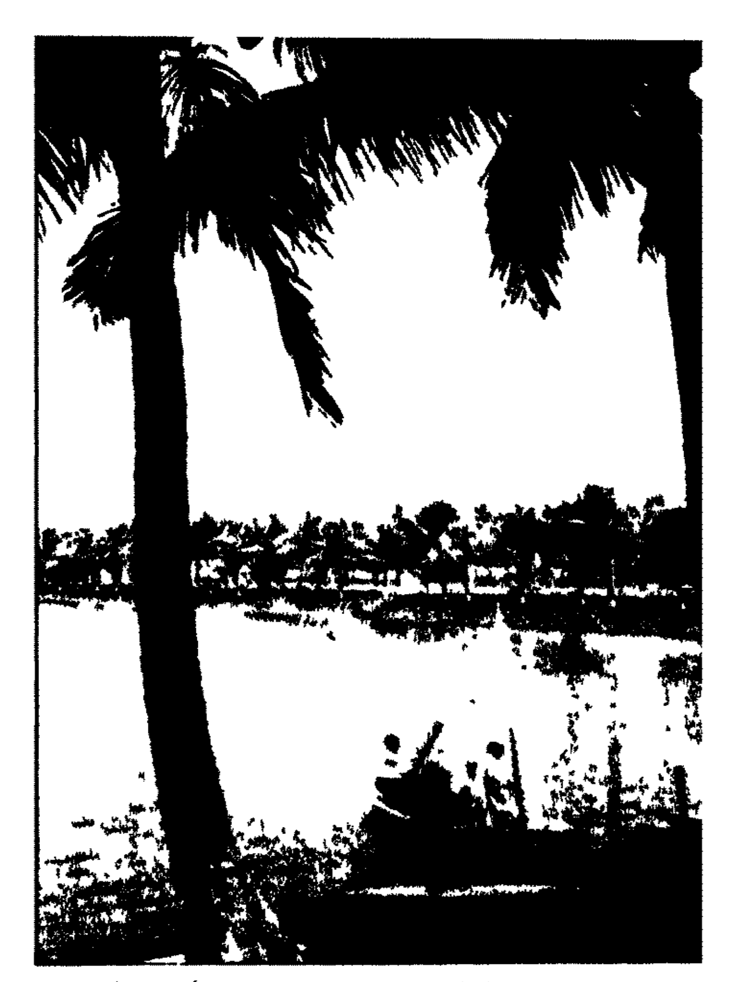
وقد اكتشفت كميات كبيرة من الفحم الحجري ، ولم نقم باستغلاله حتى الآن ، بسبب


● وزير الزراعة سيد محمد قيصر


● وزير الري علام مصطفى




● وزير الطاقة ضياء الدين أحمد



● مياه هادئة ، واحصرار منتشر ومطر حميل في كوكس بازار

عدم توافر التمويل والتقنية المناسبين الكافيين ، ونأمل استغلاله في أوقات لاحقة .

وقد قامت بسبب توافر الطاقة عدة مصانع ، بينها مصانع الجوت والسماد والسكر والورق ، وصناعة السفن والفولاذ والاسمنت والأدوية وغيرها ، ومحطة لتكرير النفط (يتم استيراده من منطقة الخليج والجزيرة العربية) .

ســـوق كوكس

« كوكس بازار » أو سوق كوكس بلدة تقع بالقرب من شاطيء خليج البنغال ، وتبعد عن مدينة شيتاغونغ حوالي ١٥٠ كيلومتراً ، وجاء اسمها ـ كوكس ـ من اسم أحد القادة البرتغاليين الذين أخذوا يجوبون المنطقة ابتداءً من القرن السادس عشر تمهيداً لاحتلالها .

ركبنا « الباص » الحافلة المنطلقة إلى البلدة من شيتاغونغ في الساعة السابعة صباحاً . بقايا ليل ما زالت موجودة في المدينة ، وما زال بعض الأفراد ينامون على الأرصفة في أطرافها .

سواقي المياه والمجاري المكشوفة (كثير من أحياء المدن والقرى مجاريها ما زالت مكشوفة) تلمع تحت خيوط الشمس التي بدأت بالتسلل رويداً رويداً . قطعان من البقر والغنم والماعز تنتشر بين الطرق ، وفي بعض الحقول (تعد الجلود إحدى مواد التصدير في بنغلاديش) .

جسور صغيرة مقامة على القنوات الكثيرة التي مررنا بها ، جسر كبير وصلناه وعبرناه ، أقيم على نهر كبير واسع الأطراف . غابات أشجار الموز والمانغو والباباي والخيزران والحمضيات تتوالى أمام أنظارنا . الحقول مدى أخضر لا ينتهي ، وعضلات الزنود والسيقان تمارس ربما دوراً أزلياً في النكش والحرث وقلب التربة ، وبعضها يمارس ذلك بواسطة البقر .

بعض الفلاحين والفلاحات ينزعون بعض نباتات الأرز من الأحواض الكثيفة ، تمهيداً لنقلها إلى أحواض أكثر اتساعاً ، مما يتيح لها نمواً مناسباً .

نمر على عشرات القرى ، بيوتها مبنية من الطين (اللبن) ، ومسقوفة بالزينكو أو بالقش .

عشرات العمال ينقلون على رؤوسهم أو على أكتافهم الخضراوات والفواكه إلى الأسواق بسلال مصنوعة من الجوت (القرنبيط ، الملفوف البندورة ، الفجل ، الحمضيات ، الباباي ، الموز ، وغيرها)،نقف في إحدى القرى فألاحظ أن من يتعاطى التسول نادر فيها ، بعكس المدن ، كما أن ألوان الناس هنا خليط بين اللون الأسمر الفاحم أو بين اللون الأصفر .

يستمر منظر الحقول الخضراء بالتوالي ، وتظهر بعض الجبال البعيدة في خلفية المنظر .

الطريق الممهد بالقار ضيق ، ومن الصعب أن يستوعب سيارتين ، لذلك فإن المائة والخمسين



● زفة العروس ، حمر وحياء على المسرح وفي الحياة أيضا

كيلومتراً استغرقت منا حوالي ٤ ساعات للوصول إلى كوكس بازار .

وقبل الوصول إلى البلدة بحوالي ٥٠ كيلومتراً تقريباً أخذت تلال كثيفة الأشجار تحتل المساحات التي تحيط بالطريق .

نصل إلى البلدة فنتأكد من ملاحظة الخليط السكاني (تبعد كوكس بازار حوالي ٧٥ كيلو مترا عن الحدود البورمية) ، والكثير من بيوت البلدة مبني من طين وقش ، والحقول تتداخل فيها أو تحيط بها .

هدير الموج يسمع من بعيد ، وقد بنت مؤسسة السياحة البنغلاديشية عدة مؤسسات فندقية وسياحية بالقرب من شاطيء البحر الذي يعد من أطول الشواطيء في العالم ، ويمتد حوالي ١٢٠ كيلومتراً . تحف به زرقة البحر من جهة ، والغابات والتلال من جهة أخرى ، وميزة هذا

● صراع العضلات والعجلات ، في بنغلاديش

الشاطيء أن رماله تعد من أنقى رمال الشواطيء وأنعمها وأهدئها حيث يمكن للسيارة « الجيب » أن تقطع مسافاته الطويلة دون أن تغوص عجلاتها .

هذا وتحيط بالمنطقة غابات كثيفة ، تسكنها قبائل بوذية ، وربما وثنية ، يغلب عليها اللون الأصفر وقصر القامة . وتمتليء المنطقة بحيوانات الغابة المعروفة .

« الشابلا » أخيراً

سألنا معظم من التقينا بهم عن نبتة « الشابلا » - زنبق الماء - التي تعد النبتة الوطنية ، ولها لون وردي ، والتي يحتل نحت لها أهم ساحات مدينة دكا ، إلا أن أحداً لم يستطع أن يدلنا عليها . ومع أننا رأينا عشرات السواقي والأنهار لكننا لم نستطع الاستدلال على وجودها ، فاعتقدنا أنها أصبحت نادرة الوجود ، وأنها ربما كانت منتشرة بكثرة من قبل .

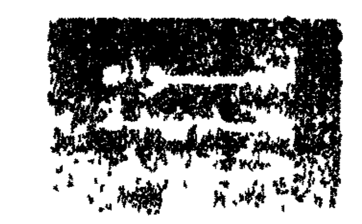
عندما كنا نغادر فندق مؤسسة السياحة في الصباح الباكر ، بكوكس بازار ، توقفنا عند جسر صغير ، فوق ساقية من السواقي ، ننتظر وسيلة نقل تنقلنا إلى محطة الحافلات لنستقل حافلة تعيدنا إلى شيتاغونغ .

جاء سائق « ريكشا » ، فانفرجت أساريرنا ، لاحت التفاتة مني ومن زميلي المصور إلى الساقية . كانت عشرات من نبتة وردية اللون تحتل قلب الساقية . صحنا : « الشابلا » ، إلا أن الشك داخل نفوسنا ، فسألنا السائق !

ما اسم هذه النبتة ؟ أجاب بابتسامة : إنها الشابلا .

صحت وزميلي المصور : أخيراً ، وفي الساعات الأخيرة من الزيارة تظهر هذه النبتة ! ؟

المشهور عن هذه النبتة أنها تطفو على سطح الماء ، مهما ارتفع مستواه ، ولا تغرق فيه ، وربما نتيجة لهذه الميزة فإنه قد تم اتخاذها رمزاً وطنياً . □







بقلم : الدكتور أنيس فهمي

في العقد الماضي أسهمت الدراسات في بيولوجيا الجزيئات مع الوسائل الطبية الحديثة ، لتصوير الجسم الإنساني ، في فتح باب الأبحاث أمام العلماء لدراسة نشاطات المخ البشري . واستيضاح العلاقة بين كيمياء المخ ، والاضطرابات العقلية مثل الاكتئاب ، و « الشيزوفرانيا » أو انفصام الشخصية . هذا المقال يستعرض بعض نتائج هذه الأبحاث ودورها في علاج هذه الأمراض . .

إنَّ دراسة العلاقة بين السلوك الإنساني ووظيفة المخ ، لم تبرز إلى الوجود إلا في الخمسينيات من القرن الحالي ، عندما توصل العلماء إلى اكتشاف العقاقير التي يمكن أن تخفف كثيراً من الأعراض التي ترافق المرض العقلي . لقد أصبحت هذه العقاقير في الوقت الحالي حجر الزاوية في الممارسة الإكلينيكية بعد أن انحسر أو تلاشى دور التحليل النفسي . ومع أن العلاج النفسي الذي يعد فرعاً من التحليل النفسي ، والذي يستمر مدة قصيرة ، يساعد في علاج أنواع معينة من الاكتئاب ، إلا أنه لا يستخدم وحده ، بل يستخدم إلى جانب العقاقير لكي يساعد المريض على احتمال مرضه .

كيف تعمل العقاقير النفسية ؟

جميع العقاقير النفسية تعمل بإحداث نوع من التغير الكيميائي البيولوجي ، ولكن استخدام العقاقير في علاج الأمراض العقلية كان سابقاً على

فهم العلماء لماهية التغيرات التي تحدث . وعندما وجه العلماء اهتمامهم إلى معرفة ما تفعله العقاقير في المخ استطاعوا الكشف عن الأساس البيولوجي الكيميائي للأمراض العقلية .

إن الأمراض العقلية التي تمكّن العلماء من فهمها في الوقت الحالي هي الاكتئاب ، والهوس الاكتئابي ، ويطلق على هذين المرضين « الاضطرابات الوجدانية » ، ويتميزان باضطرابات جوهرية في المزاج تستمر فترة طويلة . والمرضى بالاكتئاب وحدهم يشعرون بحزن مستمر ليس له سبب معقول ، في حين أن المرضى بالهوس الاكتئابي تنتابهم فترات من الاكتئاب ، تتبادل معها فترات من الزهو والغرور والمرح إلى الحد الأقصى وهو ما يسمى بالهوس .

وقد أثبتت الأبحاث أن بعض المواد الكيميائية المعينة في المخ التي يطلق عليها اسم « الموصلات العصبية » ، تلعب دوراً في عملية التحكم في السلوك ، والموصِّلات العصبية هي جزيئات صغيرة تعمل كوسيلة اتصال بين الخلايا العصبية التي لا يلامس بعضها بعضاً ، ولكن يفصلها فراغات تسمى « نقط الاشتباك العصبي » ، ولكي ينتقل تيار كيميائي من خلية عصبية إلى أخرى يجب أن يمر من خلال نقطة الاشتباك العصبي مستخدماً الموصِّلات العصبية كوسيلة انتقال .

ومن بين أكثر من عشرين من المُوصِّلات العصبية توجد ثلاث تنتمي إلى العائلة الكيميائية المسماة « الأمينات » وهي النورأدرينالين والسيروتونين ، والدوبامين . هذه الثلاثة يعدها العلماء مسؤولة عن حدوث الاضطرابات الوجدانية ، إذ وجد أن حالات الاكتئاب يصحبها نقص في هذه المُوصِّلات العصبية الثلاث ، بينما يوجد منها فائض في حالات الهوس . وقد أثبتت الأبحاث التي أجريت في الستينيات من القرن الحالي على الحيوانات المعملية صدق هذه النظرية ، فقد وجد أن العقاقير المسببة للاكتئاب تُحدِثُ هبوطاً في كمية « الأمينات » في المخ ، في حين أن العقاقير التي تعالج الاكتئاب تسبب ارتفاعاً في كمية الأمينات . ولكن يوجد عقار واحد لا يعمل طبقاً لهذه النظرية ، وهو عقار « الليثيوم » الذي مازالت الكيفية التي يعمل بها سراً من الأسرار . فقد أثبتت التجارب التي أجريت على الحيوانات أن « الليثيوم » يقلل من كمية المُوصِّلات العصبية ، وتبعاً لذلك كان من المتوقع أن يعالج أعراض الهوس ، ويزيد أعراض الاكتئاب سوءاً . ولكن التجربة العملية أثبتت أنه يعالج أعراض الهوس وأعراض الاكتئاب أيضاً .

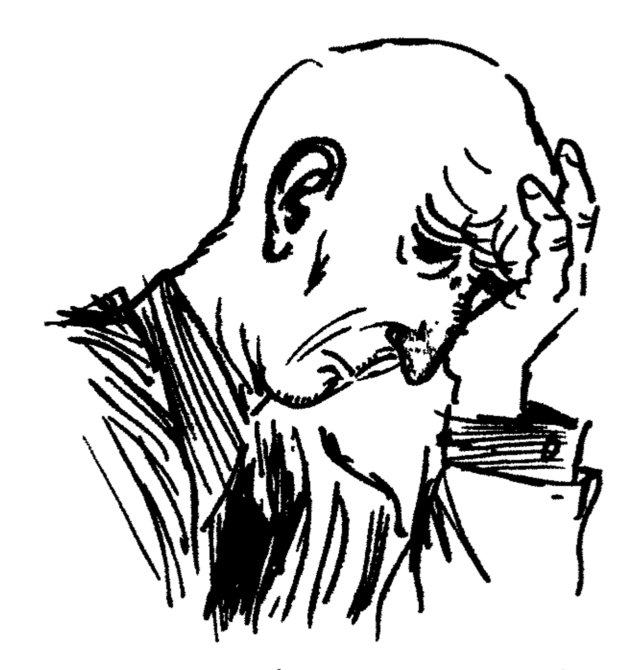


الايقاعات الانسانية الداخلية

إن الاضطرابات الوجدانية قد ترتبط أيضاً باضطرابات الإيقاعات الانسانية الداخلية ، فمن المعروف أن هناك تغييرات تحدث بطريقة روتينية في الجسم طوال اليوم . إن درجة حرارة الجسم على سبيل المثال تصل إلى أقصى حد لها عند حلول المساء ، وتنخفض إلى أدنى حد لها في الصباح المبكر . وفي حين أن نسبة هرمون الكورتيزول تنخفض إلى حدها الأدنى بعد منتصف الليل ، وتبدأ في الارتفاع حوالي الساعة الرابعة صباحاً ، فإن نسبة هرمون « الميلاتونين » ترتفع في أثناء الليل ، وتنخفض عند الفجر ، كما أن ذاكرة الأحداث القريبة الوقوع تضعف في أثناء النهار ، ولكن ذاكرة الأحداث البعيدة الوقوع تتحسن في أثناء النهار .

هذه التغييرات تتحكم فيها غدة الهيبوثالاماس (تحت المهاد) التي تقع بجوار المخ الأوسط ، وتتحكم في إفراز أغلب الهرمونات . وخلايا « الهيبوثالاماس » تستقبل المعلومات من العالم الخارجي بواسطة عصب رقيق متصل بشبكية العين .

وقد أثبتت التجارب التي أجريت على المتطوعين أنه توجد على الأقل دورتان ايقاعيتان تنظمان النشاط الإنساني : الأولى تتعلق بالنوم واليقظة ، والثانية تتعلق بالتغيرات في درجة حرارة الجسم ، وكل واحدة من هاتين الدورتين يتحكم فيها جهاز خاص بها . وفي الأحوال العادية يتفاعل هذان الجهازان بعضهما مع بعض ، ولكن عندما يفقد الإنسان إحساسه بالزمن ، يمكن أن ينفصل هذان الجهازان ، وعلى ذلك يجب أن يوجد نظام معين يشتمل على هذين الجهازين مع الاتصال العصبي بين العين والمخ ، لكي يتزامن عمل كل جهاز مع الآخر ، ومع الدورة الطبيعية لليل والنهار التي تستغرق أربعاً وعشرين ساعة .



وقد أشارت الأبحاث التي أجريت ابتداء من عام ١٩٧٨ إلى أن هذا النظام يعجز عن العمل لدى المرضى بالاكتئاب أو الهوس ، مما يؤدي إلى انحراف الايقاعات الداخلية عن الروتين الطبيعي المعتاد خلال الأربع والعشرين ساعة التي يتكون منها اليوم ، وعدم تناسق العمل بين الجهازين المسيطرين على إيقاع النوم واليقظة ، وعلى التغيرات في درجة حرارة الجسم .

نوعان من الشيزوفرانيا

إن ما يعرفه العلماء الآن عن الشيزوفرانيا أقل بكثير مما يعرفونه عن الاضطرابات الوجدانية ، وهم ينظرون إلى الشيزوفرانيا بوصفها مرضاً من أمراض الإدراك ، يصيب القدرة على الفهم ، والحكم على الأشياء ، والذاكرة والمنطق ، أكثر من تأثيره على المزاج . وتتميز الشيزوفرانيا ببعض الأعراض الايجابية مثل المعتقدات الخاطئة والهلوسات وما إليها ، وبعض الأعراض السلبية مثل تناقض السلوك ، وعدم وجود هدف معين ، وفقدان أو تبلد العاطفة بالنسبة للآخرين ، والميل إلى الانطواء والعزلة ، وتجنب المجتمعات ، وعدم الاهتمام بالغير أو بما يحيط بشخصه . وهذا المرض يصيب الشباب بين سن الخامسة عشرة والخامسة والعشرين ، ويزداد سوءاً بإهمال العلاج .

ويعتقد الباحثون أنه يوجد نوعان من الشيزوفرانيا : النوع الأول تغلب فيه المعتقدات الخاطئة والهلوسات ، وهذه الأعراض يمكن التحكم فيها بالعقاقير ، والنوع الثاني تغلب فيه اضطرابات السلوك وفقدان العاطفة والانسحاب من المجتمعات . وهذا النوع لا يستجيب للعلاج بالعقاقير . هذا التقسيم الذي استنبطه العلماء من ملاحظة سلوك المرضى أيدته الأبحاث التي أجريت على مخ المرضى باستخدام الأشعة المقطعية « بالحاسوب » التي تعطي صوراً للأنسجة ذات أبعاد ثلاثة . فقد وجد أن الفجوات داخل المخ التي يطلق عليها اسم « البطينات » تتضخم في المرضى بالنوع الذي لا يستجيب للعقاقير ، في حين أنها تكون في حجمها الطبيعي في المرضى بالنوع الذي يمكن علاجه بالعقاقير أو في بعض الأمراض الأخرى . وعندما تتضخم البطينات بدرجة كبيرة ، فمعنى هذا أن المخ قد حدث به ضمور .

ومـاذا بعـد . . ؟

إن تقدم الأبحاث في ميدان الطب النفسي البيولوجي قد ازدادت سرعته ، وأصبح الهدف الأول هو التوصل إلى علاج أفضل ، إن لم يكن حاسماً للشيزوفرانيا والاضطرابات الوجدانية . إن العلاج بالعقاقير مازال علاجاً قاصراً ، وعلى الرغم من أنه يخفف بعض الأعراض ، فإنه يقف عاجزاً أمام الأعراض الأخرى .

وبالاضافة إلى هذا فإن هذه العقاقير لها أعراض جانبية سيئة .

فالعقاقير في وقتنا الحالي عقاقير عامة جدا ، وهي تقوم بعملها عن طريق إحداث تغييرات في عمليات بيولوجية كيميائية مختلفة متعددة تجري داخل المخ . والنتيجة أن المزاج أو السلوك يقترب كثيراً من الحالة الطبيعية ، ولكن تحدث تأثيرات جانبية غير مرغوبة ، لأن تأثير هذه العقاقير يمتد إلى نواحٍ أخرى غير مطلوب التأثير فيها .

إن التقدم الذي حدث مؤخراً في بيولوجيا الجزيئات ، وفي وسائل التصوير «بالحاسوب» ، جعل استكشاف المخ أكثر سهولة من أي وقت مضى ، لدرجة أن بعض العلماء أصبحوا يعتقدون بأنه لن يمضي وقت طويل ، حتى تستحدث عقاقير تؤثر في مرض معين بالذات ، دون التعرض للأجزاء الأخرى السليمة من المخ .

أما الأمل البعيد ، فهو أن تتوحد الدراسات في ميدان بيولوجيا الجزيئات ، وميدان اضطرابات السلوك ، وبذلك يمكن التوصل إلى اكتشاف أسباب المرض العقلي ووسائل التغلب عليه . □



■ الشيء الوحيد الثابت هو التبدل المستمر .

« هيراقليطس »

■ أستعيد الماضي لا لكي أفتح جراحا ، بل لكي لا تذهب التجربة هباء ، ولا تعود الذاكرة عذراء .

« أميل حُبيبي »

■ في كل إنسان حقيقي يختبيء طفل يرغب في اللعب .

« فردريك نيتشه »



محبوبة المصرية أميرة أوربيّة

بقلم محمد مواسى*

على بعد ١٦٠ كيلومترا جنوبي مدينه برلين (عاصمة المانيا الديمقراطية) تقع حديقة « برانتز » التي تعد من الأماكن السياحية القليلة في أوربا ، والتي تتيح للزائر التعرف على معالم الشرق بصورة واضحة وفي قلبها يوجد قصر ومقبرة لفتاة اسمها « محبوبة المصرية » ، فمن هي محبوبة التي فتنت الأوربيين في حياتها فخلدوها بعد موتها ؟

إنها حكاية تشبه إلى حد بعيد حكايات ألف ليلة وليلة، فيها غرابة وإمتاع بدايتها كانت في عام ١٨٣٩ م عندما حل الرحالة الألماني (هيرمان لودفيج هابيرش) ضيفاً على مصر وحاكمها آنذاك محمد علي باشا بعد جولة زار خلالها كُلاًّ من فلسطين ، ولبنان وسوريا ، واستمرت عامين قام خلالها ببحوث واستطلاعات لبلاد « الغد » كما أسماها

وفي مصر كانت اقامته طويلة ، نتيجة للعلاقة المميزة التي كانت تربطه بمحمد علي ، حيث إن

* كاتب وناقد سينمائي من القطر العربي الفلسطيني

هانيرش كان ينتمي إلى طبقة النبلاء الألمان ، وقد قدم له الباشا تسهيلات عديدة ، لكي يقوم ببحوثه وإشباع فضوله دون صعوبات .

ولقد استغل هانيرش تلك التسهيلات بشكل جيد ، فقد قام (كما يقول) بزيارة الأماكن التاريخية التي تزخر بتراث وثقافة وحضارة قاومت الزمان ، واستمرت بشموخها تبهر الزائرين . ولقد تأثر بفن العمارة الاسلامية ، وهندسة الحدائق ، والزخارف والنقوش ذات الألوان الفاقعة التي يتميز بها الشرق ، وقام برسم الكثير منها على الورق كي يحققه واقعاً في بلاده .

الصورة المنوعة

لدى تجواله في جنوب مصر برفقة بعض الحاشية التابعة للسلطان آنذاك ، التقي هانيرش في أحد بيوت السلطان بفتاة سمراء لم يستطع إخفاء إعجابه بجمالها أمام مرافقيه الذين قاموا بنقل هذا الإعجاب للباشا .

ولما تأكد الباشا من صدق مشاعر هانيرش وافق على أن يأخذها معه ، لعلمه بأنها ستكون بأيد أمينة نظراً لانتماء الرحالة إلى طبقة النبلاء في ألمانيا . وقام الباشا بإهداء « محبوبة » فرساً كي تكون تذكاراً لها في رحلتها الطويلة .

وفي نهاية عام ١٨٣٩ م غادر هانيرش « ومحبوبة » مصر ، على صهوة فرسيهما ، متوجهين إلى أوربا عابرين بذلك بلدان حوض البحر المتوسط . ولدى مرورهما بكل من فلسطين ولبنان وسوريا حرصت « محبوبة » على أن تحمل معها شتلة شجر من كل بلد تمر به ، لتقوم بغرسها في بلاد « الفرنج » تكون ذكرى أبدية ورمزاً لهذه الرحلة .

بعد ستة أشهر من التجوال وصل هانيرش « ومحبوبة » إلى بلده « برانتز » ، وقد كان الاحتفاء بها كبيرا من قبل أبناء طبقة النبلاء الألمان الذين كانوا يحملون اسم « فورستر فون موسكا » ، وهي اسم المقاطعات التي كانوا



● « الجسر المصري » وخلفه ضريح فرس محبوبة



● قطع أثرية تزين قاعات القصر

يسيطرون عليها ، ويحملون اسمها كلقب .

وكان أول ما قام به هانيرش ، هو البدء في تصميم حديقة تقع على مساحة عشرة كيلومترات مربعة تقريبا ، وحرص على أن يكون التصميم فريداً من نوعه في أوربا ، فقد استند إلى الرسومات التي رسمها خلال جولته المشرقية ، وأصدر تعليماته إلى مساعديه في المحافظة على الطابع الشرقي لتصميم الحديقة . اضافة لحرصه بأن تقوم « محبوبة » بغرس الشجيرات التي أحضرتها معها من كل من فلسطين ولبنان ومصر وسوريا في المكان الذي تراه مناسبا ، وهي شجيرات متعددة الأصناف منها : العنب ، الجوز ، الصنوبر ، وهي من الأشجار التي كتبت لها الحياة في المناطق الباردة حين جف كثير غيرها لعدم ملاءمة المناخ له .

ومن الأمنيات التي تحققت « لمحبوبة » إبان بناء الحديقة هو « الجسر المصري » الذي ما زال قائما حتى الآن ، وقد تم بناؤه تحقيقا لرغبتها في وجود جسر في الحديقة يشبه الجسر الذي تناولا عليه آخر طعام غذاء لهما فوق الأراضي المصرية .

أما القصر الذي يقع في وسط الحديقة ، فقد تمت هندسة بنائه لتتلاءم مع هندسة البناء الأوربي



● بعض من الحلي التي أحضرتها « محبوبة » من مصر

من الخارج ، أما من الداخل فقد قام هانيرش بتصميم بعض أجنحته تصميماً شرقياً أصيلاً يتناسب وحاجة سيدة القصر « محبوبة » كي لا تحس بغربة مضاعفة كان يكتشفها يوما بعد يوم .

فغرفة الطعام الكبرى للقصر اشتملت على زخارف ورسومات ونقوش غاية في الجمال تحمل روح الشرق ، قوى الألوان ، وكذلك غرفة نومهما التي تطل على الحديقة وخصوصا على « الجسر المصري » الذي كانت « محبوبة » تتأمله بحنين قوى كل يوم (كما يذكر هانيرش في كتاباته) .

أما ضيوف محبوبة وهانيرش فقد كانوا في معظمهم من الأدباء والفنانين والكتاب ، أي أبناء النبلاء في ذلك الوقت . وقد كان اعجابهم بمحبوبة كبيراً ، وكانوا يشتمّون من خلالها رائحة الشرق القوية المميزة ، لذا فقد كانت السيدة المدللة للعائلة التي طالت سمعتها وسط أوربا . أحد هؤلاء الزوار الفنانين استطاع أن يتشبع من وجه محبوبة ويرسم لها فيما بعد ، لوحة تحتل اليوم مركز الصدارة في القصر (هذه الصورة لا يسمح لأحد حتى الآن بتصويرها) ، وهي تمثل فتاة عربية ، بارقة العينين ، سمراء تعتمر لفة قماش مزخرفة ، وتضع في وسطها خنجرا ، أما الكبرياء التى أظهرتها اللوحة فلم تكن تنم عن أنها كانت جارية .

المرضى والموت

يقول « هيرمان ل . هانيرش »:لقد كانت محبوبة سعيدة جدا بعد انتهائنا من تصميم الحديقة وبناء القصر الذي استغرق أقل من ثلاثة أشهر ، إلا أن الحزن أخذ يبدو على محياها ، ولم تكن لتستطيع اخفاءه ، لم يكن حزنا بسبب الغربة ـ حيث إنها لم تبح بذلك ـ بل كان حالة من الكآبة كانت تعيشها ، احتار جميع المقربين منها في تفسيرها .

كان قد مضى حوالي ستة أشهر على وجود



● من الزخرفة الاسلامية يريس عرفة نوم « محبوبة »



● الهرم الكبير ـ ضريح « محبوبة »

« محبوبة » في ألمانيا ، وقد واجهت بعد هذه الفترة مرضاً خبيثاً تكشَّف لها ، ولكن بعد وقت متأخر ، فقد تبين أنها حملت معها مرض « السل » من مصر ، ونتيجة للمناخ والطبيعة الجديدة التي لم يستطيع جسدها النحيل تحملهما ، فقد كان مصيرها الموت في هذه السن المبكرة .

وللفرس هرم أيضا

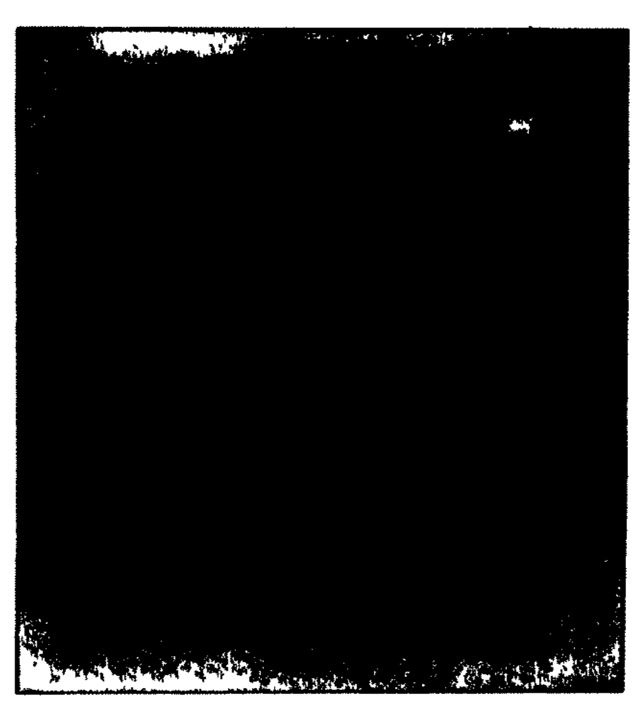
لقد كان موت « محبوبة » صدمة كبيرة لهيرمان ل . هانيرش ، فهي كانت بالنسبة له رائحة الشرق وطعمه الذي عشقه ، والذي أراد أن يعيشه أطول فترة ممكنة . ولم يكن يتوقع أن تنال المنية من « محبوبة » في هذه السن المبكرة ، وقد عاش « هانيرش » حزنا ، كان كفيلا بأن يسبب له عجزا جسديا ، وقد أبى أن يتم دفنها في قبر عادي ، ومن أجل أن يظهر للأجيال القادمة مدى حبه واحترامه « لمحبوبة » ، وبلادها ، وتراثها ، فقد أمر بأن يكون قبرها هرماً مصغرا يدفن فيه هو أيضا فيما بعد .

تم بناء الهرم « الضريح » خلال ستة أسابيع ، وسط بحيرة داخل الحديقة ، تحيط به الأشجار التي كان عمرها عمر حكاية « محبوبة » .

أما الفرس التي أهداها محمد على باشا « لمحبوبة » ، والتي قتلت في حادث خلال رحلة داخلية لهانيرش فقد كانت آخر شيء حي امتلكه ، وموتها هي الأخرى بعد أقل من سنتين من وفاة « محبوبة » زاد من مشاعر الحزن لديه . في تلك الأثناء أعجب الكثيرون من زواره بفكرة بناء الهرم ، ليس فقط كتعبير عن مدى وفائه وإنما للشكل الهندسي المميز لهرم نادر الوجود في أوربا . الأمر الذي دفعه لبناء هرم صغير آخر يكون ضريحا للفرس العربية .

وفاء لما بعد الممات :

لقد كان « لهانيرش » مجموعة كبيرة من الأصدقاء المقربين من أدباء وكتاب عصره



● هيرمان لودفييج هانيرش

الألمان ، وقد أراد أحدهم أن يسجل بعضا من وقائع حياة هانيرش ، وبخاصة رحلته إلى الشرق التي كانت « محبوبة » أحد فصولها المميزة ، قبل أن توافيه المنية ، وقد أصبح عمره يفوق السبعين عاما ، فوافق . وقام الكاتب الألماني « أدالبيرت شتفتر » بكتابة رواية « حصن المجانين » التي تعد من روائع الأدب الأوربي في ذلك الوقت ، حتى في وقتنا الحالي ، فإن الرواية قلما تظهر بالأسواق نتيجة نفادها السريع .

وفي ربيع عام ١٨٧١ م وافت المنية الغراف « هيرمان لودفيج هانيرش » عن عمر ناهز السادسة والتسعين ، وتم دفنه بطريقة غير عادية حيث قام أقرباؤه بصب ماء النار على جسده بعد وفاته ـ كما طلب ـ لينصهر الجسد ويختلط بتربة الهرم ، باستثناء قلبه الذي اوصي أن يوضع إلى جانب ما تبقي من جسد « محبوبة » التي سبقته بما يزيد على الثلاثين عاما . وبهذا يكون هيرمان هانيرش قد بقي وفيا حتى لحظة وفاته « لمحبوبة » وبلادها وتراثها وحضارتها التي لن تمحوها الأيام .

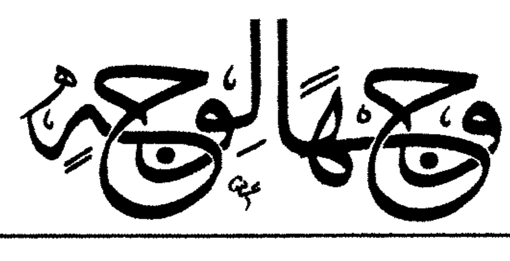
لقد قيل لنا قبل مغادرتنا الحديقة ، بأنه كان قد كتب على إحدى زوايا هرم « ضريح » « محبوبة » بعض الآيات القرآنية التي محيت من جراء المعارك إبان الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٣ ، وقد كان من الصعب اعادة كتابتها لعدم معرفة ما كتب بالضبط .

قيل لنا أيضا ، أنه يدور هذه الأيام الحديث عن وجود كميات كبيرة من الفحم الحجري الذي يستعمل للتدفئة تحت منطقة الحديقة والقصر ، ولكن على الرغم من حاجة دولة ألمانيا الديمقراطية لهذه الكميات الكبيرة من الفحم ، إلا أنها ترفض البدء في الحفر بضواحي الحديقة حتى لا تنشأ فجوات تعمل على جفاف بحيرات الحديقة الجميلة التي تروي أشجار « محبوبة » ، وغيرها من الأشجار . □



● الغريب أن في أزمنة الضيق ، كمثل الأزمنة التي نعيش فيها ، تكثر الكتابة وتقل القراءة ، تماما كما تقل الحرية ، ويتكاثر القمع ، فالكتابة ضمن الشروط القائمة ، تقصيب لحرير القمع ، أو تلميع لمعدنه ، وفي الحالين ، حرير يقطع ويذبح ، ومعدن يفتك ، فالكتابة هي القتل .

«بول شاوول»







عبدالله البردّوني   فاديا الزعبي

■ النَّقدُ متخلِّفٌ عن الإبداعِ في كُلِّ عصرٍ.

■ [illegible]

■ المهرجانات لا تبدع شعراً خاصاً بها.

عبد الله البردوني واحد من كبار الشعراء العرب المعاصرين ، ولد في قرية بردون بالجمهورية العربية اليمنية ، وتلقى تعليمه في صنعاء،شارك في الحركة الوطنية المناهضة للعهد الإمامي قبل قيام الثورة. وهو يضطلع بدور كبير في الحركة الثقافية اليمنية المعاصرة . صدرت له دواوين عديدة منها : « من أرض بلقيس » و « في طريق الفجر » و « مدينة الغد » و « لعيني أم بلقيس » وله كتب في الأدب الشعبي وغير ذلك . أجرت اللقاء الزميلة فاديا الزعبي وهي صحفية من القطر العربي السوري .



× الغموض في الشعر تختص به القصيدة الحديثة ، وقد شمل هذا الغموض قصيدتك العمودية في دواوينك الأخيرة ، في حين كانت قصائدك الأولى عمودية كلاسيكية واضحة . ما سر هذا الانعطاف إلى الرمزية الغامضة ؟ .

ـ لا بد أن يمر كل شاعر بعدة مراحل ، المرحلة الاولى استبطان الذات ، والمرحلة الثانية اقتران الذات بالموضوع الخارجي ، والمرحلة الثالثة ايصال الخارج الى الداخل أو اتحادهما ، والمرحلة الرابعة التوحيد التام بين الموضوع والذات . ولعل قصائدي قد اجتازت هذه المراحل منذ أواخر الأربعينيات وحتى الآن .

كانت المجموعة الأولى « من أرض بلقيس » انعكاساً لخريف الرومانتيكية العربية ، فكانت الذات تغلب على الموضوع ، ومع هذا كانت المجموعة الاولى من أهم دوافعي إلى المواصلة الشعرية ، لأن هذه المجموعة نالت رضا اللجنة الشعرية في المجلس الأعلى للفنون والآداب في مصر فنشرتها في أهم مشروع ثقافي هو مشروع « الألف كتاب » فحققت هذه المجموعة سمعة بعيدة ، وكانت المجموعة الشعرية الوحيدة في مشروع « الألف كتاب » الذي تميز بحسن اختيار المؤلفات والمترجمات على السواء .

أما المجموعة الثانية « في طريق الفجر » فقد كان صوت الواقع فيها أعلى من صوت الشعر ، لان قصائدها ترعرعت في ظروف المتغيرات المتسارعة من عام ١٩٥٩ إلى صدور المجموعة عام ١٩٦٦ . فانعكس على قصائد المجموعة الثانية تفجر الثورة ومعاركها الحربية ، وجدلها السياسي مع الفئات الاجتماعية . لهذا بدت مجموعة « في طريق الفجر » بقصائدها ال ٥٨ منقطعة عن مجموعة « من أرض بلقيس » بقصائدها ال ٥٨ أيضا .

خصائص المرحلة الثالثة

× بم تميزت المرحلة الثالثة من انتاجك الشعري ؟

ـ بعد « في طريق الفجر » تغير المناخ الخارجي واتحد الداخل ، وخفت صوت الواقع نتيجة البحث عن دافع أفضل ، يناقض القائم أو يأتي منه ، أو يرد عليه ، فكانت مجموعة « مدينة الغد » التي صدرت عام ١٩٧٠ ، بداية المرحلة الثالثة من مراحلي ، لأنها حنين إلى المدينة الفاضلة كما اسماها الفارابي ، أو حنين إلى الطوباوية الأوربية والجنة الموعودة أو المفقودة ، فانعكست على قصائد « مدينة الغد » ثورية الواقع على واقعيته ، ومحاولة الاجتياز إلى الأفضل .

امتدت من هذه المرحلة ، مرحلة مجموعة

« لعيني أم بلقيس » التي صدرت طبعتها الاولى في بغداد عام ١٩٧٣ أما المرحلة التالية، فتشكلت من مجموعة « السفر إلى الأيام الخضر » التي صدرت في دمشق عام ١٩٧٤ عبر أن هذا السفر لم يصل، وإنما تأرجح بين الارادة والعجز لمرحلة المجتمع العربي، فأثمر هذا الشعور بالاحباط ثم من مجموعة « وجوه دخانية في مرايا الليل » التي صدرت في الكويت عام ١٩٧٧، وامتدت هذه المرحلة بوصفها امتداداً للأدب الحزيراني دون أن تتأثر بمعركة اكتوبر ١٩٧٣ فظل الأدب الحزيراني يلوح كثيراً ويخبو قليلاً من مستهل السبعينيات إلى منتصف الثمانينيات وكانت غرة هذه المرحلة المجموعة السابقة « زمان بلا نوعية » التي صدرت عام ١٩٧٩، وفيها تصور للزمن الذي لا رائحة له، ولا شكل وكان هذا نهاية مرحلة ثالثة

جاءت المرحلة الرابعة من بداية الثمانينات إلى عام ١٩٨٣، وانعكس تناقضها على مجموعة « ترجمة رملية لأعراس الغبار » التي صدرت عام ١٩٨٣ وفيها إشارة الى تلقيح الرمل بالرمل، و تخصيب الغبار بالغبار كرمز لتشابه السلطة السياسية والسلطات الثقافية

ظلت هذه المرحلة تتطور من داخلها حتى شكلت بداية لمرحلة جديدة تبدت في مجموعة « كائنات الشوق الآخر » التي صدرت عام ١٩٨٦ وهي شوق الأشياء إلى الرحيل، وشوق كل كائن إلى الخروج من كينونته، بما في ذلك الرصيف والربوة، والنهر والبستان، والشاطيء والصحراء

× نعود مرة أخرى إلى الغموض. ما سره وما الأسباب الداعية إليه ؟

ـ الغموض مسألة نسبية فإذا كان بعض يرى في ذلك غموضا، فإن بعضاً آخر يرى فيه وضوحا، وأخص بالذكر جموع المثقفين الذين واكبوا تطور الشاعر وبلغوا مستواه، فاضطر الشاعر أن يبعد علواً على الجمهور، لكي يهبط عليه هبوط المطر الذي يستنبت الأرض، ويتحول إلى قوة صعود من الهبوط فيتلاقى الشعر ومتلقيه وليس هناك سبب سياسي للغموض، ولا أظن أن أكثر القراء يشكون غموضا في كل دواويني، إلا الذين وقفوا على ما صدر في الخمسينيات أو الستينيات، وتجاوزهم الزمن الذي لا يتوقف

المبدع والناقد

× ما رأيك في الحركة النقدية العربية عموماً، واليمنية بشكل خاص، وما الجديد في مسارها ؟

ـ الحركة النقدية تتبع الحركة الابداعية، لأن عمل الناقد يتوقف على عمل الشاعر المنقود أو الروائي المنقود، فالناقد مسبوق بالمادة المنقودة التي هي سبب في نقده ومع تسارع حركة الابداع تتسارع حركة النقد ولعل اليمن كغيره من أقطار شبه الجزيرة ما يزال أقرب إلى الشعر منه إلى النقد، بل إن الشعر ما يزال متفوقاً على سائر الأنواع الكتابية الاخرى، لأن مجتمع شبه الجزيرة ما يزال مجتمع الشعر والزراعة والتجارة

ومع ذلك فهناك حركة نقدية، لكنها لا تنتمي الى شبه الجزيرة، وإنما هي من تأثير قراءة كتب النقد، ومدارسه الابداعية، ولهذا لم يسم الدكتور عبد العزيز المقالح كتاباته النقدية « كتبا في النقد » وانما عنونها بقراءة في شعر (فلان) أو قصص فلان أو رواية فلان، أو مسرحية فلان

ولا شك أن القراءة بعض النقد، ولكنها ليست النقد باسمه ومسماه، أما الذي يتميز برؤ ية نقدية ما تزال في بواكيرها فهو الشاعر عبدالودود سيف الذي ينتمي الى المدرسة الأسلوبية على تسميه، أو المدرسة البنيوية على تسمية اخرى،إلا ان عبد الودود لم يتمكن من جمع المدارس أو خير ما فيها لخدمة النص أو استخدامه

ومع ذلك لا يمكن أن نقول إن في اليمن حركة

نقدية ، ولكن هناك محاولات نقدية بدأت من منتصف الاربعينيات وازدادت تطوراً في السبعينيات ثم وقعت فيها وقعت فيه المدارس النقدية من تعميم ورصد للظواهر ، دون وصول إلى السر الشعري . وليست هذه الظاهرة غريبة على الأدب المعاصر . فهناك سبق للمبدع على الناقد . لأن المبدع مختلف العوالم في حين يظل الناقد محصوراً بالنصوص المنقودة ، فهو تابع للمنقود الذي هو أكثر منه تطورا .

المسافة بين الناقد والشاعر

× هل هناك تفاوت بين الشاعر والناقد ؟

لاحظنا في تاريخنا الأدبي المسافات بين المبدعين والنقاد ، فكان الآمدي في القرن العاشر الميلادي متخلفاً بالقياس إلى ابداع منقودبه ، أبي تمام والبحتري وكان « علي عبد العزيز الجرجاني » في القرن نفسه متخلف الذهن بالقياس الى تحليق المتنبي ، وكان [illegible] في كتابه « الذخيرة » مجرد مؤرخ للأدب الأندلسي كما كان « ابن رشيق » مجرد مدون لما رواه الشعراء في بعضهم . أما ما قاله النقاد في بعض الشعراء [illegible] [illegible] « الصرماح » في شعر « ابن أبي ربيعة » او عن قول الجاحظ في شعر « أبي نواس » أو عن قول البحتري في شعر أبي تمام . فكانت آراء الشعراء في بعضهم أهم مادة قدمها « ابن رشيق » و « الآمدي » و « الجرجاني » والاراء التي كان يبديها « الآمدي » و « الجرجاني » كانت تدل على قصورهما عن بلوغ السر الشعري ، أما عن قدرة الشعر على تطوير اللغة واشتقاقها وخدمتها عن طريق استخدامها فالنقد متخلف عن الابداع في كل عصر كما لاحظنا في النماذج القديمة . وكما نلاحظ من النقود التي كتبها طه حسين ، والعقاد ، والرافعي ، ومارون عبود وأمين الريحاني . فقد كان هؤلاء يعنون بالشاعر من الوجهة النفسية ، ومن حيث تأثره بظروف البيئة ، وتأثيرها فيه ، ولا يغوصون في نصوصه إلى حد أن طه حسين قال عن لغة الشعر المهجري بأنها غير صافية ، أو سماها لغة صحفيه ، بحجة أنها لا تشبه لغة الحطيئة والبحتري

الناقد الثاقب

× من الناقد الثاقب الذي ترى فيه نموذجا جيدا ؟

ـ الناقد الثاقب في رأيي هو « الدكتور محمد مندور » [illegible] [illegible] [illegible] النص فوق ما يحتمل ، ولا يجنح إلى [illegible] المذهبية ، لهذا كان يناقش النقد [illegible] فيتعرف على « الآمدي » و [illegible] [illegible] حتى الواضح منه

[illegible]

أما مارون عبود الذي شغل الخمسينات [illegible] الستينيات ، فكان يصدر عن ذاتية ويلجأ الى النكتة حين يعوزه البرهان الفلسفي أو [illegible] الأدبي . لهذا لم يصل النقاد الى مصاف الشعراء ، لأن الشاعر أو الروائي يبصر بعين



● بدر شاكر السياب ● [illegible]

المبدع الذي يحرك المادة ، في حين ينظر الناقد إلى النص الذي أبدع .

صحيح أن بعض ملامح النقد تشارك المبدع في إنشائه ، لكنها لا تصل إلى مرتقاه . ومن الضروري أن نعرف أن النقد إثراء للثقافة ، وضرورة لتتبع مسيرة الشعر . ولكن لا يمكن أن نقول أنه يُبصِّر الشاعر أو يُسددَ خطاه .

الشكل ليس مقياساً

× الناس والنقاد في صراع بين تيارين ، تيار القصيدة العمودية الكلاسيكية وتيار القصيدة التفعيلية . ويميل بعضهم إلى القول : إن القصيدة العمودية انتهى وجودها في الوطن العربي ، باستثناء شعر الجواهري والبردوني ، ونزار قباني وغيرهم . فما رأي البردوني في القصيدة العمودية الكلاسيكية ، وفي القصيدة التفعيلية ، ولماذا يُقبل الشعراء على القصيدة التفعيلية ؟

ـ ليس الشكل مقياساً للجودة ، سواء أكان عموديا أم تفعيلياً ، فهناك قاسم مشترك في الرداءة وفي الجودة في الشكلين معاً . هذا كان شرط الشعر أن يكون شعراً جيداً أيا كان شكله .

أما تصنيف الشعر إلى عمودي وتفعيلي ، وإلى عمودي متطور فهذا تصنيف خارجي يفيد في معرفة الحركة الثقافية ، والتحرك الاجتماعي ، لكن الشكل لا يتسبب في جودة الشعر ، أو في رداءته ، لأن الأساس امكانيات الشاعر في أي شكل .

ومن العجب أن الاحكام التي تواردت في الخمسينيات قد سقطت على الرغم من تكرارها ، فما أكثر ما ردد الأدباء الصحفيون أن القصيدة العمودية قد انتهت . وأن القصيدة الجديدة هي شعر العصر ، قالوا هذا في الخمسينيات ، وها نحن في بداية التسعينات



● بعض دواوين الشاعر

نقرأ شعراً عمودياً جيداً . كذلك فإن بعض نقاد السبعينيات وقعوا في الخطأ ، فارتأوا أن الشعر الجديد قد انقرض عهده ، وانتهى بنهاية السياب ، وصلاح عبد الصبور ، وخليل حاوي ، ولم يثبت هذا الرأي للنقاش ، فقد أثبت الشعر الجديد امكانية تواصله .

فالذين رأوا نهاية الشعر العمودي في الخمسينيات كالذين أعلنوا نهاية الشعر الجديد بموت بعض رواده وسكوت بعضهم . وكلا الحكمين خاطيء كأغلب أحكام النقد . لأن الأحكام النقدية تتأثر بالفترة الآنية ، ولا تستبصر ظواهر بزوغ الفترة الآتية ، وبالتالي فإن الحاسة المستقبلية عند النقاد غير مرهفة كارهاف حاسة الشعراء بما هو آت .

ومن البديهي أن الشعر كله يملك الجودة ، ويملك الرداءة ، ومن المعروف أن المجيدين في كل فترة لا يتجاوزون عدد أصابع اليد أو اليدين . فإذا كان في عصرنا ثلاثمائة شاعر ، فلا بد أن المجيدين منهم لا يزيدون عن أصابع اليدين . وهذا معهود في كل فترة . ففي القرن التاسع الميلادي كان أجودُ الشعراء ثلاثة : أبو تمام والبحتري وابن الرومي ، وفي القرن العاشر والحادي عشر ، كان أجودهم ثلاثة : المعري ، والشريف الرضى ومهيار الديلمي .

واذا رجعنا إلى العصر الأموي فسوف نجد

أكثرهم ابداعاً ستة شعراء هم ابن أبي ربيعة ، وجرير ، والفرزدق ، وكُثيِّر وجميل والأخطل . وكان هؤلاء في العصر العباسي والأموي من جملة آلاف الشعراء كما دلت على ذلك مقولة جرير :

« إني كافحت ثمانين شاعراً ، ظهرت عليهم جميعاً » ولا نجد من أولئك الثمانين اليوم إلا الأخطل والفرزدق . فالمجيدون هم الذين يغالبون الزمن كله في كل عصر ، فأصحاب الابداع المطلق ـ أو الطبقة العليا ابداعاً ـ لا يزيدون عن ستة : بدر شاكر السياب ، أدونيس ، خليل حاوي ، عبد الوهاب البياتي ، نازك الملائكة . محمود درويش . كذلك القصيدة في الشعر العمودي ، فإن شعراءها المجيدين لا يزيدون عن عدد شعراء المدرسة الجديدة . فيمكن أن تكون الطبقة الأولى مكونة من الأسماء التالية :ـ

عمر أبو ريشة ، والجواهري . وبشارة الخوري ، ومحمد مهدي المجذوب ، وسليمان العيسى ، ونزار قباني ، ويمكن أن تتكون الطبقة الثانية من : احمد الصافي النجفي ، ووصفي قرنفلي ، وعبد السلام عيون السود ، والياس ابو شبكة ، وسعيد عقل

كذلك في الأدب الأوربي بشقيه العربي والشرقي ، فلا يكاد أحد يذكر شاعراً فرنسيا إلى جانب بودلير ، ورامبو ، وأراجون كذلك الروائيون ، فإن الطبقة الأولى تتكون من أميل زولا ، وبلزاك وستاندال ، وبقي غيرهم في طبقة ثانية ويمكن أن نجد الطبقة الاولى في الأدب الروسي متمثلة في تولستوي ودستوفسكي وتشيخوف وجوجول

وإذا لاحظنا المدرسة العربية الرومانتيكية فإننا لا نجد خامسا لعلي محمود طه ، وكاظم جواد ، وابراهيم ناجي ، وأبي القاسم الشابي ، فليست المسألة كثرة الشعراء . ، وإنما المسألة زيادة نوع الشعر . والذين يجمعون بين جودة النوع وكثرة الانتاج قلة في كل عصور الادب ، بما في ذلك شعراء المعلقات في الجاهلية ، وشعراء الملاحم في العصور اليونانية القديمة .

هناك شعراء يَعِدون ولا يفون ، وهناك من يتألقون بالقصيدة والقصيدتين ثم يتوقفون ، من أمثال ابن النحاس ، وابن زريق البغدادي في القديم . ومن أمثال المازني ، وجبران في الحديث . ولهذا انصرف المازني إلى الكتابة ، وانصرف جبران إلى القصة الطويلة ، والمقالة النقدية ، بعد أن بدأ الاثنان شاعرين كبيرين .

المهرجانات محاكمة آنية :

× من خلال حضورك لمهرجانات شعرية وندوات ومؤتمرات أدبية . هل ترى أن هذه النشاطات تضيف شيئا الى الواقع أم أنها مجرد نشاط آني ؟

ـ لا شك أن المهرجانات الشعرية والمؤتمرات الأدبية من أهم سبل التعريف بالثقافة العربية كلها ، أما المهرجانات والمؤتمرات في ذاتها فإنها لا تبدع شعراً خاصاً بها ، فعندما يجتمع الشعراء في أي مهرجان ينشدون ما سبق أن كتبوه ، وربما يعيدون قراءة ما قرأوه في مهرجان سابق ، ولهذا فان الشعراء يصعدون الى المنصات بدواوينهم ، أو بأوراق من جرائد أو مجلات . وقلَّ من يخص المهرجان بقصيدة خاصة . □



● الحب كالكره ، وليس نقيضه ، إنه درجة من درجات الاهتمام بالآخر ، ولكن عدم الاكتراث هو نقيض الحب حقا .

(يوسف الشاروني)



قضـــــية

منتدى العربي

العـــــرَب والمجتــمع المـَـــدني

بقلم : الدكتور مصطفى عمر التير

مصطلح المجتمع المدني ـ منذ أثاره هيغل في القرن الماضي ـ ظل مثار نقاش لم ينته حتى الان . والمقال التالي بالاضافة لكونه إسهاما في هذا النقاش ، هو ـ أيضا ـ محاولة للإجابة عن سؤال آخر مهم : هل عـرف العرب المجتمـع المدنى ، وماهى مكانة هذا المجتمع في فكرنا العربي المعاصر ؟

كثر الحديث في الآونة الأخيرة بين المثقفين العرب حول المجتمع المدني ، وحول ظهوره في المجتمع العربي قديماً وحديثاً ، ويلاحظ أن هذا النقاش قد عكس تنوعاً كبيراً في وجهات النظر ، فبعضهم يرى أن تطور المجتمع المدني يتم على حساب تقهقر مكانة الدين في المجتمع ، فالمؤسسات والتشكيلات الاجتماعية التي يتألف منها المجتمع المدني مؤسسات وتشكيلات تحررت قوانينها وأنظمتها من سلطة الدين . ويرى فريق ثان أن المجتمع المدني يعني بالضرورة التعددية السياسية . ويقترح فريق ثالث ضرورة توافر صفة العقلانية ، وأن المجتمع المدني لا يظهر إلا إذا عمت العقلانية في المجتمع . ويؤكد بعض على أن العرب ، خلال مراحل تاريخهم الطويل ، طوروا ما يعرف بالمجتمع المدني ، وإن لم يستعمل مثقفو العرب المفهوم نفسه ، فهل يعني المجتمع المدني أشياء متعددة ، أو حتى مختلفة ؟ أو أن المفهوم كما يستخدم في أدبيات العلوم الاجتماعية واضح المعالم ، وهناك اتفاق بين مستعمليه حول معنى محدد له ؟ وهل لظهور المجتمع المدني علاقة بحركة تطور المجتمع ؟ وهل ظهوره واحد من مظاهر المجتمع الحديث ؟ وهل له وجود في المجتمع العربي المعاصر ؟

المفهوم في كتابات المفكرين :

ظهر مفهوم « المجتمع المدني » أول مرة في كتابات عدد من مفكري أوربا خلال العصور

الأخيـرة ، ولعـل (هيجـل) من أوائـل من استعمله في شرحـه للكيفيـة التي تتشكـل بهـا الدولة ، والتي تمر عن طريق تطورها بمـرحلتين سابقتين : هما العائلة والمجتمع المدني ،وعندمـا

جـعـل (مـاركس) همـه الأول معـارضـة (هيجـل) ، ونقض أطـروحـاتـه ، وجـد في المجتمـع المدني قضيـة للنقاش ولـلاختـلاف ، فـالدولـة عند (هيجـل) هي أهم التشكيلات الاجتماعية ، وعنها تنبثق بقية الأشكال ، فليس للمجتمع وجود خارج الدولة ، لكن (ماركس) افترض أن المجتمع سابق على الدولة في موقعه من حركة تطور المجتمع ؛ فالدولة عبارة عن شكل واحد ، من مجموعة أشكال تنتج عن اتحاد بعض مؤسسات المجتمع المدني ، ولذلك يمكن تصور مجتمع فيه مجتمع مدني وليس له دولة . وأسهم المفكر الماركسي الايطالي (جرامشي) بتـرويج هذا المفهوم عندما وظفه ليصف جميع التنظيمات الاجتمـاعيـة السـريـة والعلنيـة التي لا تخضـع للدولة ، بل وتجعل من بين أهـدافها معـارضـة الدولة ، بل حتى العمل على تغييرها أو إزالتها .

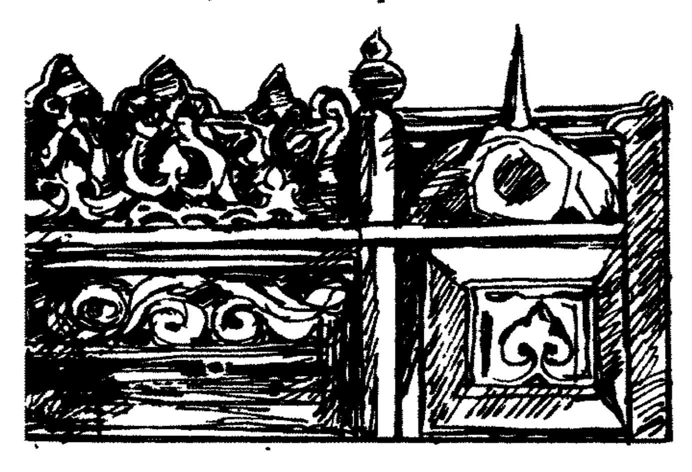
لكن الاستعمال الذي قد يناسب أكثر أدبيات العلوم الاجتماعية هو ذلك الذي يرجع للباحث الاجتمـاعي (دي توكـوفيل) الـذي استعمـل المفهـوم في دراستـه المشهـورة عن المجتمـع الأمريكي التي ظهرت في الثلث الأول من القرن التاسع عشر . رأى (دي توكوفيل) أن المفهوم يمكن أن يشـير إلى التـنظيمـات والمؤسسـات والهيئـات الاجتماعيـة التي لا تخضع خضـوعـاً مباشراً لسلطة الدولة ، ولكنهـا تقاسمهـا مهمة التـنظيم والتـوجيه لأنشـطة أفـراد المجتمـع ، فمكونات المجتمع المدني لا تقصر على تلك التي تعارض الدولة أو تقف منها موقفاً عدائياً ، وإنما تشمل أيضاً تشكيـلات اجتماعيـة ، تتولى عن الدولة مسئولية الإشراف على جانب من أنشطة أفراد المجتمع .

من تاريخ العرب :

بنى العـرب ، خـلال مـراحـل تـاريخهم الـطويل ، المؤسسـات والتـنظيمـات والهيئـات الاجتماعية المختلفة ، كما عرفوا أشكالاً متعددة للسلطة ، بما في ذلك السلطة السيـاسيـة التي تحتكرها دولة ، وأسهموا بنصيب كبير في تطوير الحضارة العالمية والتراث الإنساني ، وبعض هذه الاسهـامات مـا يزال يجـد له دوراً في الحضـارة المعاصرة .

لكن هل عرف العرب في الماضي ما يمكن أن يسمى المجتمع المدني ؟ وهل طالت اسهـاماتهم هذا المجال ؟ وما مكانة المجتمع المدني في المجتمع العربي المعاصر ؟

اشتهر عدد من المفكرين العرب بالرجوع دوماً إلى الماضي ، ومحاولة إيجاد الشكل القديم لكل ما هو جديد ، وتطول بعض هذه المحاولات حتى آخر مـا تـوصـل إليـه العلم من مكتشفـات ومختـرعات ، عـلى الأقل عـلى مستوى الأفكـار والنظريات . ولذلك لا يجد المرء غـرابة عنـدما يقرأ عن أن العرب قـديماً قـد طوروا مـا يعرف بالمجتمع المـدني ، وإن لم يستخدمـوا المصطلح نفســه . ويضـرب هؤلاء الكتـاب أمثلة من التاريخ ، يستخدمونها أدلة مادية على صحة مثل هذه المقولة . ومن بين الأمثلة التي يكثر ذكرها في



هذا المجال : التوسع في وظائف المسجد ليصبح بالإضافة إلى كونه مركز عبادة مكاناً يلتقى فيه أبناء المنطقة ، ومأوى يلجأ إليه الغرباء والمسافرون ، ومكاناً لتلقي العلم ، ولتطوير مدارس فكرية ، ومدارس أو جماعات سياسية تناهض السلطة الرسمية ، كما تذكر الأوقاف أيضاً على أنها مظهر للمجتمع المدني بحسبانها مؤسسة خيرية غير رسمية ، تقوم على التبرع الفردي والعمل التطوعي ، وتكثر الإشارة أيضاً إلى الزوايا الدينية على أنها تنظيمات شعبية خارج سلطة الدوله ، تنظم جانباً كبيراً من سلوك الأفراد وتوجهه

لا شك أن الأمثلة التي ذكرناها آنفا وغيرها عبارة عن تنظيمات اجتماعية غير رسمية ، لعبت دوراً رئيسا في بعض حقب تاريخ العرب ، لكن الذي لا نأخذ به هو أن هذه هي المجتمع المدني ، حتى لو لم يستخدم هذا المصطلح للتعبير عنها

يذكر لنا التاريخ أن العرب ،قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره ، طوروا ممالك ودولاً ، بل وامبراطوريات ، وعرفوا نظام السلطة الحكومية المركزية . كما يذكر لنا التاريخ أن شعوباً أخرى طورت ما طوره العرب من نظام سياسي ، لكن الدولة في التاريخ العربي ، كما في تاريخ تلك الشعوب التي بنت حضارات قديمة ، لم تفرض سيطرتها على جميع أنشطة الأفراد التابعين لها . لقد اهتمت الدولة في التاريخ القديم بتنظيم جانب صغير من الأنشطة الاجتماعية المتوافرة في المجتمع ، وترك الجانب الأكبر لتلك الأنشطة ، لتتولى مهمة تنظيمه هيئات وجماعات غير رسمية ، فعندما اتحدت القبائل العربية ،



● هيجل ● ماركس

خصوصاً بعد ظهور الدعوة الإسلامية ، وكونت نظاماً سياسياً واضح المعالم ، امتدت سلطته لتشمل مجالاً جغرافياً واسعاً ، فإن القبيلة العربية لم تفقد هويتها ، بل ظلت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية الأكثر أهمية ، سواء في النشاط الاقتصادي أو النشاط السياسي أو الأنشطة الاجتماعية المختلفة ، واستمر الجزء الأكبر من نشاط الفرد يخضع مباشرة لسلطة القبيلة ، وحتى ذلك الجزء الذي تنظمه السلطة المركزية فإن قنوات التنظيم تمر عبر القبيلة وليس خارجها .

بعيداً عن الديكتاتورية :

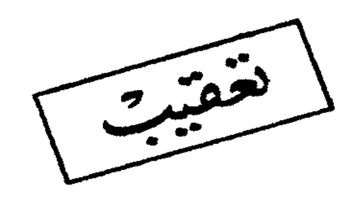
لكن أمر أوربا العصور الوسطى يختلف عن حالة العرب هذه التي وصفناها ، فقد تميزت بظهور ممالك كثيرة ، يسيطر على كل واحدة منها صفوة صغيرة ، تتحكم في جميع مناشط الأفراد أو عامة الشعب ، وفي مصائرهم ، ولذلك عندما ظهرت حركات التحرر ونشط المفكرون ، انصب الجهد الأكبر لتوفير الحريات الفردية والتحرر من السلطة الغاشمة للحاكم أو الكنيسة ، وعندما نجحت هذه الحركات في بناء الدولة القومية اهتم الفلاسفة والمفكرون ورجال السياسة بتحديد معالم واضحة للسلطات وللأنشطة ، ونصت الدساتير والقوانين على وجود هامش في المجتمع ، لا تخضع أنشطته الاجتماعية للسلطة المباشرة للدولة ، وقد صارت الدولة القومية مثالاً يحتذى ، لكنه تم تطوير أشكال مختلفة للدولة في علاقة السلطة المركزية بالهامش الذي أشرنا إليه ، وإذا ألقينا نظرة على خارطة العالم وجدنا أن عدد الكيانات السياسية المستقلة تجاوز مائة وخمسين ، ووجدنا أيضاً فروقات شاسعة بين هذه الكيانات في اتساع الهامش الذي نتحدث عنه ، فهناك مجتمعات لا تتجاوز سلطة الدولة فيها القضايا الرئيسة العامة ، وتترك لمؤسسات المجتمع المدني مهمة تنظيم غالبية أنشطة الأفراد ، بما فيها من اقتصاد وسياسة وخدمات وترفيه وتعليم ووسائل اتصال وغير ذلك ، كما أن هناك مجتمعات تقبض فيها الدولة بيد من حديد على جميع الأنشطة ، ولا تكاد تترك شاردة أو واردة إلا وجعلتها تحت سيطرتها المباشرة ، لكن كما تقلد المجتمعات بعضها بعضاً في كثير من مظاهر الحياة وقضاياها ، فإن الانتفاضات الجماهيرية التي تبرز بين الحين والآخر في هذا الجزء من العالم أو ذاك دليل على أن المستقبل لدولة تنسق أكثر من دولة تحكم وتتحكم .

ولعرب اليوم ، كما لغيرهم ، كيانات مستقلة ، لكل منها دولة ومؤسسات وهيئات وأنشطة . تجاوز عدد الكيانات العربية العشرين ، ذات حدود سياسية ، ونظم حكم متباينة ، وشعارات ومباديء معلنة . لكن بغض النظر عن الاختلافات الموجودة بين هذه الكيانات ، فإن للدولة مكانة متميزة في كل كيان عربي . وهي دولة تفرض سيطرتها على غالبية أنشطة الفرد ، ولا تترك خارج نطاق سيطرتها المباشرة سوى هامش بسيط ، يتسع قليلاً في حالة بعض الأقطار ، ويضيق في حالة أقطار أخرى ، حتى لا يكاد يلاحظ له أثر . فالدولة في مجتمعنا مسئولة عن مناشط الفرد في مجالات العمل والمشاركة السياسية ، والترفيه ، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية ، والاتحادات المهنية ، والجمعيات بأنواعها ، ولا تكاد تترك الدولة للفرد مجالاً من مجالات نشاطاته إلا وتدخلت فيه تحت شعارات مختلفة ؛ فباسم المحافظة على الوحدة الوطنية توجه نشاط الفرد السياسي وتشرف عليه ، وباسم الصالح العام والمستقبل المشرق يوجه الطلاب نحو مجالات دراسية قد لا يرغبون فيها ، ولا تتوافر لديهم الاستعدادات المناسبة لها ، وهكذا ، وباسم الصالح العام أيضاً تفرض الدولة سيطرتها على وسائل التعبير والاتصال من برامج الإذاعة المرئية والإذاعة المسموعة والمجلات والكتب ومواضيع المحاضرات واللقاءات العلمية ، وغيرها .

هامش أوسع للحركة :

وكما ذكرنا آنفاً فإن أجزاء الوطن العربي تختلف في درجة اتساع الهامش الذي تبقيه الدولة طواعية خارج إشرافها المباشر . لكن يلاحظ أن هذا الهامش بدأ يتسع ، وبدأت تظهر في أكثر من مكان انتفاضات شعبية . وعلى الرغم من أن أغلب هذه الانتفاضات ارتبطت في مظهرها الخارجي بالجانب الاقتصادي ، فإن المدقق يمكنه أن يكتشف أنها تحتوي على شيء من الرفض ، وتحدي قهر السلطة المركزية . وقد نجحت بعض هذه الانتفاضات في أن تفرض على الدولة تنازلات ، أدت إلى توسيع هامش الحركة الذي يقع خارج السلطة المباشرة للدولة ، فظهرت التعددية السياسية في أكثر من مكان ، وأسهمت المؤسسات الاقتصادية ، غير الحكومية ، في تولي مسئولية توفير العمل لعدد من الأفراد ، وتم الاعتراف بتكوين اتحادات وجمعيات مستقلة عن الدولة ، تنظم جانباً من أنشطة أعضائها ، وتقدم خدمات تعليمية أو صحية واجتماعية ، كانت في السابق تتولاها الدولة . وإذا نظرنا إلى جميع هذا على أنه مؤشرات لاتجاهات مستقبلية فبالإمكان أن نقول : إن المستقبل سيحمل في طياته كثيراً من التغيير في هذا الاتجاه ، وبعبارة أخرى : فإن المجتمع المدني ، بغض النظر عن صغر حجمه في الوطن العربي ، سيكبر في المستقبل ، وسيبلغ مرحلة يسهم فيها مع الدولة بنصيب لا بأس به في تحمل مسئولية تنظيم أنشطة الفرد وتوجيهها . ومع اعتقادنا بأن المجتمعات في سيرها على طريق التحديث تأخذ أكثر من مسار ، فإن هناك خصائص لا بد أن توجد في جميع هذه المسارات ، ويبدو أن ظهور المجتمع المدني وتوسعه هو واحد من هذه الخصائص بالنسبة لظاهرة التحديث . □





هل كان شكسبير طبيباً ؟

تعقيبا على مقال الكاتبة الدكتورة صبيحة الدباغ وعنوانه : (هل كان شكسبير طبيبا انقلب إلى مؤلف مسرحي ؟) المنشور في عدد ٣٧٥ شهر فبراير ١٩٩٠ ، أود أن أضيف إلى مقال الكاتبة ، هذه الإضافة التي أظن أنها يمكن أن تجيب عن السؤال حول الحقيقة الطبية أو العلمية لكتابات شكسبير .

تعد الدراما التي صاغها شكسبير في رواية « هاملت » من أعظم ما كتب على الإطلاق ، وقد طالعنا شكسبير في هذه المسرحية بوجه فيلسوف حكيم ، قد أنهكته سنوات عمره ، فصاغ الحكمة بسيطة في كلماتها ، عميقة في معانيها ، ويلمح المرء في هذا العمل

الدرامي الكبير كلمات مثل : « ليس الموت إلا نوما طويلا ، وليس ما يلاقيه الأموات في الحياة الأخرى إلا أحلاما مختلفة في ذلك النوم » . أو قولته المشهورة : « ان يكون الانسان أو لا يكون فهذه هي المشكلة » ، إنها الفلسفة تقطر من منابعها ، وقد صاغها قلم شكسبير المبدع على لسان « هاملت » ، في لحظات تأملية ، فيها من الحلال ما فيها

والحقيقه أن كتابة هذه المسرحية جاءت في عصر غلبت عليه روح التشاؤم والحزن ، وكثرت فيه الجرائم وغلبت على الأذهان فيه فكرة القدرية والخشية في تصريف أمور البشر ، مما يؤدي إلى دفعهم دفعا إلى ارتكاب حوادث القتل والتعذيب . ومن هنا جاءت هذه المآسي المتعددة في مسرحية واحدة ، هي مسرحية « هاملت » لكن ما قصة القراءة العلمية في هذه الرواية ؟

تركزت الدراسة العلمية لهذه المسرحيه على أسلوب استخدام السم مصبوباً في الأذن وسيلة للقتل ، وعن مدى مفعول هذا الأسلوب في القتل ، وكان السؤال : لماذا لجأ شكسبير إلى هذا الأسلوب على الأخص ، ولم يلجأ إلى أسلوب آخر ، كالقتل بسيف أو خنجر ؟ وقد قام بدراسة هذه القضية طبيبان ، أحدهما من معهد الدراسات الطبية في نيويورك ، والاخر من جامعة رودس من جنوب افريقيا ، وقد أوضحا في دراستيهما أن شكسبير قد استفاد من أحدث الاكتشافات التشريحية في هذا العصر ـ عصر كتابة المسرحية ـ وبلجوء شكسبير إلى هذه الطريقة في القتل ، فإنه استطاع بناء مسرحيه كاملة ، ذات بنيان قوي ، وكان الاكتشاف الطبي الذي استخدمه شكسبير في مسرحيته هو تلك القناة التي تصل بين الأذن الوسطى والحلق ، لتحدث نوعا من التوازن في الضغط على جانبي غشاء طبلة الأذن ، وبالتالي تسمح بانتقال الهواء بينهما . وهذه القناة السمعية قد تحدث عنها الإغريق منذ خمسمائة سنة قبل الميلاد ، حتى جاء بعد ذلك عالم التشريح الايطالي « بارتولدميو ايوستاكيو » ، في القرن السادس عشر ، وأعاد اكتشافها ، ثم سميت باسمه ، فعرفت باسم « قناة استاكيوس » . كان هذا الاكتشاف قد ظهر في عصر شكسبير ، فلم يلبث هذا الأخير أن استخدمه وسيلة للقتل . وفي الحقيقة أن هذه النقطة تضع علامة استفهام كبيرة حول حقيقة شكسبير نفسه ، وحسب علمي فإنها لم تحسم تماما حتى اليوم . المهم أن لجوء شكسبير إلى هذه الطريقة جعل من القتل أمراً مبهماً ، لا يترك أي أثر واضح ، فلو تم القتل بسيف أو بخنجر لكانت الجريمة واضحة ، وكان الانتقام السريع هو النتيجة الحتمية ، وبالتالي فلن يكون هناك مبرر لهذه المشاهد الطويلة التي أتيحت للكاتب ، والتي جرت بين شبح الملك وابنه « هاملت » . وقد ساعد استخدام شكسبير لهذا الأسلوب في القتل على إطالة زمن المسرحية ، مما أتاح له مناقشة كثير من الأمور الفلسفية ، بأسلوب رشيق ، وحكمة قل أن توجد في عمل درامي كامل ، كما أوضح ذلك أيضا علم شكسبير بأحدث الاكتشافات الطبية في عصره ، واستخدامها على أساس أن السم المصبوب في الأذن سوف يمر من خلال قناة استاكيوس إلى الحلق ، وسوف يؤدي ابتلاعه إلى إحداث التسمم والقتل . □

الدكتور سامي محمود علي



● شكسبير



الرِّواية في وادي النيل

بقلم الدكتور :شكري محمد عياد

عن الابداع الروائي في وادي النيل تكثر الدراسات والأبحاث ، وتتزايد الأسئلة ، وتصعب الإحاطة بجوانبه المختلفة لغزارة نتاجاته ، وتنوع أساليبه وأشكاله ، وتعدد الأصوات فيه .

ومن هنا تأتي هذه المعالجة المركزة لتكشف الظواهر المشتركة في هذا الابداع ، وتبين أبرز قضاياه وهمومه .

هذا المقال على الرغم من ايجازه (أم لعله بسبب هذا الإيجار) فإنه لايصلح بدون بعض كلمات في المقدمة . فأولا : من بين مائة رواية أو أكثر قرأتها على مدى هذه السنوات ، أو رأيت من الضروري ألا أغفلها قبل الشروع في الكتابة ، لن أشير إلى أكثر من عشرين والسبب الأهم لهذا الحصر هو أن كثيرا من الانتاج الروائي يقع في منطقة « ما دون الأدب » ، ولذلك يمكن أن يكون مادة لبحث اجتماعي ، ولكنه لايدخل في اهتمام الناقد الأدبي ، أو القاريء المتذوق . (وفي الوقت نفسه لاألتزم بذكر جميع الروايات التي ترقى الى مستوى الأدب) . وأود أن أعتذر عن تقصير ـ إن كان ـ فيما يتعلق بالانتاج الروائي الصومالي (ولابد من ضم الصومال الى مصر والسودان في تقسيم أدبي جغرافي ، سواء صح اعتباره داخلا في حوض النيل من الناحية الجغرافية الفنية أم لم يصح ذلك) ، فلم تصل إلى يدي أو علمي رواية عربية واحدة من هذا القطر . أما السودان فقد وجدت عندي منه ثلاث روايات بجانب روايات الطيب صالح الاربع ، وأخشى أن يكون قد فاتني من ابداعه الروائي أشياء مهمة . وأود ألا أفرغ من هذه الملاحظة قبل أن أنبه إلى أنني لا أفترض مسبقا اشتراك هذه الأقطار الثلاثة في سمات معينة تميز أدبها الروائي بشكل عام ، عن الأدب الروائي في غيرها من الأقطار العربية ، فمثل هذه السمات لاتظهر إلا بعد الدرس المقارن .



وملاحظة ثانية أقدمها بين يدي هذا المقال ، وهي أن النظر في مادة على هذا القدر من الامتداد والاختلاف ، يقتضي تقديم الظواهر المشتركة على المميزات الخاصة ، وملاحظة عامل الزمن الذي يؤكد الاستمرارية من ناحية ، وتغير الحساسية من ناحية أخرى . فإلى جانب أعمال الروائيين الذين ثبتوا أقدامهم قبل هذه الفترة ، ينبغي أن ترصد الأصوات الجديدة التي ينتظر أن تكون أوضح تعبيرا عن ذلك التغير (ولو أن أحداً لا يتوقع أن يسير تطور الرواية في خط مستقيم ، من حيث إن العلاقة بين المتغيرين ، الزمن والفن ، غير ثابتة) .







● صنع الله ابراهيم ● يحيى حقي

ويترتب على الملاحظتين السابقتين أننا قد نعنى بالموقف الحضاري أكثر مما نعنى بالشكل الفني . على أن لنا ملاحظة ثالثة وأخيرة تتعلق بالفن عامة ، والفن الروائي بصفة أخص ، فعندنا أن الفن هو في آخر المطاف محاولة للسيطرة على الواقع (يناظر العلم في ذلك) ومن ثم فحقيقة الفن تكمن في التشكيل الذي يفرضه على الواقع ، وفي مقدرة التشكيل على إخضاع الواقع للقيم الإنسانية . على أن الأحكام القيمية النهائية ليست في مقدور أي ناقد ، بل لعلها غير ممكنة أصلا ، إذا لاحظنا اختلافها من ظرف الى ظرف ، ومن عصر إلى عصر . ومن ثم فعلى قدر نزوعنا الى معالجة النقد على أنه عمل علمي وموضوعي سوف يكون تحفظنا عند التقييم ، فمهمتنا تنتهي عند بيان دلالة التشكيل الفني على القيم الانسانية ، وما يلي ذلك من حكم جمالي (أو حتى أخلاقي) على هذه الدلالة ، فهو إلى القاريء ، الى كل قاريء بمفرده ، كحق ومسئولية أيضا .

الرواية والأحداث العامة

على هدى من هذه المباديء ، تمثل أمامنا حقيقة شاملة وهي أن الرواية في وادي النيل كانت وثيقة الصلة بالأحداث العامة . وإذا كان من اليسير أن نشير بأصابعنا إلى انعكاس الأحداث السياسية على العمل الروائي القريب من الصحافة ، بينما يستخفي مثل هذا الانعكاس في الأعمال الأكثر فنية ، وهي التي تعنينا أكثر من غيرها ، فإن هذه العلاقة تظل قائمة ، بل إنها تكتسب مزيدا من العمق ، وهو ما نعنيه بجهد الفن لتشكيل الواقع ، وهو ما يجعل العمل الفني أقوى دلالة على كل ما هو جوهري في الواقع ، بقدر ما هو أرقى فنا وألصق بالقيم الانسانية . وفي هذا السياق لابد أن نلاحظ تأثير الرقابة التي لاتسمح إلا بهامش صغير للنقد المباشر للأوضاع السياسية والاجتماعية ، وهو ما يدفع الأدب القصصي - والرواية الطويلة بوجه خاص - الى الاضطلاع بعبء تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي ، بأسلوب غير مباشر .

ولاشك أن ابداع نجيب محفوظ في الستينيات وضع أساسا راسخا لهذا الاتجاه الذي غلب على الانتاج الروائي في السبعينيات والثمانينيات . وقد آن الأوان لكي تدرس أعمال

نجيب محفوظ خلال تلك الفترة في إطارها السياسي والاجتماعي (ولو أننا لانهمل اهتماماته الميتافيزيقية في أعمال مثل : « اللص والكلاب » ١٩٦٠ ـ « الطريق » ٦٤ ـ « الشحاذ » ٦٥) .

لقد أرخ نجيب محفوظ للوعي السياسي والاجتماعي لدى المثقفين المصريين ـ وهو استقطاب وتقطير لوعي الجماهير ـ خلال العهود التي تلت ٢٣ يولية ١٩٥٢ بكثير من الوضوح والأمانة ، وربما ساعده تمزق هذا الوعي على صياغته بصورة أكثر درامية ، في أعماله الكبرى خلال هذه الفترة : « السمان والخريف » ٦٢ ، « ميرامار » ٦٧ ، [illegible] » ٧٢ .

على أن الهم السياسي الذي يعرض نفسه في معظم روايات هذه الحقبة ، ويتجاوز ـ في معظم الأحيان ـ دوره المعتاد في الخلفية ، ليشترك في تشكيل مسار الأحداث ومصائر الشخصيات ، يصبح هو الموضوع الأساسي ، ويسيطر سيطرة تامة تقريبا على البناء القصصي في روايات يوسف القعيد التى تلت « أخبار عزبة المنيسي » . « يحدث في مصر الآن » ٧٧ ، « الحرب في بر مصر » ٧٨ ، « شكاوي المصري الفصيح » ٨٦ . ويقترب من المأساة ـ مأساة الأحلام المحبطة والبطولات الهشة والموت المجاني في « في الصيف السابع والستين » (ابراهيم عبد المجيد ٧٩) ، ويتخذ شكل الرمز الهجائي الساخر الذي يمتد ليصبح عمود الحركة القصصية والذهنية كلها في « اللجنة » (صنع الله ابراهيم ٨٢) .

وما زلنا نشعر بالمناخ السياسي في طائفة أخرى من الروايات يغلب عليها تصوير العلاقات الاجتماعية في مجتمع متخلف ، تعرض فجأة لما يشبه الزلزلة في القيم ، نتيجة لتغيرات أساسية في بنيته الطبقية . فتقدم « أصوات » (سليمان فياض ٧٢) صورتين متعارضتين للحرية المسئولة عند الغربيين ، والجهل والاستبداد اللذين يورثان الكراهية والنفاق في البيئة المصرية . وتدور القصة حول زيارة مهاجر [illegible] لقريته مع زوجته الفرنسـ[illegible] [illegible] هذه الفرنسة [illegible] كانت تحاول أن تتعاطف مع قوم زوجها ، وتقدم لهم بعض العون . وتقدم « الوليمة » (عبد الفتاح رزق ٧٨) صورة لتحلل الأسرة المصرية ـ مفخرة المصريين منذ القدم ـ في أوائل عهد الانفتاح ؛ وحلم الابنة المتحررة جدا بأن الأسرة تقيم وليمة لتأكل الابن الأصغر بعد ذبحه وطبخه ، صورة بشعة لمجتمع يدمر خير ما فيه . وكثافة الصورة القريبة من الرمز ، والتي نستعطب الكثير من معاني الرواية وتلون أسلوبها الواقعي بشيء من التجريد ، سمة ظاهرة في عدد آخر من روايات هذه الحقبة . إن الالحاح في عرض « الواقع » بكل تفاصيله المملة ، وفظاظته التي ينفر منها الذوق العادي «تلك الرائحة» ـ صنع الله ابراهيم ـ ٦٦ +) يدفع بالواقعية الى نقيضها ، وكأن المقصود هو تصوير القبح نفسه كمعنى مجرد . ويبدو موت الأم في أثناء اعتقال الراوي (وهولا يُكشف لنا إلا قرب آخر الرواية) أشبه برمز للضياع . ورواية « أيام المطر » (اسماعيل العادلي ٨٥) أقل غوصا في تفاصيل الواقع ، بينما الرمز فيها يربط الأحداث السياسية والتجربة الشخصية (الفسيولوجية) برباط محكم ، إذ يبدأ سقوط المطر في اللحظة نفسها


● نجيب محفوظ



التي تظهر فيها بوارع الحنس الحارقة ، وتموت براءة الطفولة عند راوي القصة ، بينما يكون العامل الشاب في طريقه الى القتال لينضم للفدائيين . وكأن الرواية ، في بعديها النفسي والسياسي ، تعيدنا الى عنفوان الانطلاقة الأولى .

بروز الرمز والتجريد

هكذا تقتحم الأسلوب الواقعي عناصر جديدة أميل إلى الرمز والتجريد ، وكأن هذه العناصر أصبحت ضرورية ، إذا كان للكاتب أن يسيطر على واقعه القاسي ، ولم يلجأ إلى اسلوب الهجاء المباشر . على أن ما عاناه المثقف المصري بصفة خاصة من القهر ومصادرة الارادة قد أنتج لنا أنواعا أخرى من الأدب الروائي تتمرد على الواقع ، إما باخضاعه لحالة مزاجية معينة (وهو أقرب هذه الأنواع إلى الواقعية) ، وإما بالاتجاه إلى الداخل عن طريق شكل من أشكال تيار الوعي ، وإما بتشويه الواقع باستخدام لغة حلمية على طريقة السيرياليين . ولعل الروايه العربية لم تشهد في كل تاريخها السابق كماً من الانتاج السيريالي يوازي ما أنتج في العشرين سنة الأخيرة ، ولذلك فهو يحتاج إلى دراسه خاصه نظرا لحدته وكثرته في الوقت نفسه . فلنكتف هنا بالإشارة الى عدد من أهم الأعمال التي تمثله ، وإلى محاورها الأساسية .

« البطل الضد » ، والهارب أو المطارد أو المضطهد ، والرافض دائما ، والمتمرد أحيانا ، يخوض: صراعاً لاينتهي ، يختلط فيه الوهم بالحقيقة ، ومن ثم يمكن أن تبدو التفاصيل الواقعية في هذا النوع من الكتابة أشد بروزا وتحديدا منها في الكتابة الواقعية نفسها ، ولكنها مشبعة دائما بانفعال حاد ، هذه هي الصورة الكلية التي نحصل عليها من الروايات الآتية :

اللعب خارج الحلبة (خيري شلبي ٧٠) ، الزويل (جمال الغيطاني ٧٥) ، محطه السكة الحديد (إدوار الخراط ٨٥) ، السحر الأسود (شفيق مقار ٨٦) ، سقوط الإمام (نوال السعداوي ٨٧) ، الرمس الميت (فاروق خورشيد ٨٨) . وهناك انفعالان متناقضان يولدان حشدا من الصور المتصادمة ، وهما انفعالا الخوف والغضب ، وقد يجتمعان كما في « الرمس الميت » ، أو يسيطر الخوف كما في « الزويل » و « محطة السكة الحديد » أو الغضب كما في « سقوط الإمام »

أما القسمان الآخران ففيهما كليهما خصائص الكتابة الانطباعية (امتدادات يحيى حقي) وإن كان أولهما أقرب إلى الواقعية ، في حين أن الثاني يميل الى استخدام أساليب الرمزيه او السريالية ـ وإن بطريقه جزئيه ومتفرقة من القسم الأول نعد روايتي عبد الحكيم قاسم : « قدر الغرف المقبضة » (٨٢) و « محاوله . . للخروج » (٨٧) . في الرواية الأولى يتشبث الشاب المثقف الفقير بحلم متواضع : أن يسكن في منزل فسيح ونظيف . ونتنقل معه بين مساكن « مؤقتة » في مصر وأوربا ، في أحياء جميله راقية ، وأخرى بائسة حقيرة ، الأولى هي التي يثبت أنها « مؤقتة » حقا ، أما الأخرى فإنها « قدر » لافكاك منه . ونشعر بأن المكان يخلق الانسان كما يخلق الانسان المكان . وفي الروايه الثانيه تتراجع مشكلة المكان (ولو أنها ما تزال موجودة) ، وتبرز مشكلة الحب . وهنا أيضا مقارنه بين مصر وأوربا ، في شخص المثقف المصري الشاب المحبط والفتاة السويسرية التي قدمت الى مصر في رحلة سياحية (لاحظ تشابه الموضوع ، مع اختلاف الاسلوب ، بين هده الرواية ورواية « أصوات » لسليمان فياض) . ومع أن الموضوع السياسي يكاد يكون غائبا ،

ورؤية الكاتب للحياة القريبة من الفطرة في الـريف المصري ما تزال مشبـعـة بحـنـين رومانسي ، فإن الجهامة والعداوة والتلقائية وعدم المبالاة بشقاء الآخرين ، بل تعمد الحيلولة بينهم وبين السعادة بشتى أنواع التحريم ، تصور مجتمعا انعدم فيه الشعور بالجمال ، بل الشعور بالحياة نفسها ، لأنه يفتقد الحرية .

بين هذا اللون الذي تغلب عليه الانطباعية واللون الآخر الذي يميل الى السيريالية أو الرمزية أحيانا تقع روايتا « أوراق زمردة أيوب » ([illegible] الديب : « حديث شخصي » ٨٢) و « مالك الحزين » (ابراهيم أصلان ٨٣) . وفيهما أيضا تظهر بوضوح فكرة « النهاية » التي نصادفها بأشكال مختلفة في كثير من روايات هذه الحقبة . وبين « النهاية » كعنصر فني ، والنهاية كفكرة تلاق وافتراق : فهما تجتمعان فيما يسمى « النهاية المفتوحة » حيث يتوقف العمل الروائي قبل تمام دورة الحدث ، وتبقى نهاية الحدث في حيز الاحتمال والتخمين . أما الافتراق فيبدو حيث يرتفع الروائي بالحدث الى أوجه (واقعيا أو شعوريا) مهيا الرواية بما يشعر القارىء أننا ما زلنا في قلب الحدث ، وكأننا لا نأمل ، وليس لنا أن نأمل في انتهائه . وهذا النوع من النهايات سمة من سمات الحداثة في الرواية الغربية ، أما في هذا القسم من الرواية العربية المعاصرة ، فالنهاية عنصر فكرى مهم يتجاوز تأثيره طريقة صوغ النهاية كعنصر فني . النهاية هنا تعنى موتا ، وهدما ، وازاحة من





● نوال السعداوي ● جمال الغيطاني

الوجود الحقيقي الفاعل . وهي تبدو بكل مأساويتها في « أوراق زمردة أيوب » حيث تقضي زمردة أيامها الأخيرة في انتظار الموت بسرطان الدم بعد أن ماتت فعلا ، فكريا وعاطفيا ، حين وقعت في شباك ضابط من ضباط « الثورة » وانغمست في أعمال لا تؤمن بها تماما ، ولا ترفضها تماما ، ولكنها في أثناء ذلك تفقد براءتها وطموحها الروحي وابنها الوحيد أيضا . والنهاية في « مالك الحزين » تختصرها صفحة العنوان في هذه الكلمات التي أضافها إليه المؤلف : « لأنهم زعموا أنك تقعد بالقرب من مياه الجداول والغدران فإذا جفت أو غاضت استولى عليك الأسى وبقيت صامتا هكذا وحزينا » . ويجسمها المقهى الذي تقرر هدمه ، والذي يضم شخصيات هم أنفسهم بقايا من ماض [illegible] في طريقه إلى الفناء ، [illegible] الشاب ـ البطل الضد أو [illegible] على هذا المصير [illegible] ، غير قادر على فعل شيء ، حتى فعل الحب .

الجمع بين الواقع والأسطورة

ولكن موضوع الحب المتحقق يتشابك مع موضـوع الانـهـيار الـسـياسي والاجـتـمـاعـي والأخلاقي ، برمز معاكس ، في القسم الثاني من هذه المجموعة . وما يزال الحب هنا مرتبطا بفكرة النهاية ، فهو أشبه باندفاع يائس . وفي هذه الروايات تقوم المرأة بدور مركزي : المرأة العـاشقـة الملول ، والصـادقـة الخـائنـة ، والشيطانية ـ نموذج يجمع بين الواقع والاسطورة بأسـاليب مختلفـة . ففي « غرفـة المصادفـة الأرضية » (مجيد طوبيا ٧٨) نجد استمرارا للأسلوب الواقعي ، ولكن البطلة تُرْبَط بجو المعابد الفرعونية من خلال حادثة يسترجعها الراوي ، حبيبها منذ الطفولة ، وتبدو مشبعة بالدلالة الرمزية ؛ وتُحاط بهالة من الغموض حين يأخذ حبيبها القديم في البحث عنها بعد قطيعة سنوات طويلة ، فيلتقي بنماذج مختلفة من الشخصيات ، لكل منهم معها سيرة مختلفة



(وإن كانوا جميعا نماذج واقعية إلى درجة كبيرة) . وفي « رامة والتنين » (إدوار الخراط ٨٠) يستخدم أسلوب الرواية الجديدة الذي يقوم على التغريب - نوع معين منه - حيث تبنى صورة رامة وتنقض مرة بعد مرة ، وتسيطر على تيار الوعي ، الذي يفتت الحدث في عملية استرجاعية متكررة ، نغمة مركبة من التأمل والالتياع تتوهج أحيانا بغنائية شبقية فيها أصداء من نشيد الأناشيد . أما الشخصية النسائية في « قالت ضحى » (بهاء طاهر ٨٥) فتبدو لأول وهلة أكثر واقعية : امرأة ارستقراطية شابة ، ومثقفة جدا ، تتقن عدة لغات أجنبية ، وتضطر الى استغلال جمالها بعد أن فقدت ثروتها كما فقد زوجها ثروته في عهد الثورة . تكاد « ضحى » تبدو لنا امرأة منحلة ، لولا روحانية تتجلى في شغفها بمناظر الأطلال - فكرة النهاية أيضا ، ولكنها نهاية تحمل معنى الجلال . ويزداد شعورنا بهذه الروحانية ، ونربط بينها وبين فكرة البعث والخلود ، حين تروي ضحى لحبيبها المحبط الهامد سرها الذي لم تفض به الى أحد قبله : سر تلك الليلة العجيبة حين تقمصتها روح إيزيس وسارت بين الأطلال حتى بلغت قدس الأقداس .

إن الاسطورة تبدو مقحمة لإدوار الخراط الذي كتب مقدمة هذه الرواية ، وفي نظره أن الكاتب اضطر اليها حتى يجد محرجا أو حلا للأزمة التي وصلت اليها الرواية . وهي حسب رأيه أزمة سياسية واجتماعية في جوهرها . ولكننا نلاحظ أنه بدون هذا الحلم المرتبط بالأسطورة كانت شخصية ضحى تغدو مختلفة تماما . إن ربط الشخصية النسائية في هذه الروايات الثلاث بشخصية ايزيس ، الإله الزوجة الأم ، يجسد في جانب منه ، شخصية مصر .





● فاروق خورشيد ● الطيب الصالح

البطل في صور متعددة

في جميع الروايات التي تحدثنا عنها لايوجد أبطال بالمعنى الصحيح . والبطل الضد أو البطل المعدوم سمة من سمات الأدب الحديث عامة (فيما عدا أدب الواقعية الاشتراكية) ، وكأن البطل لم يعد يتفق مع اكتشافات داروين وفرويد ، ولا مع النمطية التي ترسمها المؤسسات للفرد . وقد شهد مسرح الستينيات في مصر محاولات عدة لتقديم شخصيات بطولية ، متأثرا في ذلك بمناخ الكفاح ضد الاستعمار والبحث عن أيديولوجية اشتراكية ، حتى وصف أحيانا بأنه مسرح ملحمي ، وعورض بتقديم مسرحيات عبثية ليونسكو وغيره . ووجدت في القصة القصيرة ، كذلك ، نماذج بطولات ولاسيما بين أفراد الشعب العاديين . ولكن الرواية لم تقدم لنا نماذج مشابهة . ولعل ذلك راجع الى جماهيرية المسرح من ناحية ، والى ارتباط القصة القصيرة - وخصوصا في تلك الفترة - في الصحافة من ناحية أخرى ، في حين كان الروائي الواقعي يحاول أن يتأمل التاريخ القريب والحاضر الماثل بشيء من موضوعية المؤرخ . أما حين قدمت الرواية بطلا من أبطال التاريخ المعاصر (أبو المعاطي أبو النجا :

« العودة الى المنفى : حياة عبدالله النديم » ٦٩) فكانت هزيمة ٦٧ قد تمت . وتأتي شخصية عبد الله النديم تعليقا مريرا على البطولات المفتعلة التي صنعت الكارثة . فعبد الله النديم (خطيب الثورة العرابية) لم يكن عسكريا ، ولكنه شهد المواقع مع الجنود ، ولم يستمد قوته من غير الشعب ، ولم يتصور طريقا آخر لنجاح الثورة غير بناء قوة الشعب الذاتية . وفي مقابل ذلك يقدم جمال الغيطاني في « الزيني بركات » (٧٤) صورة للبطولة الكاذبة التي تصنعها الدعاية ، بينما يرد اعتبار الجندي العادي ، الذي لم تفقده الهزيمة شجاعته أو « اصراره ، في « الرفاعي » (٧٧) .

وتنعكس تجارب اللحظة التاريخية على الصور المتعددة والمختلفة للبطل « الفتوة » في « حرافيش » نجيب محفوظ (٧٧) إلى أن يعود عاشور الثاني الى عرش (الفتونة) معتمدا على قوة الشعب ، وقد حقق أعظم انتصار وهو انتصاره على نفسه . أما اسطورة « بندر شاه » وأبنائه الأحد عشر (كم كان عدد أعضاء مجلس قيادة الثورة ؟) وحفيده مريود (الطيب الصالح : « ضو البيت » ٧١ ، « مريود » ٨٧) ففيها التباس متعمد ، ليس فقط في زمنها ، إذ يبدو الراوي أحيانا معاصرا لها ـ وهو معاصر لنا ـ بينما تبدو في أحيان أخرى قطعة من التاريخ الأسطوري الغابر كحومة ود حامد ، بل في مدلولها وموقف الراوي ـ ومعه ود حامد كلها ـ من الجد والحفيد : « كل شيء فقد طعمه ومعناه . »

« بندر شاه هو المسؤول . لولاه ما حدث ما حدث . »

« لأن قضاء الله حصل يقولوا بندر شاه كان كيت وكيت . بندرشاه كان رجل ولا كل الرجال . كان رجل من معدن آخر . »

(« ضوّ البيت » : ص٧٣ و ص ٧٨)

هذا النفس الملحمي الذي يسيطر على جو الاسطورة ويتداخل ـ في الوقت نفسه ـ تداخلا حميما مع الواقع اليومي في قرية سودانية شمالية (مزاج عجيب يجد اكتماله الاسلوبي في الحوار العامي المصفى والموقع بشاعرية فائقة) ربما كان تعبيرا شديد التركيب موقف حضاري ملء بالمتناقضات العميقة (ولو أن الكاتب لايغفل السطح السياسي) ، ولكن البطولة الملحمية تترامى بصورة خالية من أي شك أو ازدواجية في « سيرة الشيخ نور الدين » (أحمد شمس الدين الحجاجي ٨٧) حيث نقترب من جو الأسطورة والحكاية الشعبية في قصة عشق الفتى نور الدين للصورة التي رآها في المعبد القديم ، ونقترب من بطولات السير الشعبية في رحلته عائدا بالجمال من السودان ، ووقائعه ضد المحتلين في أثناء ثورة ١٩ . إنما تخيم ظلال الشك على الأحداث المعاصرة حيث يصور هدم الساحة (كهدم المقهى في مالك الحزين) نهاية عصر . □

ومضـــات

● قال برناردوشو : « تعـود الناس أن يلعنـوا ظروف حيـاتهم ، ولست أؤمن بالظروف ، فالناس هم الذين يصنعونها » .

● وقال لنكولن : « عندما ينتزع الراعي عنزة من براثن ذئب ، تعده العنزة بطلا ، أما الذئب فيعده دكتاتورا » .

● وقال ايليا اهرنبورج : « في الولايات المتحـدة عدد كبـير من المذاهب الدينية المرخص بها ، غير أن أكثر العبادات انتشارا هي عبادة الدولار » .


● لنكولن



مستقبل فن القصة القصيرة في الخليج والجزيرة العربية

بقلم : الدكتور محمد حسن عبد الله

لحداثة القصة القصيرة في الخليج والجزيرة العربية ، فقد طمح مبدعوها لاستيعاب التجارب والخبرات التي مر بها هذا الفن ، فهل أوفت ابداعاتهم في هذا الفن المراوغ غاية طموحهم ، وما مستقبل هذا الفن على ضوء تجاربهم المنشورة التي حاولوا فيها أن يعبروا عن واقع الانسان في منطقة سريعة التطور ، متشابكة الأبعاد والاحتمالات ؟

آثرتُ صيغة الحديث عن المستقبل ، لأنه ما ينبغي أن يشغلنا كإرادة حياة ، ولأنه يرتكز على الوعي بالماضي والقدرة على فرز عناصره ، ولا حديث عن مستقبل دون توافر الخمائر والمؤشرات التي تدفع بالجنين إلى الاكتمال والاستقلال ، وتحول الممكن أو المحتمل إلى حقيقة . وبالنسبة لفن القصة القصيرة في الخليج والجزيرة العربية خلال الربع قرن الأخير ، فإن هذه المسافة الزمنية تمثل عمرها الفني كاملاً ، وقد تزيد عنه في بعض المناطق ، ولكننا حين نحتكم إلى جماليات الفن ، وقدرات الموهبة الفردية ، فإن هذا يقلل من أهمية الامتداد التاريخي الذي لن يكون بديلاً للأصالة ، والابتكار وجدية المحاولة . وهذه الاشارة ـ على أي حال ـ ليست تجريداً للمحاولات المبكرة السابقة على المدى الزمني المشار إليه من حق الانتماء إلى الفن القصصي ، أو الحكم عليها بافتقاد النضج ، ويكفي أن نشير هنا إلى « خالتي كدرجان » لأحمد السباعي (المملكة العربية السعودية) ، وهي عمل موفق ينم على موهبة واقتدار ، في اختيار التجربة ، ورسم الشخصية ، وتعدد مستويات المعنى ، وجمال الوصف ورمزية التحليل ، وقد تلحق بها قصة « منيرة » لخالد الفرج في بعض ما حققته . ولكن هذه التجارب ظلت فردية ، شبه منعزلة ، لم تصنع تياراً مستمراً يتنامى من خلال خبرته

المكتسبة بالتفاعل الداخلي . وحين ظهر جيل جديد فإنه لم يتغذ على ثمرات هؤلاء وبالمثل فإن الجيل الثالث ـ الراهن ـ لم يتوقف طويلا ، وربما لم يتوقف مطلقاً عند منجزات جيل الوسط ، ولعل هذا مما يسوغ لنا أن نتحدث عنه وإليه ، من زاوية المستقبل ، حتى تتكون للأدب القصصي في الخليج والجزيرة « أرضية » قابلة للبناء فوقها ، والانطلاق منها ، ولا يظل الحال كالدوائر المتقاطعة أو البدايات المستمرة المتطلعة إلى غير هدف، الساعية إلى غير اكتمال .

البدايـــات

ولعلنا في حاجة إلى إطلالة على الماضي ، لتحديد الموقع ومحاولة استكشاف المستقبل . وهو ما ينبغي القيام به ، ولا يتسع له المقام ، وفي إجمال (نرجو ألا يكون مخلاً) فإن الجيل الأول طاف حول الفن القصصي من ناحية المقالة تارة ، والحكاية الشعبية تارة أخرى ، واللوحة الوصفية المفعمة بالتصنع الأسلوبي في كثير من الأحيان . أما جيل الوسط ، الجدير بوصف « المؤسس » فيصدق عليه بشكل عام ، ما أطلقه



الدكتور سليمان الشطي (الكويت) لتحديد أهداف « فهد الدويري » وهو أنه « يريد أن يجعل الاحساس بالواقع إحساساً قصصياً » . إن الاهتمام بالواقع ، والبحث في تفاصيله عن الجمال والإثارة والخبرة كان الهدف الذي حاول الجيل المؤسس أن يحققه ، وقد تزامن هذا مع سيادة الموجة الواقعية على الفن القصصي العربي بوجه عام . ولكن مع فرق ، فالمناطق التي أسلمت نفسها للواقعية مثل سورية أو مصر ، كانت قد اجتازت قبلها مراحل من التعثر والمحاولة ، والمزاوجة بين الأساليب ، والإسراف الرومانسي ، حتى أصبحت الواقعية مطلباً اجتماعياً وفنياً . ولم يكن هذا حال الأدب في الخليج والجزيرة ، ولهذا تعايشت الموجة الواقعية فيهما مع كل ما ليس واقعياً ، بل ـ أحياناً ـ ما ليس فنا قصصيا من الأساس . ولأن العملة الزائفة تشكك حتى في العملة الصحيحة ، فإن الجيل الراهن ـ الثالث ـ لم يتوقف طويلاً عند سابقه ، وأقر التجريب (وليس التجربة) وسعى إلى « الشطحات » بدلاً من تعميق المجرى وتأصيل الاتجاه ، ولهذا فضيلة ، كما أن عليه مأخذة . فهذا التمرد على القالب الثابت والأصول الفنية التقليدية أكسب هذا الجيل مرونة عظيمة في استلهام الواقع من خلال رفضه ، وكشف عن مواهب متميزة ، ودل على مصادر تميزها من خلال تجريبها وشطحاتها ، ولا ينقص اكتمال الخبرة الفنية إلاّ جهد الناقد الذي يستطيع أن يشرح ـ بمقدرته على الاستبطان والتحليل ـ ويكشف مناحي القوة وثغرات الضعف ، ومن ثم يملك الفنان المبدع مفاتيح الوعي بمقدرته الفنية ، فيستقر التجريب على أسلوب ، وتتأطر الشطحات في منهج ورؤية .

تحقيق الوجود إبداعاً

لقد سجلت المسيرة القصصية في الخليج والجزيرة عبر الربع القرن الأخير إيجابيات تستحق



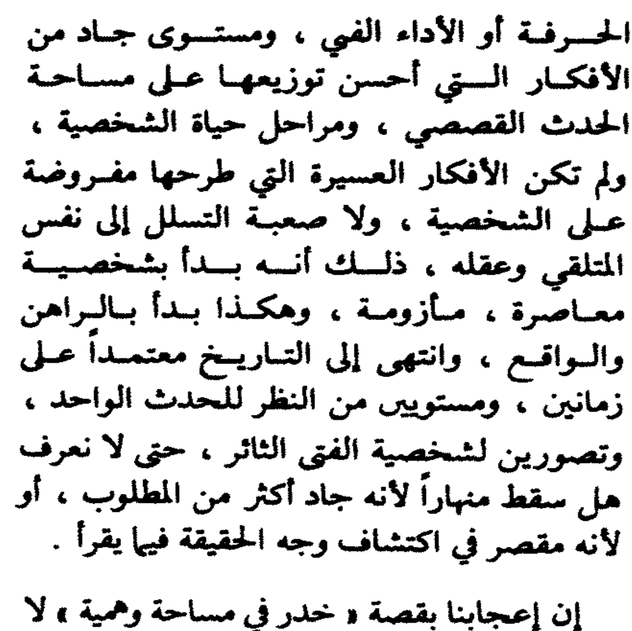
التنويه ، في مقدمتها أنها حققت وجودها بالإبداع وليس بالمناقشات النظرية ، ووصلت إلى نوع من الوفاق العملي في قضايا طال حولها الخلاف مثل لغة الحوار ، وهل تكون الفصحى أو العامية ، وقد تدفعها قضية أخرى مثل « هادفية الأدب » أو : الفن للفن ، والفن للمجتمع ، إلى اكتشاف أساليب وأشكال فنية لم تكن مطروقة على المستوى العام لفن القصة القصيرة ، ولعل الأدب الخليجي صاحب سبق إلى القصة ـ الكابوس ، والقصة الفلاشية (القصة القصيرة جداً ، في صفحة مثلاً) والقصة المكتوبة برؤية شاعر ولغة الشعر . وهذه التيارات الثلاثة لها مدى وتميز لما يتحقق في منطقة عربية أخرى . إننا لا بد أن نشير إلى هذا ونربطه بأسبابه أو دوافعه الملجئة ، لأنه سيساعدنا في رسم الصورة المتوقعة ، أو المقترحة ، لمستقبل القصة القصيرة .

وإذا كان « الواقع » هو الأساس أو الأرضية التي تنشأ عليها كل الفنون ، وفي مقدمتها فن القصة القصيرة (الابن الطبيعي للواقع والواقعية معاً) ، فإن طريقة التعبير عن الواقع هي التي تفرق بين فن كاتب ، وفن كاتب آخر . والقاص في الجزيرة والخليج يدرك من حقائق الواقع الذي يعيشه أو يعايشه ما يجعله يتعامل مع هذا الواقع بشكل مباشر في تجارب ، وما يدفعه إلى التكثيف الشعري والرمز في تجارب أخرى ، وما يلجئه إلى شطحات الحلم ، أو فظاعة الكابوس في تجارب غيرها .

وهكذا ـ عن قناعة ـ يمكن أن نقرر أن القصة القصيرة في الخليج والجزيرة ، تنوعت موضوعاً وشكلاً حتى ملأت الإطار العام لهذا الفن على مساحة الوطن العربي ، ولكن هذا لا يعني ـ بالتبعية ـ أنها حققت انجازاً يحسب لها في كل صنيعة تطرقت إليها . ونستطيع أن نحكم ـ إجمالاً ـ بأن المستوى الواقعي الذي كان شعار الجيل المؤسس ، وتقدم به خطوات نحو التجويد الفني توقف ـ تقريباً ـ عند الجيل الراهن بالمراوحة في موقعه دون تجديد في الموضوع أو الشكل ، أو حظى بالرفض واستبدل به القصة الحلم ، والقصة الكابوس والقصة الوثيقة ، فضلاً عن القصة في ومضة ، أو ما أسميناه القصة الفلاشية .

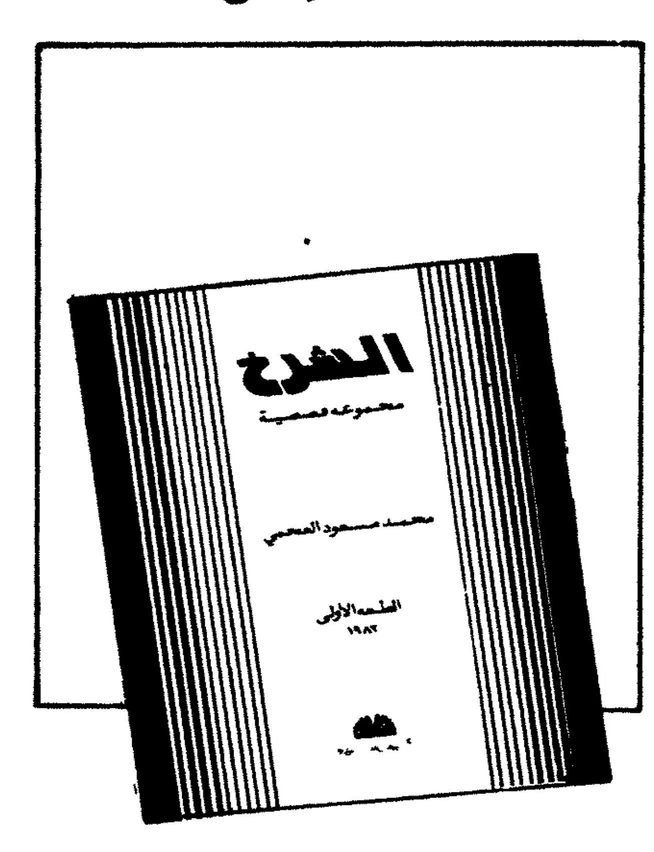
القصة ـ الوثيقة

لقد قدم سليمان الشطي في قصة « خدر في مساحة وهمية » من مجموعته « رجال من الرف العالي » نموذجاً فنياً رفيعاً للقصة الوثائقية . لقد تعددت محاولات العودة إلى التاريخ من بعده ، مثلاً « في سفر التاريخ . . قراءة » من مجموعة « حلم » لرقية حمود الشبيب (السعودية) ، وهي مجرد انطباعات عامة وتداعيات خالية من وحدة الرؤية أو التحليل ، بل لعلها تتورط فيما هو ضد قراءة التاريخ حين تقول « التغريد الجماعي يفقد الصوت الواحد ميزته » ! ! ولعبد القادر عقيل (البحرين) أكثر من محاولة اقتراب لم يحالفها التوفيق ، مثل « عودة صلاح الدين » و « النبوءة » من مجموعتيه استغاثات في العالم الوحشي ،ومساء البلورات ، فعلى الرغم من اعتمادها على وثيقة فإنه لم يصل بها إلى أن تتحول إلى رؤية أو تفسير ، وإنما دفع بها إلى أجواء كابوسية ، منساقاً مع الطابع العام لمجموعة « مساء البلورات » أما صنيع سليمان الشطي فيختلف كثيراً ، ويرقى إلى مستوى رفيع من



الحرفة أو الأداء الفني ، ومستوى جاد من الأفكار التي أحسن توزيعها على مساحة الحدث القصصي ، ومراحل حياة الشخصية ، ولم تكن الأفكار العسيرة التي طرحها مفروضة على الشخصية ، ولا صعبة التسلل إلى نفس المتلقي وعقله ، ذلك أنه بدأ بشخصية معاصرة ، مأزومة ، وهكذا بدأ بالراهن والواقع ، وانتهى إلى التاريخ معتمداً على زمانين ، ومستويين من النظر للحدث الواحد ، وتصورين لشخصية الفتى الثائر ، حتى لا نعرف هل سقط منهاراً لأنه جاد أكثر من المطلوب ، أو لأنه مقصر في اكتشاف وجه الحقيقة فيما يقرأ .

إن إعجابنا بقصة « خدر في مساحة وهمية » لا يعني أننا نطالب بتكرار النمط ، ولكن من المؤكد أنها فتحت امام فن القصة القصيرة « شكلاً » جديداً يقبل التنويع عليه ، والتجديد فيه ، يمكنه أن يقول الكثير فكراً وفناً ، وليس من شك في أن القصة الوثائقية ، وتلحق بها « التاريخية » ـ التي تجري في عصرها الماضي ـ يمكنها أن تتفاعل مع الواقع متجاوزة حرفية الوثيقة ، وقيود العصر التاريخي ، أكثر مما تستطيع القصة الاحتجاجية الرافضة التي تأخذ أسلوب الكابوس ، وتوغل في العبث والإغراب ، فتصل إلى بعض من قرائها وتعجز عن الوصول الى الكثرة . هذا فضلاً عن أننا نعتقد أن القصة الوثائقية ـ ومثلها التاريخية ـ لا تواجه احتمال الاستنزاف والنضوب الذي تواجهه القصة الكابوس ، لقد كتب عبد الله باخشوين مجموعة جيدة من القصص الكابوسية تحت عنوان «الحفلة» ، ولكن الطريقة التي قلب بها الاحتمالات تحمل في طياتها نذير الإفلاس . في « يقظة مبكرة » ينتهي البطل إلى الخروج إلى الشارع عارياً ، وفي « الحفلة» يخرج إلى الشارع حافياً وسواء كان البطل قادماً من القرية أو هو من أهل المدينة ، فالمدينة هي الكابوس ، الذي يضع الجميع في قالب الجنون . ومن الحق ما



يطرحه الدكتور منصور الحازمي حول الحداثة وما إذا كانت تمتلك أساساً بيئياً تعبر عنه (بالنسبة للأدب في المملكة) وغياب المصداقية في تزامن العبث والرفض مع مرحلة الازدهار . ومع هذا فإن منطلقنا يختلف ، ثم ينتهي إلى موقف الحازمي نفسه ، فالأدب رؤية ، والأديب لا يصور الواقع ، بل الواقع كما يراه وينعكس على وجدانه وفكره ، ولكن « الكابوس » و « العبث » و «الهروب» ليست حلولاً ، إنها طريق مسدود وموضوع لا يلبث أن يفقد قدرته على الإثارة بالتكرار ، والبديل الثر الذي لا ينضب هو الوثيقة والتاريخ ، وحتى لو كان التاريخ أو الأدب الحكائي قد صنع أكثره خارج الجزيرة ، فإنه لا بد أن يبدأ من الجزيرة ، وأن يروى عنها ، وهذا يعني أن إنعاش فن القصة الوثائقية ، والقصة التاريخية ، بقدر ما هو الأقوى تفاعلاً مع الواقع ، هو الأكثر تأصيلاً للبيئة ، وللشخصية .

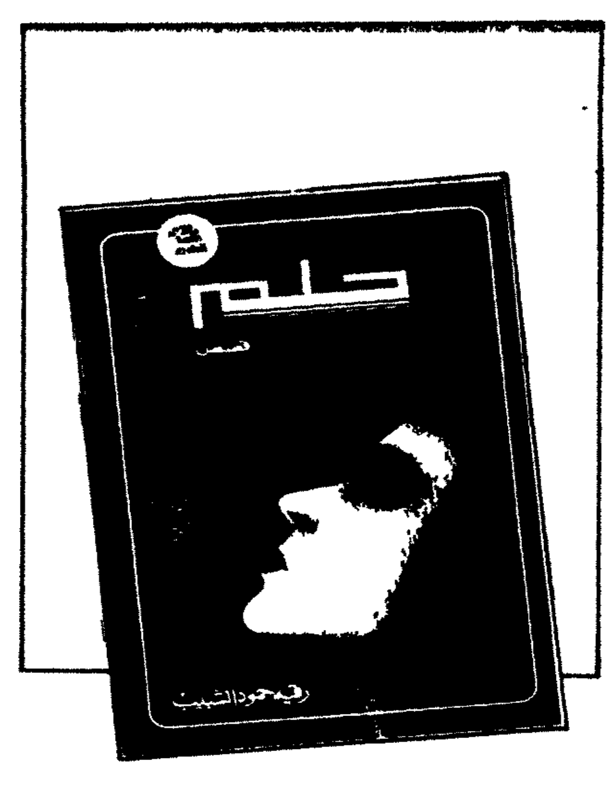


البحث عن قنوات جديدة

إننا بالدعوة إلى القصة الوثائقية ، وما يتفرع عنها من التسجيلية والتاريخية ، إنما نخاطب كاتب المستقبل ، ونشاركه في البحث عن قنوات جديدة للمساهمة في إثراء الواقع بالحوار الفني معه ، بعيداً عن الإحالة والاستغلاق اللذين ينتهيان إلى استعلاء على القاريء العام ، الذي ينبغي أن نكتب من أجله ، ونكتب إليه في الوقت نفسه . وإذا لم يكن للقصة الوثائقية عمق في تجربة الكاتب الخليجي ، فإنها كذلك عند غيره أيضاً ، ولكنني أتوجه بالدعوة إليه لأنها تناسبه ، بل قد تكون البديل المناسب لكثير من « الاجتهادات » الشاذة . أما القصة الكابوس فلها في الخليج امتداد وإلحاح عند أمين صالح ، ومحمد الماجد (البحرين) أولاً ، ولكنها الآن تكاد تكون نغمة أساسية يمارسها كل كاتب جديد ، وكأنها تدريبات على أعمال الخيال وتكوين العالم الخاص ، لنقرأ مثلا قصة « الصرصور » من مجموعة « السدرة » لثريا البقصمي (الكويت) ، أو قصة « الاختيار المفاجيء» لجمعة الفيروز من مجموعة كلنا . . كلنا نحب البحر (الإمارات العربية المتحدة) ، أو « رحلة في عالم آخر » من مجموعة « الشقاء » لعلي عبد العزيز الشرهان (الامارات) ، أو « أماه أين أنت ؟ » لعبد الله خليفة (البحرين) . . وغير هذا كثير ، قد يتسم بالسذاجة وضياع الهدف ، وقد يبلغ درجة عالية من التعقيد الفني وتكثيف الدلالات ، مثلما نجد في قصة عبد الله خليفة . ونعتقد أن هذا الفن بلغ أقصى ما يستطاع (حتى الآن) في مجموعة عبد الله باخشوين المشار اليها آنفاً (السعودية) . وهنا نتمنى أن يقف أمر الكوابيس ، وأن نتمعن في نموذج قدمه إلينا عبدالقادر العقيل في قصة : «رؤى الجالس على عرش قدامة بحر زجاج شبه البلور» وهي من ست « رؤى متعاقبة » ، بطلها طفل ، يحلم ، متقمصاً صورة طائر غريب ، أو محتفظاً بطفولته البشرية ، أو متلوناً في أشكال شتى يعود منها إلى وضعه الأول . في كل رؤ يا من رؤى الصبي كابوس ، أو مشاهد فزع ، ولكنها تأتي في سياق الحلم ، وهذا الحلم رحلة متعددة المشاهد التي تنتهي إلى طرح الأسئلة ، أو تأكيد ذات الانسان ، أو تقوية دوافع الحياة . . الخ . وهذه القصة غير العادية لا يصدر إعجابنا بها عن قدرتها على صنع مزيج من الواقعي والمتخيل ، وإحداث توازن بين الأمل والاحباط ، والانتصار للكشف والمعرفة ، على أهمية هذا كله ، وإنما لأنها استمدت عناصرها الفنية - على الرغم من غرابة أجوائها - من التراث العربي بمستوياته أو مصادره الكلاسيكية والشعبية والدينية .

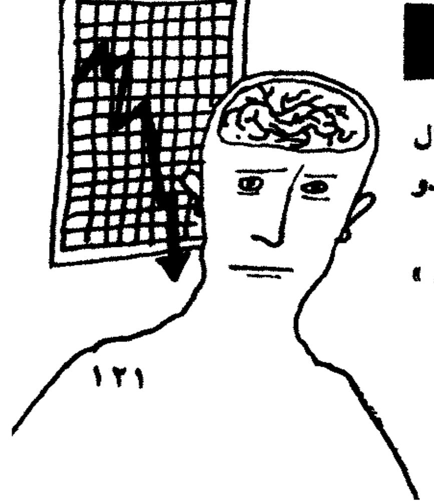
فبطل القصة طفل ، وهو الذي تفتح على يديه مغاليق الأسرار ، وهذا من تقاليد « الحدوتة » فالكنوز والأسرار لا تكتشف إلا على يدي صبي أو صبية دون البلوغ ، وقد اخذت القصة من « الحدوتة » أيضاً حكاية المرأة المطلة من برج يسعى إليها الرجال ، ويتسابقون في بلوغ نافذتها ، كما أخذت إلغاء الفاصل بين الممكن والمحال ، وبين عالم الغيب وعالم الشهادة ، كاختراق الجدران ، والصعود إلى السماء ، والغوص إلى قاع البحر . وقد أضاف الكاتب كسر حاجز الزمان أيضاً ، ففي القصة نعيش كل الأزمنة ، نبدأ من زماننا ، زمان الصبي أو الطفل

المتواضع الحال ، ولكنه يجتاز بنا كل العصور ، من البدائية ، إلى ما قبلها . يلعب الجد دور المعلم في ارتياد المجهول ، ويرضى الأب بدور الضحية بينهما (هنا نتذكر بندر شاه للطيب صالح) ويسترد الأب دوره في رؤ يا أخرى ، ويشغل البحث عن الأم رؤ يا ثالثة . لا بد في الرحلة من قائد حقيقي كالجد ، أو زائف (الخضر معكوساً) وتستمد الرؤ ى بعض ملامح رحلة المعراج كما وصفت في الكتب الدينية ، وفي التراث الشعبي ، وترعى الرموز الاجتماعية الشعبية كالبحث عن علامة ، وانتظار البشارة ، ومن كرامات الأولياء المشي على الماء ، وتبقى السيدة ذات الثياب البيض رمز النجاة ، وسعف النخلة علامة حياة وبشارة وصول،توقف زحف الجراد الأحمر ، والنعامة المسرجة (قربا مربط النعامة مني) جسر ممتد بين الخيال الشعبي والتراث الشعري .



العودة « للحدوتة » الشعبية

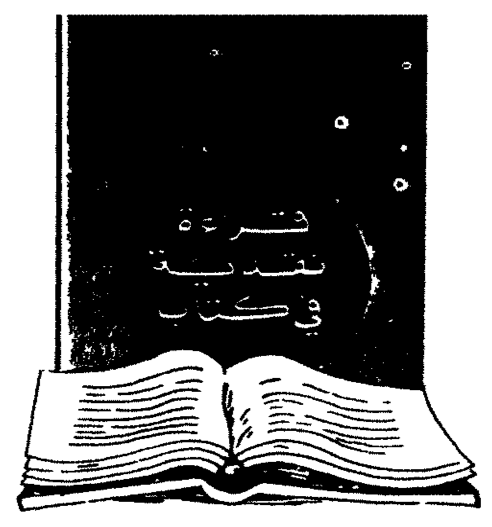
إن تجربة عبد القادر عقيل تفتح باباً ، هو موارب عند بعض ومغلق عند بعض آخر ، للعودة إلى « الحدوتة » الشعبية ، وإلى التراث الشعبي والتراث العربي بوجه عام ، كما أنها مثل قصة سليمان الشطي المشار اليها سابقاً ، تؤكد على أهمية الثقافة العربية التاريخية للكاتب القصصي . إن رؤ ى الجالس على العرش في صميمها قصة شعرية ، ولهذا المستوى التعبيري الرفيع أنداد مشهود لهم ، مثل محمد العجمي (الكويت) في « الأرصفة المهجورة » من مجموعة الشرخ ، وفوزية رشيد (البحرين) في مجموعتها « مرايا الظل والفرح » وخلف أحمد خلف (البحرين) في « فيزنار » وغيرهم كثير ، والقصة الشعرية هي الأحق بالوجود والاستمرار ، تعبر عن عالم الحلم بغير عبث أو كابوس أو جنون ، تفارق الواقع ، نعم ، وهذا مصدر شاعريتها الأول ، ولكن ليس من أجل هدمه ، بل من أجل فهمه . □



ارهاب الفكر

« أخذ الفكر العربي يدخل عهود الضمور والاضمحلال والانحطاط والتخلف مع بروز الإرهاب الفكري : هذا العدو اللدود لكل فكر حقيقي ولكل إبداع » .

« د. انطونيوس كرم »



رواية للكاتب الجزائري «مولود معمري»

بقلم : الدكتور حسن فتح الباب

في إطار الاحتفال بمرور مائة عام على ميلاد عدد من رموز التنوير في الوطن العربي وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين نقدم هذه الدراسة عن رواية « الربوة المنسية » بين مولود معمري وطه حسين ، للدكتور حسن فتح الباب حيث يلقي الضوء على صفحات مهمة من التفاعل الخلاق بين النقد الأدبي في مصر والأدب الروائي في الجزائر .

يعد الأديب الجزائري المنبت والجنسية ، والفرنسي اللسان ، مولود معمري ، الذي لقي مصرعه في حادث سيارة بباريس العام الماضي ، من أبناء جيل الكفاح المسلح الذي توج بانتصار الجزائر وإقامة دولتها المستقلة . وقد كان حتى نهايته المأساوية يواصل رحلته الابداعية في مقامه بالعاصمة الفرنسية التي استقر بها مهاجراً قبل اندلاع ثورة التحرير الجزائرية ، وان ظل يتردد حينا بعد حين على وطنه ، حيث يلتقي بمن بقي حياً من أهله وصحبه ويلقي بعض المحاضرات .

وأهم أعمال مولود معمري في الفن الروائي « الربوة المنسية » وهي موضوع هذا المقال ، ثم « إغفاء الحكيم » ، وأخيراً « الأفيون والعصا » . وقد كان للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أثر له شأنه في قضية التحرير والدفاع عن حقوق الشعب ، إذ كان موجهاً الى الغربيين عامة ، والفرنسيين بخاصة لإقناعهم بعدالة هذه القضية عن طريق الإبداع الأدبي . كان دعوة إلى الرأي العام العالمي تفضح ظلم المستعمرين وتناشد الضمائر الحية الحرة للاستماع إلى صرخات المضطهدين ، ورفع يد

الغاصبين والمستغلين عنهم ، ولقد كشف هذا الأدب عن وعي أصحابه العميق بطبيعة المرحلة وما كان يكتنفها من صراع مرير . وأتاح لهم وجودهم في فرنسا الاتصال بأجهزة تشكيل الرأي العام وبقادته ، وتسليط الأضواء على الحقيقة التي كان يحجبها أرباب السلطة . وهكذا توصلوا إلى إبداع أدب جزائري متميز عن الأدب الفرنسي . وما زال وسوف يظل دائماً مرآة صادقة لتلك الحقبة تحقق هدفين معاً هما الإمتاع الفني الروحي الذي تتسم به الآثار الأدبية القيمة ، والتسجيل الأمين الحي لوقائع الصراع بين الحرية والعدل وبين الاستعباد والاستغلال . فقد كان مالك حداد ومولود معمري ومحمد ديب ورفقاؤهم شهود عصرهم ، يستقي المؤرخون من رواياتهم مادتهم ، كما تشعه من روح الشعب وما تمتلىء به من تفاصيل عن حياته اليومية ، وكفاحه في سبيل تغيير واقعه التعس .

ومن النماذج التي استكملت هذين العنصرين رواية (الربوة المنسية) بالفرنسية للكاتب الجزائري مولود معمري . وقد كان أول من نبه إليها القراء العرب الدكتور طه حسين ، إذ قدم لها ولخصها في مقال تضمنه كتابه (نقد وإصلاح) وبلغ ١٥ صفحة . وقد جمع عميد الأدب العربي في كتابه هذا بين أدباء مصريين وكتاب أوربيين . ونظراً لضعف جسور التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين ، فإن المؤلف لم يعلم بما قام به الدكتور طه حسين من عرض لروايته إلا بعد صدور الكتاب المشار اليه بزمن طويل شأنه في هذا شأن كثير من المثقفين الجزائريين .

ومن الحق أن رواية « الربوة المنسية » شأنها شأن كثير من الأعمال الأدبية « تتضمن قصة حب ، ولكنه حب تعصف به الأهوال ، وأحلام المحبين وعواطفهم ، لا تشي بالفرح بقدر ما تقطر خوفاً من المعروف ، ومن المجهول معاً ، وليست هي على أي حال الهاجس الشاغل في الرواية ، بل إن هذا الهاجس هو الحرمان كما يقول طه حسين نفسه : « الحرمان المتصل أو الحرمان الطارىء هو الفكرة المصاحبة للكتاب منذ أن يبدأ إلى أن ينتهي ، وهو حرمان يتصل بالنفوس في أكثر الأحيان ولكنه ربما يتصل بالمال أيضاً فينقص حياة سعيدة كانت خليقة أن تمضي في سعادتها ، وأن تتيح لأهلها النعيم ، وتنشيء من رزقوا من الولد في ثراء وخفض » .

ويقول طه حسين في موضع آخر « وفي الكتاب كآبة هادئة تصحبه كما يصحبه الحرمان ، ليست كآبة يأس وسخط وثورة ، وإنما هي كآبة رضا بالقضاء وإذعان للخطوب ، وانتظار لما يمكن أن يأتي بما يخرج هذه الربوة من هذا النسيان الذي يغمرها ومن هذا الاهمال الذي يعرضها لكثير من الخطوب . ولعل الزمان يتيح لهم حياة يشاركون فيها مؤثرين لا متأثرين فحسب ، وعاملين منتجين لا مدينين خاضعين لما يلم بهم من الصروف » .

بين « الأيام » و « الربوة المنسية »

لا شك أن طه حسين قد أضفى مسحة من الصورة التي رسمها قديماً في كتابه (الأيام) عن « عزبة الكيلو » من أعمال محافظة المنيا في صعيد مصر حيث ولد وقضى طفولته ، أضفى هذه

● طه حسين

المسحة على الربوة المسية في تلحيصه لها لما بين القريتين من تشابه في السمات التي تميز البيئات الفقيرة المحرومة في عالمنا الثالث ، والتي ورثناها من عصور الاستعمار والاستبداد الأحسي وقمع الولاة للشعوب ، وكلنا في الهم شرق

والفقرة الاتية تشهد بهذه السمة الى حد اتفاق بعض العبارات والصور الخاصه بالعزلة مع العبارات التي وردت في رائعته (الأيام) ، ولا سيما صورة الطفل طه وهو يتصور أن سياج أعواد القصب هو الحد الفاصل بين عالمين هما قريته والعالم الاخر الكبير المجهول

« فالكتاب دراسة اجتماعيه عميقه مفصله مستقصاة ، تصور أهل هذه الربوة في عزلتهم تلك ، وقد فرغوا لأنفسهم واعتمدوا عليها ، فلم يكادوا يذكرون أحدا غيرهم من الناس ، وهم يجهلون ما وراء الحال التي تقوم دونهم ، لا يعرفونهم إلا حين يضطرون الى ذلك اضطرارا ، وما أقل ما يضطرون إليه ، وهم لا يشعرون بالحكومه إلا حين تجبى منهم الضرائب على ثمر هم الأرض ، وما يكسبون من المال ، وحين تدفعهم الحاجة الملحة الى أن يودوا إلى العائد ... ... وهي قليله بأيديهم من وراء الحال

جناية الحرب العالمية

وتمضي ... هذا ... على ... العربية المتحالفة ... محور في حرب ضروس لا ناقة للجزائريين فيها ولا جمل ... المسلحة ... السباب للانخراط في سلك الجند ... العسكرية للدفاع عن الدول ... فرنسا ... الشباب ... ويسمح الزراني

الوقائع المتتابعة خيوطا مجدولة يتشكل منها بناء فنيا محكما وتبدأ هذه الوقائع الدرامية حين تطرأ على المجتمع القبلي ذي الايقاع الرتيب ، حيث ينهمك الجميع في شؤونهم الخاصة ، فكرة تأهل شبان القريه بالتزوج من فتياتها وما يلبث كل فتى أن يزف الى عروس حسناء ، ولكن نذر الحرب تلعههم في مأمنهم « وتتبعها أنباؤها مسرعه ، فتزرع الخوف والقلق في نفوسهم ، ثم لا يلبث البريد أن يمطر الدور بوابل من الرسائل موجهة كلها الى الشباب تأمرهم أن يسرعوا الى اماكنهم في الجيش » ويكون فراق الأمهات والاباء للأبناء ، وهو فراق مر كئيب ، فربما لا لقاء بعده ، إذ يقذف الروم ـ وهم الأوربيون عند الجزائريين ـ بالأبناء الى ما وراء البحر وقودا للنار في تلك الكارثه التي أشعلها المقاتل الأشعى على المستعمرات

وتمضي الروايه في تفصيل هذه الصورة الاجتماعيه تفصيلا واقعيا فنيا ، تعكس جانبه الحرب على أعظم العواطف البشريه وأكرمها ، وهي الحب والمودة والرحمة ، فهذا فتى حب صاحبته اشد الحب ، ولم يشك في ان حبه هذ ... الى غايته من ... ولكن ... الاصهار اليه ... والعسر ... صاحبها القديم ، ولكنها ... تصطنع ... وتساندها ، فهي ... ويسمح ... والصدق في ... القديم ...

وحتى من يقدم على ... المحب القديم ... في يسعى ان ... على ضعف ولا ان ... الى الطمع فيها ... وهي ... قد اخرجه الحب من

طوره ، ودفعه الى ألوان من التصرف الغريب ، وهي تبتهج بما ترى وتظهر مع ذلك قسوة لا حد لها .

الحب تحت نير المجتمع الاقطاعي

ويسترجع القاريء في حكاية هذا الحب كما صورها مولود معمري وطه حسين قصة قيس وليلى وغيرها من رموز الحب العذري عند العرب ، فيتبين أن الاعراف القبلية الجامدة واحدة في كل زمان وكل مكان ، لكونها افرازاً للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يتسم بها المجتمع الاقطاعي البدائي الريفي أو الرعوي حيث السلطة المركزية القوية التي تذوب فيها شخصيات الأفراد ويقوم مقامها الرأي العام الجمعي وتغدو هذه التقاليد مقدسة للحفاظ على التوازن الاجتماعي الذي تتحقق به مصالح هؤلاء الأفراد الذين يكونون الجماعة ، أو تغدو هذه التقاليد - بعبارة أخرى - ضوابط اجتماعيه لحماية الجماعة التي تتحقق بها حماية الفرد طبقا لمبدأ « الواحد للكل » و « الكل للواحد » ، المستند على قدسية الأرض لما تغله من مال هو قوام الحياة . وهكذا وجدت تلك الأعراف في الأصل لمصلحة عامة ، ولكنها ما لبثت أن تحولت الى « تابو » وثني لا يجوز المساس به ، وغلبت الصورية « أو الشكلية » على الهدف الأصلي ، فكان التزمت والحجر على العقل البشري ، وقهر العاطفة الوجدانية ، والاحساس الانساني ، وإهدار أجمل وأنبل ما في الفهد من مشاعر تدفيء ، فتجعل للحياة معنى حتى تستحق أن تعاش ، ومن فكر يثري ويتجدد فيجعل للوجود امتداداً وتطلعاً الى المستقبل يقضي على الخوف من المجهول وشبح الموت ، ويبدد وساوس القلق والشعور بالعدمية واللاجدوى ، ويفتح للانسان - فرداً وجماعة - الطريق الى ازدهار الملكات خلقاً وابداعاً .

تمثل الآداب العالمية في الربوة المنسية

تمتزج الحقيقة بالأسطورة في رواية « الربوة المنسية » في توهج رائع يعرف طه حسين كيف يصوغه بأسلوبه الممتع الأخاذ الذي استخلصه من الجاحظ الأديب العربي المبدع ، ومن حصيلة الثقافة الغربية ذات الأصول الاغريقية في أساطيرها الموحية ، وذلك حين يصور لوناً آخر من الحب نقله بتصرف عن مولود فرعون فأغناه وزاده إضاءة على إضاءة :

« وهذا فتى آخر يحب صاحبته ، ويكلف بها أشد الكلف ، يفطن لحبه قبل أن تفطن له صاحبته ، فهي مشغولة عنه وعن الرفاق جميعاً بمحب لها آخر شديد الأثرة ، شديد الغيرة ، بريد أن تكون له وحده لا يشاركه فيها شريك من قريب ولا من بعيد » .

« وهذا المحب الأثير الغيران الذي لايحب هذه الفتاة وحدها ، وإنما يحب معها فتيات أخريات كثيرات ، قد بسط عليهن سلطاناً قاسيا صارماً ، فهن خالصات له ، لا ينبغي أن يشغلهن شاغل » . وهنا يفاجئنا المؤلف بأن « هذا المحب القاسي هو الليل ، الليل الذي



ألف عشيقاته من بنات الانهار والغابات يسعين اليه مصطحبات منذ تجنح الشمس الى الغروب حتى تؤوب الى مشرقها مع الصبح ، وصاحبتنا تسعى معهن إلى الليل ، وتخلص له معهن من كل شيء ومن كل انسان . فاذا أقبل النهار عادت الى رفاقها تشاركهم فيما يأخذون فيه من لعب أو حديث . وقد أتيح لهذا الفتى أن يستخلص حبيبته من عاشقها ذلك الغريب المخيف ، وان يتخذها لنفسه زوجاً ، فهو ناعم سعيد ، وهي ليست أقل منه سعادة ونعيماً لولا هذه الحرب التي تفرق بينهما مرتين،ولو لا أم الفتى هذه التي لم تزوج ابنها لتسعد بنعيمه ورضاه ، وانما زوجته لينجب لها الولد الذي يحفظ اسم الأسرة من الضياع ، ويحفظ ثروة الأسرة من أن تنتقل إلى الغرباء » .

إنه نضج الأساطير الاغريقية من حيث الجمال الفني وأدواته كما نعرفها عن هوميروس وغيره من شعراء اليونان القديمة ، وكما نعرفها عند شكسبير في مسرحية «مكبث» حيث يلتقي البطل بالساحرات ، وفي غيرها من مسرحياته حيث تلعب العرائس أو الحوريات والجنيات الطالعات من الغابات أو الأنهار دوراً رائعاً في تصوير مشاعر الأبطال بين الوهم والحقيقة ، وبين الجنون والعقل ، وذلك النضج هو الذي خلع على تصوير المحب الغيور سحراً أدبياً في أسلوب معمري وطه حسين ، وجعل القارىء يحلق معهما مبهوراً ، ولكنه ما يلبث أن يهوي الى دنيا الواقع القاسي في (الربوة المنسية) بحكم قانون الحياة الذي يقوم على التقمص . فالأم هي حافظة التراث ، وهي مناط امتداد الحياة باستمرار الولادة ، ابقاءً على الجنس البشري حتى تعمر الأرض ولا تعقم ، بل يستمر الخصب والإثمار ، وتتواصل الأجيال حتى يرث الله الأرض ومن عليها . فالانجاب لا الحب هو قضية المرأة الفطرية ، لا عاطفة ولا شجون وإنما هي حقيقة مهما كانت قاسية ، وهي الثروة المادية التي تستحق التضحية بتلك العاطفة وهذه الشجون في الربوة القبلية المنسية .

« والأم تنتظر الولد فيطول انتظارها ، حتى إذا أدركها اليأس ضاقت بهذه الزوجة السعيدة ؛ وأرادت أن يطلقها ابنها ، وأن يتخذ مكانها زوجة ولودا ، ولكن الفتى يأبى ويمعن في الإباء ، والأم تلح وتمعن في الالحاح ، والفتى يلتمس الحيل على اختلافها ليتاح له الولد . واذا هو ينسى ما تعلم في المدارس والجامعة ، ويطلب الولد عند القديسين كما يطلبه من عجائز القبيلة دون أن يبلغ شيئاً ، والزوجة الشابة محزونة قد استحالت سعادتها شقاء وأمنها خوفاً وإشفاقاً ، والوالد الشيخ حائر بين زوجته تلك التي تلح وابنه الذي يحب ، ويضطر الفتى الى فراقها بالطلاق . والفتى من أجل ذلك يمضي الى الحرب حين يدعى اليها في المرة الثانية ، مطمئناً اليها قد كره الحياة وأنكر كل شيء فيها . وهو يشارك في بعض المواقع ، ويحسن البلاء ، ويعود مع بعض رفاقه في اجازة قصيرة ليرى القرية ومن فيها ، وليلم بأخبار زوجته تلك التي أكره على فراقها ، وقد تلقى منها كتاباً تتحدث فيه عن حبها اليائس وبؤسها المقيم ، وتذكر له فيها تذكر أنها لم تبلغ أهلها حتى أحست الحمل فهي تنتظر الولد اذن بعد حين » .

وتقدرون وتضحك الأقدار

وتنتهي رواية الربوة المنسية نهاية مأساوية عاصفة مثلها في ذلك كمثل الملاحم الأفريقية ذات النهايات الراعدة ، اذ يتغلب القدر الذي يلعب لعبته الساحرة بين البشر الضعفاء العبث ، « وتقدرون وتضحك الأقدار »،ولكن الكوميدية القدرية المأساوية عند الروائي الجزائري مولود معمري ليست سطحية أو ذات بعد واحد ، بل هي متشعبة الجوانب ، لأنها نبت موطن عانٍ من كل صنوف القهر ، وكان تاريخه معها طويلاً . فليست التقاليد الحجرية وحدها هي التي كانت تغل عقله ويديه وقدميه ، ولا هو القيد

الاستعماري وحده ما بين إقطاع وسُخرة ، ولا بشاعة الحروب التي تحول الانسان أعظم الكائنات الى رماد في محرقة فاغرة فاها لتلقف الأخضر واليابس من آمال الكادحين البسطاء وحقوقهم وأحلامهم ، ولا هي تضاريس الطبيعة الوعرة والمناخ القاسي ، بل هي هذه الاغلال المادية والمعنوية جميعا ، فأين أين المفر ؟ .

ويبلغ معمري الذروة في هذا الختام المدوي لروايته ، والذي استقاه من الواقع الحي وأفاد في تصويره من كثير من روائع الأدب العالمي . فلحظة السعادة التي حانت لمقران ، وكادت أن تكون ملء يديه ، وهي اللقاء بحبيبة روحه وقد بشرته بأنها حملت منه ، هي نفسها لحظة الموت ، مما يذكرنا برواية همنجواي « وداعا للسلاح » إنها اللحظة المصيرية الفاصلة التي يباغتنا فيها القدر بدقاته المشئومة على بابنا ونحن في أوج الأمل في اقتطاف الثمرة التي انتظرناها

ويسدل الستار

« سلك الفتية طريقهم الى قريتهم في يوم عاصف يسقط فيه الثلج فيكسو قمم الجبال ، ثم ينحدر فيغطي السفوح . وما تكاد السيارة تسلك طريقها بالفتية الى القرية حتى يتبينوا أن العاصفة قد أحدثت عليهم طريقهم ، بما ألقت فيها من ثلج ، وبما صدعت من صخور الجبال ، فيعودون أدراجهم ينتظرون هدوء العاصفة ، إلا الفتى هذا المشغوف بلقاء زوجته تلك المطلقة بغير حق . فهو يخالف رفاقه ، ويزمع أن يبلغ القرية ماشياً ، وأن يقتحم الهول في سبيل ذلك . وهو يلمح زوجته خطيبة الليل تتراءى له من بعيد ، تدعوه دعاء المحب مرة ، وتزجره زجر اللائمة مرة أخرى . وهو يستجيب لها ، ويمضي أيامه يغالب العاصفة والبرد والثلج والجبل ، ويخيل اليه أنه من قريته غير بعيد .

ولكنه لا يجد القوة على المضي أمامه ، قد أجهده الصراع المر ، فيجلس ليأخذ نصيباً من راحة ، ولكنها جلسة لا يقوم منها ، فقد انتهى به الاعياء الى اقصاه . وكان الموت ينتظره في ذلك العطف من أعطاف الجبل فيلقاه رفيقاً به ، عطوفاً عليه » . وهكذا يسدل الستار بموت « مقران » عند مولود معمري ، وموت « كاترين » عند الكاتب الأمريكي ، تلك الزوجة المطاردة التي رحلت الى الأبد بعد أن اجتازت مع حبيبها بشق النفس الحدود الألمانية فراراً من النازية الى أرض الحرية والحياد سويسرا ، رحلت في اللحظه التي وضعت فيها ولدها كما ودع مقران الحياة دون أن يرى ابتسامة وليده □



ضحكة

* ماأحوجني إلى ضحكة تخرج من أعماق صدري ، فيدوي بها جوي ، ضحكة حية صافية عالية . ليست من جنس التبسم ، ولا من قبيل السخرية والاستهزاء ، ولاهي ضحكة صفراء ، لاتعبر عما في القلب ، وإنما أريدها ضحكة أمسك منها صدري ، ضحكة تملأ شدقي ، وتبدي ناجذي ، وتفرج كربي ، وتكشف همي » .





الجديد في العلم والطب



إعداد : يوسف زعبلاوي

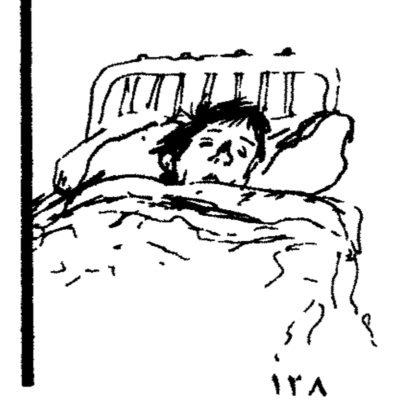
أمل جديد في الشفاء من مرض السكري

● استضافت جامعة ييل في الولايات المتحدة في النصف الثاني من شهر حزيران (يونيو) الماضي (١٩٨٩) اجتماعا دوليا مهما ، حضره علماء الوراثة من دول عديدة مختلفة ، أما القصد من هذا الاجتماع فهو اكتشاف المزيد من الجينات المعتلة التي يؤدي اعتلالها إلى الإصابة بالأمراض ، والعمل على تحديد هوية تلك الجينات المعتلة ، بتحديد مواقعها من الكروموزومات التي تنتمي إليها ، وذلك بأمل تصحيح تلك العلل الجينية ، بطريقة أو بأخرى ، ومن أجل معالجة الأمراض التي تتسبب بها معالجة ناجحة تحقق الشفاء منها ، وكان مرض السكري من الأمراض التي تناولها المجتمعون وحددوا هويتها ورسموا الطريق لمعالجتها .

ويجدر بنا قبل المضي في الحديث عن نتائج اجتماع ييل الأخير ، أن نذكر القارىء بأن جسم الإنسان يحتوي على ٢٣ زوجا من الكروموزومات ، وأن هذه المورثات تحتوي بدورها على عدد كبير جدا من الجينات (١٠٠,٠٠٠ جينة أو أكثر) ، وتكوّن هذه وتلك ما يمكن تسميته (ارشيف الوراثة الإنسانية) ، وما يسميه علماء الغرب جينوم (Genome) .

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن العلوم الطبية تعرفت حتى الآن على نحو (٤٠٠٠) مرض ، ثبتت نسبتها إلى خلل ما ، في جينة ما ، من المائة ألف جينة . وتركزت الجهود في السنوات الأخيرة على تحديد مواقع تلك الجينات من الكروموزومات التي تنتمي إليها ، وإلا سوف يتعذر العمل على إصلاح الخلل الذي تعاني منه تلك الجينات ، ويتعذر بالتالي العمل على الشفاء من تلك الأمراض .

وتمخضت تلك الجهود عن تحديد هوية مجموعة لا يستهان بها من الجينات المعتلة ، ظلت تزيد وتتكاثر حتى بلغت نحو (١١٠) جينات في مطلع الصيف الماضي ، وجاء اجتماع ييل فتضاعف عدد تلك الجينات حتى بلغ ١٦٤ جينة ، وكان نصيب ذلك الاجتماع من هذا المجموع (٥٣) جينة بالتحديد ، تم التعرف على هوياتها وتحديد مواقعها خلال السنتين الماضيتين .



ولعل أهم هده الحينات تلك التي يؤدي خللها إلى مضاعفة احتمالات الإصابة بمرض السكري ، وذلك لأن خللها هذا يحدث تغييرا في أحد البروتينات ذات الصلة بجهاز المناعة وقد نجح العلماء في تحديد موقع تلك الجينة من الكروموزوم الذي تنتمي إليه، وهو كروموزوم رقم (٦) ، كما تبين للعلماء في اجتماع بيل الأخير . ومعنى هذا أن التشخيص المبكر لمرض السكري ، وكذلك العلاج الواقي منه ، أصبحا قاب قوسين أو أدنى ولعل العلاج الشافي من مرض السكري أصبح قريب المنال أيضا والمقصود هنا مرض السكري العنيد الذي يستوجب تناول الأنسولين

على ان مرض السكري لم يكن المرض الوحيد الذي توصل اجتماع بيل إلى تحديد موقع الجينة المعتلة المسؤولة عن الإصابة به ، فقد كان مرض داوْن (أو متلازمة داوْن (Down Syndrome) مرضا ثانيا ، نجح المجتمعون في تحديد جينته المعتلة ، وقد تبين لهم أنها تقع في أحد جوانب كروموزوم رقم (٢١) ، وقل مثل ذلك في مرض القزمة) (Dwarfism ، وفي الآفات المختلفة التي قد تنتهي الى الصرع، ناهيك بانفصام الشخصية ، وعلل الاكتئاب التي قد تظهر في ابناء عائلات معينة على الأخص ، دون عائلات أخرى غيرها

□□□

سرّ الحمام الزاجل [illegible]

● منذ [illegible] عاما والعلماء يحاولون اكتشاف سر الحمام [illegible] طائل . فمنهم من واكب الحمام في رحلاته وتابع حركاته وسكناته بواسطة الطائرات [illegible] ، ومنهم من علق على ظهر الحمام [illegible] ، ومنهم من وضع للحمام [illegible] . وقد طلب [illegible]

[illegible] الحمام الى [illegible] وموطنه

وقد [illegible] مجموعة من التجارب على الحمام الايطالي، ومجموعة اخرى من الحمام الألماني . [illegible] العلماء الى [illegible] في المجموعتين ، [illegible] الايطالي [illegible] على [illegible] ، [illegible] الألماني [illegible] مطلقا [illegible]

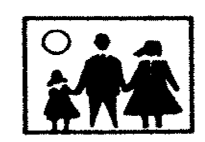
[illegible]

[illegible]



تسعة مواطنين من أصل عشرة يكرهونني ، لكن ما أهمية ذلك إذا كان العاشر وحده مسلحا ؟

(كرومو[illegible])



سلامة البشرية في سلامة البيئة

العالم جاك كوستو والبيئة

من المعروف أن جاك كوستو عالم فذ ، من علماء الأحياء البحرية ، ولعل جمعه بين الغوص في أعماق البحار ، وممارسة التصوير « الفوتوغرافي » تحت سطح الماء ومساهماته في الأبحاث العلمية الدقيقة التي يجريها على الكائنات البحرية ، قد جعله في طليعة العلماء الفرنسيين شعبية .
وقد بلغ من تقدير الفرنسيين لكفاءاته ومواهبه أن فتحوا له أبواب الأكاديمية الفرنسية ، ليصبح عضوا بين أعضائها العلماء . كان ذلك في يونيو ١٩٨٩ ، الأمر الذي حدا بمجلة نيوزويك الأمريكية أن توفد المحررة آن أندروود إلى باريس ، لتجري مع كوستو حوارا شيقا شاملا ، نوجز في ما يلي أهم الأجوبة التي رد بها هذا العالم عن أسئلة المحررة .

* أعد التحاقي عضوا في الأكاديمية الفرنسية شرفا كبيرا لي ، وأنا سعيد جدا بعضويتي هذه ، لأنها ستتيح لي الفرصة للعمل على تشويق العلماء الأكاديميين الفرنسيين بشؤون البيئة ، ومضاعفة اهتمامهم بمشاكلها .

* أكثر مايشغل بالي من مشاكل البيئة هذه الأيام القارة القطبية الجنوبية ، وضرورة العمل السريع على إنقاذها مما يتهددها ، وإنقاذ الحياة والعالم ، فالقارة المذكورة ليست رقعة كبيرة من اليابسة فحسب ، بل إنها إقليم متكامل ، يشمل هذه القارة والبحار القطبية التي تحيط بها ، ويشمل الجليد الذي يغطي اليابسة والمياه ، ويرتفع في الجو نحوا من ٣ كيلومترات ، ويشمل الإقليم المذكور أيضا الجو والهواء ، وهذه العناصر مجتمعة تلعب دورا رئيسا في حماية حياة الإنسان على سطح الكرة الأرضية .

فهي تخزن البرد على هيئة جليد متراكم بكميات هائلة ، ومن شأن هذا الجليد أن يحد من ظاهرة البيت الزجاجي ، أو الارتفاع المطرد في درجة الحرارة في المناخ العالمي .

فالحضارة الصناعية التي نعيش في ظلها ونفخر بها أبت إلا أن تكون ذات حدين ، فهي توفر لنا الراحة والرفاهية من جهة ، وتعمل على تسخين الكرة الأرضية من جهة أخرى ، ذلك أن غاز ثاني أكسيد الكربون أخذ يتراكم في الجو في السنوات الأخيرة ، بنسب مضاعفة ، حتى أصبح من المتعذر على الحرارة التي تأتينا من الشمس أن ينعكس بعضها ويعود إلى أعالي الجو ، كما كانت الحال منذ أن كانت حياة على وجه البسيطة . ولأن غاز ثاني أكسيد الكربون المكثف في جو الأرض يحبس تلك الحرارة ، ويبقيها على سطح الأرض ، ليزداد الدفء ، ويصبح خطرا يتهدد الحياة بشتى أشكالها .

ونحن بحاجة إلى مايحد من نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون المتراكم في

الجو ، ولعل (فايتو بلانكتون) وهي الكائنات البحرية الصغيرة المنتشرة في بحار القطب الجنوبي ، هي خير مايقوم بهذه المهمة ، فهي بطبيعتها تمتص غاز ثاني أكسيد الكربون ، فتحد من الخطر المحدق بنا بسبب تزايده .

أضف إلى ذلك أن حياة الإنسان باتت في خطر بالغ ، بسبب تناقص كميات المياه العذبة ، مياه الأنهار والبحيرات ومياه الأمطار ، وحتى المياه الجوفية ، آخذة في التناقص في بقاع عديدة ، بنسبة تدفعنا إلى القلق . ولما كانت القارة القطبية الجنوبية تحتفظ بما لايقل عن ٩٠٪ من الماء العذب المتاح للإنسان على سطح هذه الأرض أصلا ، تحتفظ به جليدا نقيا طهورا ، سرعان مايتحول إلى ماء عذب زلال ، كان الأمل في الإبقاء على الحياة البشرية يتجاوز أزمة المياه الحادة ، متوقفا إلى حد بعيد على إذابة المياه المتجمدة في صحارى القطب الجنوبي الجليدية .

من هنا كان التفكير ـ مجرد التفكير ـ في استغلال القارة القطبية الجنوبية ، واستخراج النفط والمعادن منها ، جريمة لاتغتفر بحق الإنسانية ككل . فالاعتداء على تلك المنظومة الهشة ، سواء بحفر آبار التنقيب أو بنقل النفط في الناقلات الضخمة ، أو البحث عن المعادن الثمينة وغير الثمينة ، ثم نقلها إلى المراكز الصناعية ، أو استعمالها في مراكز صناعية خاصة ، تقام على أرضه الجنوبية نفسها ، كل ذلك كفيل بإحداث التلف في تلك المنظومة ، ومن شأن ذلك التلف أن يفتك بالبيئة السليمة التي تحتاج إليها حياتنا ، ثم يفتك على المدى البعيد بحياتنا نفسها .

ويذكر العالم كوستو من التلف السالف الذكر الحوادث التي قد تقع في عالي البحار الجنوبية ، فيندلق الزيت في مياه جليدية راكدة ، وينتشر التلوث ، ويقضي على الكائنات البحرية ، صغيرها وكبيرها .

ويذكر أيضا ذوبان الجليد المتراكم في القارة القطبية الجنوبية ، وهذا وحده كفيل بإغراق عدد كبير من المدن ، لاسيما الواقعة على السواحل أو القريبة منها .

ويؤكد كوستو أن ميثاق ولنجتون الذي يجيز التعدين في القارة القطبية الجنوبية وصمة عار في جبين الإنسانية ، وجناية كبرى في حق الأجيال اللاحقة ، ولابد من العمل على ضمان عدم إبرام الميثاق المذكور

يقول كوستو : « لقد أقنعنا فرنسا واستراليا وبلجيكا بالامتناع عن إبرام ذلك الميثاق ، وسننجح في إقناع أمريكا بذلك إن شاء الله ، وأملنا كبير في أن نحتفل بدفن ذلك الميثاق في مستقبل قريب بإذن الله » .

ومن يدري فقد يأتي ذلك المستقبل القريب قبل بلوغ كوستو الثمانين من العمر ، ذلك أنه احتفل بعيد ميلاده التاسع والسبعين قبيل الحوار الذي أجرته معه المحررة الأمريكية ، وقد اغتنمت الفرصة لتسأله عما إذا كان هذا العمر المديد قد غير في سلوكه ، أو حد من نشاطه ، فرد كوستو : نعم ، لقد حد من نشاطي ، فأنا لم أعد أقبل على الغوص في المياه الباردة .







هكذا تموت المدن، هكذا تحيا

استطلاع : محمود عبد الوهاب
تصوير : طالب الحسيني



« قليلة » تلك المدن التي تختصر أوطاناً .

بيروت كانت دوماً تختزل لبنان الوطن ، ولبنان الفن والثقافة ، واستمرت سنين طويلة في ذاكرة أجيال عربية متعاقبة ، مرادفاً لصوت فيروز ومصري شمس الدين ، وسوقاً للكتب الرائجة ، والصحافة المختلفة ، وللأناقة ، وللجمال ، ولأوقات اللهو البريء وغير البريء . كانت بيروت تختزل كل ما يجمعه لبنان ، وأحياناً كل ما يمكن أن تجمعه عدة أوطان

إليها سافرت بعثة « العربي » في لحظة فاصلة في مسار الحرب المجنونة ، لترصد هذا الوجه القبيح للحرب الأهلية الذي أصبحت بشاعته فوق قدرة القلب على الاحتمال .

قبل أن يفتح باب الطائرة تحولت مسام الجلد إلى عدسات التقاط ، وتحفزت الأعصاب ، وأصبح المخ أكثر يقظة وترقباً وملاحظة . مدرج صغير ، إلى اليسار منه مبنى اسمنتي لم يُكمل ، ملامحه تتضح كملحق لمبنى الركاب ، بجوار الطائرة عسكريون بملابسهم وأسلحتهم ، تحركت الحافلة من أسفل السلم إلى مبنى المطار . صالة صغيرة ضيقة ، أسقفها مفككة ، اللوحات الإرشادية بعضها مكسور ، وبعضها الآخر باهت ، أمام « شباك » الجوازات وقفنا ، زميلي المصور وأنا . تفحص مسئول الجوازات جواز سفري بدقة ، توقف عند تأشيرات الدخول الكثيرة ، على صفحاته ، تأملها ، طالع التواريخ ، وفي النهاية تكلم : صحافة لماذا ؟ هل تتوقعون حدوث شيء ؟ . بسرعة من يهيىء جوابا قلت : نحلم معكم بالسلام . هز رأسه ، ختم واز السفر ، أعاده إليّ قائلا بلهجة لبنانية محببة : « أهلين فيكم » .

من سمع ومن رأى

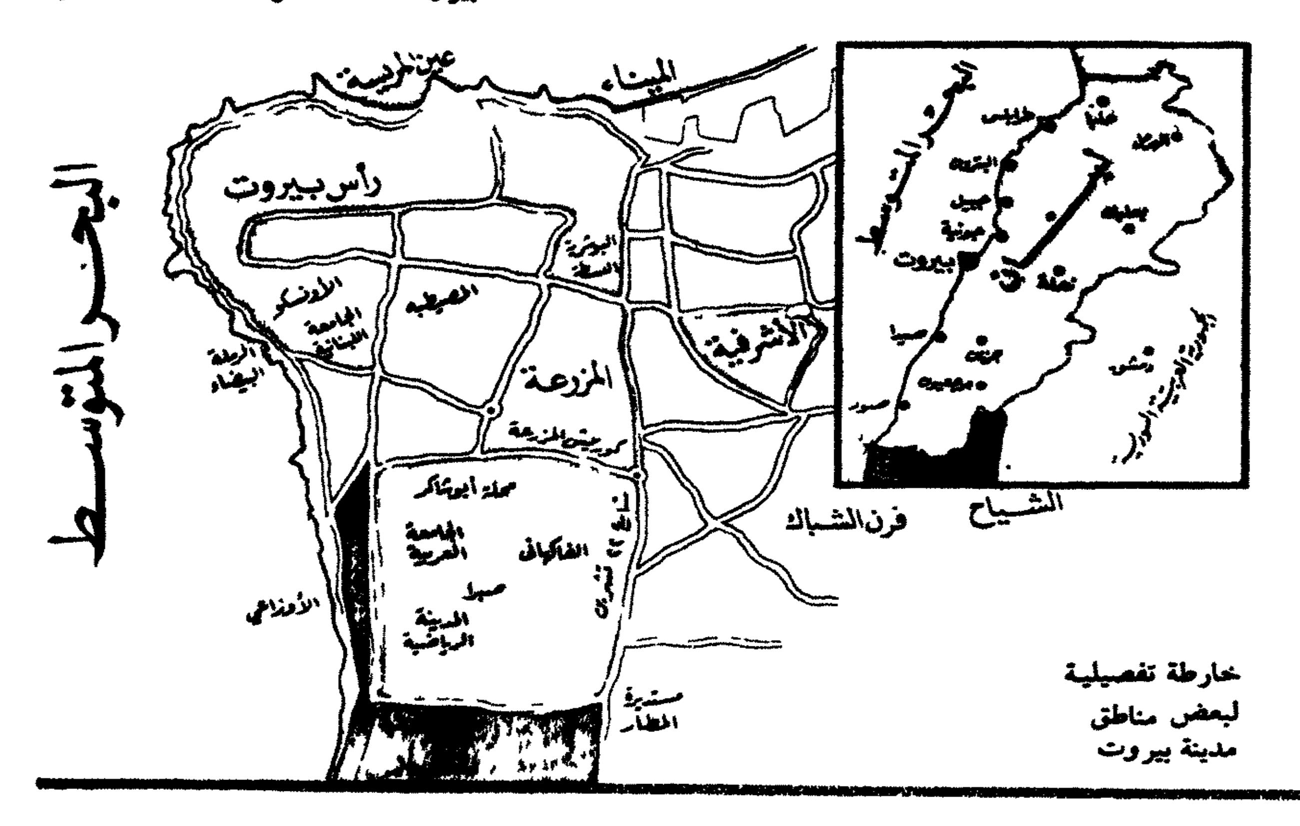
في أثناء انتظار وصول حقائبنا انتحينا ـ زميلي المصور وأنا ـ جانبا عند بداية الشريط الكهربائي الذي يحمل الحقائب ، أعيننا تلتقط كل ما تراه ، وآذاننا تسمع حديث الناس ، كان وصولنا غداة انتخاب الرئيس إلياس الهراوي ، الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر . وصلت الحقائب ، حملناها بأيدينا ، اعتذرنا عن قبول خدمات الحمالين ، فقد كانت الحكايات التي سمعناها قبل السفر تقول : احترسوا من الذين يتطوعون بتقديم الخدمات ، احذر أن تستقل أي سيارة . كان بعض يقول : ما أسهل أن يصطحبكم قائد سيارة ، ويستولي على نقودكم وملابسكم ويلقيكم في عرض الطريق . كانت الحكايات والنصائح تقول : خذوا معكم بعض النقود الصغيرة ، فئة عشرة ، وعشرين وخمسين دولاراً ، ولا تضعوا نقودكم كلها في جيوبكم ، سيطلبون منكم النقود ، إن لم تدفعوا طواعية فسوف . . .

عند رجل الجمارك فتحنا حقائبنا ، توقف أمام حقيبة زميلي المصور ، تساءل عن كل آلات التصوير هذه التي يحملها ، قلنا له : بعثة مجلة « العربي » تهلل وجه الرجل فرحاً ، واتسعت ابتسامته ، وسألنا إن كان معنا عدد جديد ، فأعطيناه نسخة . توالت عبارات الترحيب والمجاملة ، ثم غادرنا مبنى المطار ، وشمس الضحى كانت تنير النهار . قلنا لرجل الأمن : نريد سيارة أجرة . أشار للسائق ، كتب اسمينا ، ووجهتنا ، ورقم السيارة في دفتر صغير ، انطلق بنا السائق إلى قلب بيروت

نظر إليّ زميلي المصور مبتسماً وقال : ها نحن في بيروت . كانت بيروت تلح على الخاطر والذهن منذ زمن ، ولكن ضغطها كان أكبر من أن يقاوم منذ تلك الأيام الرائعة التي تواعد فيها إلى الكويت جميع قادتها الروحانيين والسياسيين للاجتماع مع مهندس السياسة العربية ، الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح ، نائب رئيس مجلس الوزراء ، وزير الخارجية الكويتي ، عندما كان رئيس أعمال اللجنة السداسية التي شكلتها

● فقد ساقه بشظية طائشة ، ولم ترحم الحرب شيخوخته فخرج للعمل





خارطة تفصيلية
لبعض مناطق
مدينة بيروت

جامعة الدول العربية في أوائل عام ١٩٨٩ ، والتي عُدّ تقريرها بداية لأعمال مؤتمر الطائف الذي اجتمع فيه النواب اللبنانيون ، برعاية اللجنة الثلاثية العليا في نهاية عام ١٩٨٩ . كانت مخاوف الزملاء في المجلة ألاّ نعود . ووسط الدعابات كان لابد من الهمس بشيء من السياسة ، قلنا للمحبين الخائفين من عدم عودتنا : نحن ذاهبون إلى فرقاء ، مهما بلغت حدة اختلافهم فإنهم لم يختلفوا على اجتماعاتهم في الكويت ، ولم تثر وساطة الكويت إلاّ كل قبول حسن ، ثم نحن نحتمي بتاريخ سياسي وثقافي عريض ، يشترك فيه الوجه القومي للكويت ، والصندوق الكويتي للتنمية ، ومطبوعات الثقافة الرائعة ، من عالم الفكر ، إلى مجلة « العربي » ، إلى عالم المعرفة ، وعالم المسرح ، تحمينا كل هذه الأيادي البيضاء ، وتكفل لنا أماناً يفتقده الكثيرون .

الطريق مليء بالحفر والمطبات ، في منتصف الشارع ، في المكان الذي كان مخصصاً للأشجار التي تزين الطريق أكوام النفايات ، واجهات المباني مرقشة بثقوب كبيرة وصغيرة بعضها غائر وبعضها الآخر مخترق للجدران ، إنها آثار لطلقات الرصاص . الحواجز في الطريق أكياس من الرمل ، ومظلة صغيرة ، وجندي بسلاحه . تتوقف السيارات عند كل حاجز ، يتأمل الجندي الركاب ، يعطي إشارة استئناف السير .

اخترنا فندقاً كانت كل النصائح قبل السفر ترشدنا إليه ، يقع على البحر مباشرة ، لمدخله طريق واحد ، على أول الطريق نقطة أمن صارمة . أنزلنا حقائبنا ، سألونا عن أسمائنا ، فحصوا جوازات سفرنا ، فتشوا حقائب الثياب على قارعة الطريق . سيارة صغيرة مخصصة لخدمة الفندق حملتنا من أول الطريق ، لتهبط بنا إلى مدخل الفندق . في مكتب الاستقبال استقبلنا الموظف ببشاشة ووجه طليق ، وبادر بالاعتذار عن فتح الحقائب في الشارع ، وقال : لكن ـ كما تعلمون ـ حوادث التفجير قد علمتنا أن نحتاط لكل الاحتمالات والظروف الدقيقة ، وهذه



● الحياة اليومية تسير على وتيرتها في فترات صمت المدافع .



الاجراءات لحمايتكم وحمايتنا .

الفندق شبه خالٍ من الرواد والنزلاء ، على الرغم من أن عدد غرفه يقارب ثلاثمائة غرفة . من شرفة الغرفة يبدو البحر ممتداً هادئاً ، يلقي موجه على الشاطيء ، الشاطيء الذي تحركت منه وإليه موجات الهجرة ، وحطت عليه سفن المسافرين والعابرين ، وانتهت عنده أحلام ، ووقفت أمامه سفن إنزال ، وسفن مهاجمين وحماة ودعاة ، ودارت حياة كاملة عبر قرون وأزمنة طويلة ، الزبد الأبيض يبلل رمال الشاطىء ويغسله .

كسر حاجز الغربة

بعد نصف ساعة فقط غادرنا الفندق ، لم نحمل معنا إلا جوازات السفر ، والقليل من المال ، ودفترا صغيرا. لم يحمل زميلي آلات التصوير . قلنا : سنستأجر سيارة ، نطوف بها بعض مناطق بيروت ، نأتلف مع المكان ، نصبح داخله . انطلقت بنا السيارة إلى منطقة الأيوبي والجامعة الأمريكية ، ثم إلى منطقة الغبيري وأبو شاكر ـ أحياء الفقراء ـ ثم إلى كورنيش المزرعة ، وبعد ذلك الروشه ، ثم إلى الفندق من جديد .

ساعتان كانتا كافيتين لكي تكسرا حاجز الغربة ، وتلقيا كل النصائح والتحذيرات إلى قلب البحر . الشوارع تنبض بالحياة ، باعة ومتجولون ومحلات مفتوحة وبشر يتحركون ، وورش إصلاح سيارات ، وورش محركات ، وباعة زهور ، وعربات تحمل الفاكهة على نواصي الطرق ، ومطاعم ومقاهٍ ، حياة متكاملة ، لا تدرك أبداً أن هنا حرباً مجنونة إلا من آثار القصف ، وحواجز الأمن ، وأكياس الرمال أمام مداخل البنايات وعلى الشرفات . في الشوارع كميات القمامة تصيب المرء بالدهشة ، أمام المحلات تنتشر مولدات الكهرباء ، كل محل يضع مولد كهرباء صغير أمام الباب ، ليستغني عن الاعتماد على كهرباء الدولة التي أصبحت

مقطوعة التيار بشكل دائم ، ولا يصل التيار إلا مدة ست ساعات كل يوم بالتناوب ، وأحياناً يصل التيار في الصباح ، وأحياناً بعد الظهر ، وأحياناً أخرى بعد منتصف الليل ، وهكذا . الناس في الشوارع ، والمحلات مليئة بالترقب والقلق والقدرة الهائلة على التواصل ، السائرون في الطريق يتجنبون طريق السيارات في نهر الشارع ، فالشوارع مزدحمة دائماً ، وقيادة السيارات وفق المزاج ، والقدرة على المزاحمة ، وقطع خط سير الآخرين في التقاطع دون حسبان ليمين أو يسار .

عدنا إلى الفندق في نهاية الجولة ، كانت الألفة مع المكان قد تمت داخلنا ، أصابتنا عدوى الحماس للحياة ، والاعتياد على المأساة والأسى ، بدأنا ننظم حركتنا للدخول إلى المجتمع ، لنرى ما خلف قناع الوجه وخلف الحواجز .

الصبية يحملون السلاح

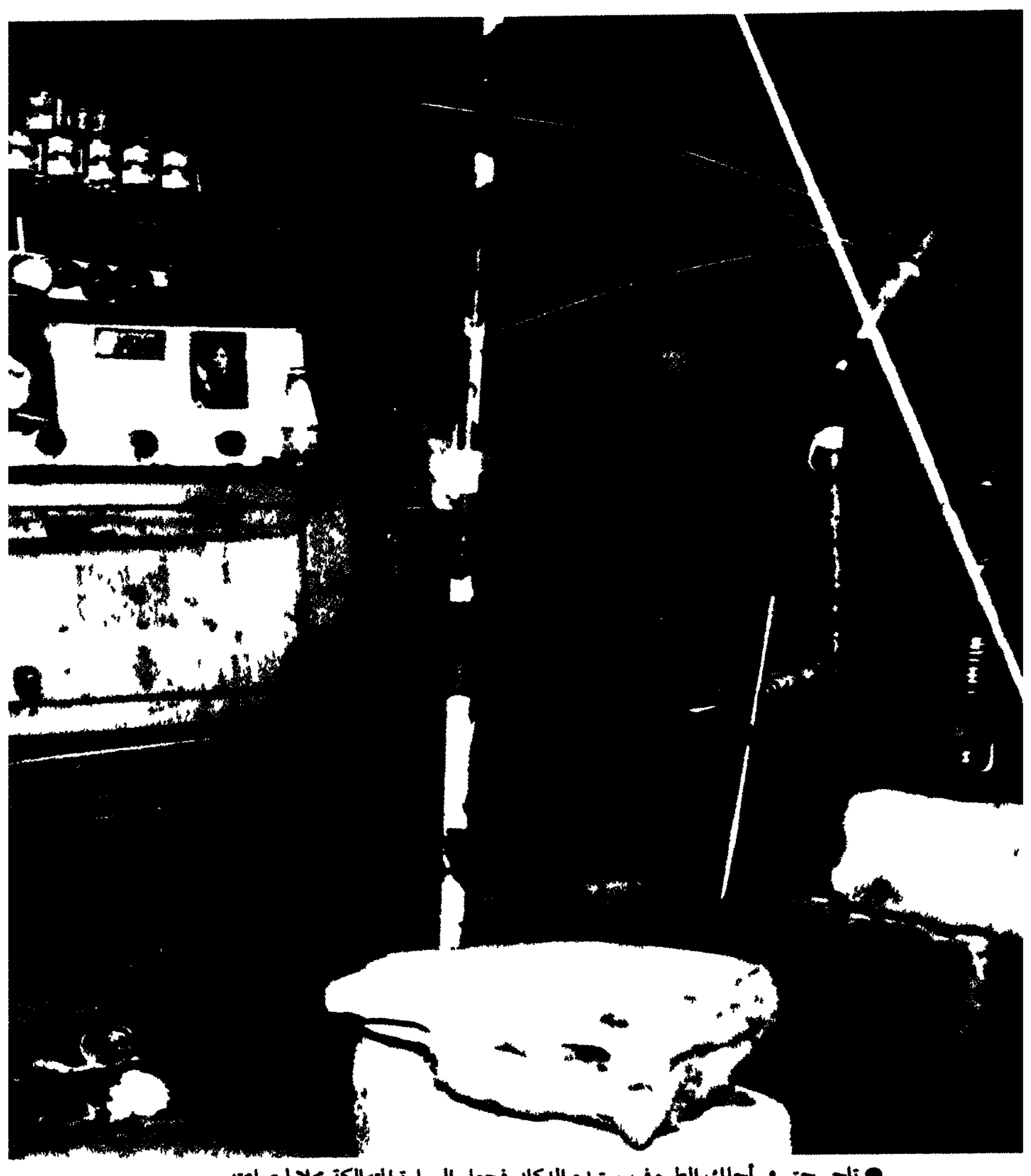
في الصباح الباكر توجهنا إلى ساحة رياض الصلح ، تلال الأتربة والسيارات المقلوبة تحيط بالمكان ، العشب العشوائي ينمو كثيفاً ، المياه الراكدة تتجمع أمام مداخل البيوت وعلى الأرصفة ، خضرة العفن فوق سطح المياه ، روائح العفن والقدم والأتربة العفنة تفوح فتزكم الأنوف .

على مدخل الساحة كانت نقطة مسلحة ، تابعة لإحدى الميليشيات ، قائدها خالد أبو ربيع ، عمره عشرون عاماً ، يحمل بندقية « كلاشينكوف » على كتفه ، انضم إلى الميليشيا في عام ١٩٨١ ، كان عمره حينذاك اثني عشر عاماً فقط . يتقاضى الآن ٣٦ ألف ليرة في الشهر - أي قرابة ٧٥ دولاراً . بداية راتب خريج الجامعة الآن خمسة وعشرون ألفاً فقط . كان لأبيه مقهى ، وكان المفترض أن يعمل معه ، يقدم الشاي والقهوة والماء المعطر بالزهر و« النارجيلة » ، ويأتلف مع الرواد والباعة ، وفي الصباح الباكر يشم رائحة الخبز الساخن والفطائر ، ويقدم لزبائنه الحليب مع الشاي ، لكنه ترك كل هذا . لماذا يا أبا ربيع ؟

يبتسم ويضحك ، أسأله مرة ثانية : هل تقبل أن ينضم ابنك إلى إحدى الميلشيات يوماً ما ، عندما يكبر ؟ يبتسم مرة ثانية ويقول : كل فرد أدرى بمصالحه . يأذن لنا بالتصوير ، نتحرك داخل ساحة رياض الصلح ، نكمل إلى ساحة النجمة وشارع المعرض . أمام مبنى البرلمان القديم ، ندخل إلى شارع سوق السمك القديم ، خلف بناية البريد العام ، وبناية « بان أميركان » ، العمارات القديمة العالية منزوعة النوافذ والشرفات ، مهجورة تماماً ، فهنا منطقة تماس ، تبعد مائتي متر فقط عن ساحة الشهداء ، أو ما يعرف ببيروت الشرقية ، حيث تتمركز قوات الكتائب ، القناصة يحتلون أسقف البنايات ، والغرف في الأدوار العليا ، البيوت صامتة ، الهدوء يلف المكان إلا أن صوت رصاصة يخترق الصمت بين حين وآخر ، أو دفعة رشاش يطول أمدها أو يقصر ، تتوتر الأعصاب ، تتحفز ، نسمع صوت أحدهم يطمئن آخر ، إنه يجرب الرشاش !! انهمك زميلي في التقاط الصور ، أنظر إلى المباني المهجورة. وأتساءل : ماذا لو صرخ الحجر ، أو حتى تكلم ، أي حياة كانت هنا ؟ كان هذا الشارع لا يهدأ ليلا ولا نهارا ، كانت الستائر ترخى على هذه النوافذ ، و« أصص » الزرع بقايا محطمة ، أسفل البناية محل متهدم ، بقايا الفرن واللافتة نصفها مكسور « مناقيش . . فطائر » ، جدران المحل مغطاة بالقيشاني الأبيض ، في الأرض تجمع العفن والطين والعشب والزجاج المكسور ، في الزمن السابق كانت الصبايا الصغيرات يقفن أمام الباب يصرخن بأصواتهن الرفيعة ، والصبية يتقافزون ، كل يريد أن يبتاع قبل الآخر ، لكي



● معبر المتحف :
أخذت اللقطة من أعلى
مستشفى البربير ، وآثار
القصف واضحة على
بقايا هذا المبنى



● تاجر حتى في أحلك الظروف ، تهدم الدكان فجعل السيارة المتهالكة محلا لبضاعته



يأكل فطيرته الساخنة ، ثم يلحق بألعابه ولهوه ، أما الآن فقد صار الصبية حاملون (الكلاشينكوف) فوق سطح البناية مقابلة لنا ، أربعة جنود لنا ، تحدث معهم مرافقنا ، كانوا يقطعون الوقت بلعب الورق ، وبجوار مقاعدهم اسندوا رشاشاتهم تأهبا واستعدادا

اخترقنا مساحة من الأرض الفضاء عدة مطأطئي الرؤوس ، كي نعبر من بناية « بنك امريكان » إلى بناية العزيزية « سوق سرسق » ، حيث كان سوق الذهب القديم ، وسوق الأقمشة والثياب في فم البناية ، في الوحل غاصت أقدامنا ، وفي ظلمة المكان المهجور تخبطنا ، فقد أصبح المكان الذي كان من قبل قبلة المتبضعين من أهل بيروت وزوارها مكانا موحشا مقبضا باردا

من خلف السواتر

من ساحة رياض الصلح اتجهنا إلى شارع الحمراء ، أشهر شارع في العواصم العربية ، في الطريق مررنا بعدد من البنايات الحكومية ، هنا مصرف لبنان ، الحراسة مشددة ، والحواجز الأسمنتية والخشبية لمنع وقوف السيارات ، وهي سمة مشتركة في كل المباني المهمة

شارع الحمراء ، لمن يراه الآن ، شارع لا يستحق شهرته ، شارع تجاري ، مليء بالمحلات ، ضيق ، مزدحم بالسيارات والمارّة ، الأرصفة لم تعد صالحة للسير ، فوقها باعة جائلون ، وصرافو نقود ، ومولدات كهرباء ، وقمامة ، ومشاة ، مداخل الأبنية محاطة بأكياس من الرمال ، لتحمي البنايات من آثار تفريغ الهواء عقب القصف الذي يترتب عليه تحطم الزجاج والأبواب   أمام باب محل امتلأت شواية الدواجن الكبيرة ، داخلها تدور ست وثلاثون دجاجة ، تشوى على النار ، قلنا لصاحبها الكل يتحدث عن احتمال عمل عسكري بين يوم وليلة لحسم التمرد ، وبسط الشرعية ، وأنت

تشوي كل هذه الدجاجات ؟ ابتسم الرجل وقال : وإذا لم يتم العمل العسكري وجاء زبون يطلب دجاجة مشوية فماذا أصنع ؟ هل أقول له كنا ننتظر الحسم العسكري ؟

الحس التجاري لا يفارق اللبناني أبداً ، التجار في المحلات يتفننون في تزيين واجهات المحلات ، وعلى الرغم من هذا فإن الذوق العام في الملابس المعروضة وألوانها ليس راقياً ، تفسر الظاهرة بائعتان في أحد أكبر محلات الأزياء في منطقة الحمراء ، شادية ومنى تقولان : الذوق يحدده المستهلك ، والمستهلك الذي يملك نقوداً الآن ويشتري ذوقه متدنٍ ، أما أصحاب الذوق الحقيقي الذين ينشطون إبداعات الأزياء وطرق العرض ، فإنهم غير قادرين على الشراء . نسأل : لماذا البيع بالدولار ؟ تنفيان ذلك بشدة ، وتقولان : نحن نقبض بأي عملة ؛ ليرة ، أو دولار ، أو فرنك فرنسي ، لكننا نقوّم الأسعار بالدولار ، وهذا أدعى لتثبيت الأسعار وراحة « الزبون » ، فمثلاً هذه السلعة ثمنها مائة دولار ، يظل ثمنها مائة دولار من أول يوم عرض حتى تنتهي . ولكن ماذا لو اشتريت سلعة بتكلفة وهامش ربح بمائة دولار ، وسعّرتها اليوم مثلاً بما يوازي ذلك بالليرة ، وقلت : ٣٠ ألف ليرة ، وبعد أسبوع تدهور سعر صرف الليرة ليصبح ٤٠ ألفاً ، هل أغير كل يوم بطاقات الأسعار ؟ وكثير من الزبائن يأتون إلينا ويسألون عن الثمن ، فنقول لهم كذا دولارا. ولهم الحرية في أن يدفعوا بالدولار أو يغيروا هذه العملة بما يعادل القيمة فقط من على الرصيف المواجه للمحل .

على الرصيف يتجمع الصرافون ، كيس من القماش في اليد ، ورزمة نقود في اليد الأخرى ، عندما كنا هناك كانوا يحكون عن وقائع حادثة دامية . اقتربت سيارة ، وقفت ، أطل منها شاب ، سأل صراف عن سعر الدولار ، طلب منه أن يحصي له ما قيمته مائتي دولار ، وبعد أن أحصاها اقترب من نافذة السيارة ، أطل برأسه



● صدق أو لا تصدق ، هذا شارع في وسط بيروت العاصمة ، وهو من أفضل شوارعها .

داخلها ، أمسك أحدهم من داخل السيارة برأس الصراف وكتفيه ، وانطلقت السيارة ، أخذوا كيس النقود ، ظل الصراف متشبثاً بالسيارة ، ونصفه الأسفل مجروراً على القار ، ويداه معلقتان بحافة النافذة ، أغلق الشاب الزجاج على أصابع الرجل ، لم تتحطم أصابعه ، وظل متشبثاً بالسيارة ، أخرج الشاب مسدسه وأطلق رصاصة على رأس الصراف ، حينئذ فقط ترك الصراف السيارة وسقط على القار .

زملاؤه يقولون كل ما كان معه من الليرات يعادل ٥٠٠ دولار فقط !!

مقاهٍ بلا رواد

طوال تجوالنا في شارع الحمراء ، المحلات زبائنها قليلون ، ومعظمهم يدخل لمجرد المشاهدة من الداخل ، المقاهي والمطاعم في الشارع شبه خالية ، طاولة أو اثنتان فقط ، ركود عجيب يصيب الحياة ، وعلى الرغم من ذلك فأصحاب المحلات لا يكفون عن عرض بضائعهم ، وأصحاب المطاعم والمقاهي يفتحون أبوابها كل صباح ، وينتظرون الزبائن الذين لا يأتون إلا قليلاً .

كانت المقاهي في بيروت شرياناً نابضاً بالحياة ، مثقفون ، وساسة ، وفنانون ، وأصدقاء ، وأحباء ، الكل في المقهى ، وفي المطعم ، وكانت هناك مطاعم ومقاهٍ مقترنة بأسماء روادها ، أشهر المقاهي كان مقهى (الدولشي فيتا) بالروشة ، بجوار مطعم يلدزار ، المقهى الآن مغلق بعد أن أصابته القذائف ، وفي الطابق الذي يعلوه مقر لإحدى القيادات العسكرية لمنطقة الروشة . على مقربة من الجامعة الأمريكية مقهى ومطعم الفيصل ، المقر الرائع للكاتب الراحل الشاعر خليل حاوي ، تعرض للقصف مرتين ، وفي كل مرة يدمر ، ويعيد أصحابه بناءه ، عندما زرناه كان العاملون بالمطعم واقفين يبحثون عن رواد .

في منطقة الحمراء فندق (الكومودور) الذي يقع في شارع صغير متصل بشارع الحمراء ، الفندق صار الآن مقر قيادة عسكرية ما ، الدخول والخروج إلى الشارع يتم بحذر ، فالمنطقة تعج برجال الاستخبارات المدنيين .

بقايا الشوارع تعترف عليها وتشهد ، فللشوارع الجانبية جمال من نوع مميز ، أقصد كان لها جمال ، فالأشجار على جانبيها تمنحها ظلاً وفيئاً رائعاً في الصيف ، وفي الشتاء تمنحها جمالاً مكوناً من الدفء النسبي بها نظراً لضيق عرضها وللأشجار العارية الأغصان ، ولذا فقد كانت الشوارع الجانبية دوماً ليست مكاناً مناسباً للمحلات والدكاكين ، فيها مقهى ، وحانة ، ومدخل لفندق صغير متميز ، ودار عرض سينمائية خاصة . وتصبح الشوارع الجانبية قصصاً وعوالم ، أحباء يتواعدون ، أصدقاء يلتقون ، سيارة تقف بهدوء بعيداً عن الزحام . الآن أصبحت الشوارع الجانبية مكامن لرجال مسلحين ورجال استخبارات ، ولسيارات تختبىء تمهيداً لتحركها المفاجيء المجنون ، ومكاناً للتخلص من القمامة !!

هكذا تموت المدن

في البدء كانت بيروت مدينة للحياة ، كان أهلها على أفضل مستوى معيشة بين العواصم المختلفة ، النشاط فيها متصل دائم ، اليوم لم يبق فيها إلا المسكونون بحب الوطن ، ملح الأرض ، والفقراء الذين لا يملكون مقدرة على الخروج . مظاهر الأزمة في بيروت لا تخطئها عين ، فبعيداً عن الشكل السطحي الصارخ لآثار القصف وللإهمال والقذارة وانقطاع الخدمات وتدهور مستواها ، سواء بسبب ضعف الإمكانيات ، أو لغياب قدرة الحكومة المركزية . أقول بعيداً عن هذا : إن مظاهر الأزمة واضحة ، تضغط على القلب ، وتثير الأسى .

الفقراء ذوو الملابس الرقيقة ، والسائرون في



● تطويراً لفكرة البيع بالسيارة بيع اللحم من الباب الخلفي وإعداده وفق طلب المشترى من الباب الجانبي

الطرقات المتجهمون المهمومون ، الأطفال الحفاة ، كبار السن ، فاقدو القدرة على الحركة إلاّ بالكاد ، ذوو العاهات الناجمة عن الحرب ، ساق مقطوعة ، ذراع مفقودة ، في المحلات الأسعار باهظة قياساً بالأجور التي تدنت قيمتها بتدهور سعر الليرة ، هذا الشعب الأنيق المفرط في حسن مظهره واحتفائه بالحياة ، صارت أناقته على أقل مستوى . تسأل يأتيك الجواب حاسماً : من أين لنا بالمال ؟

كان لبيروت خصوصية اجتماعية واقتصادية ، فالطبقة المتوسطة كانت عريضة كبيرة ، والعملة القوية مكنت المدينة من أن تبدو مزدهرة ، وكانت الدخول أكثر من كافية ، في بداية السبعينيات ، تحديداً في عام ١٩٧٤ ، تقول آنسة من بيت شلهوب ، تعمل مدرسة . إنها بدأت براتب مقداره ٣٥٠ ليرة شهرياً ، ومنه استطاعت أن تدخر وتسافر إلى خارج لبنان في الصيف ، وتشتري سيارة ، وتدفع أقساطها . بينما يقول أبو زهير : إنه في عام ١٩٧٢ تروح ، ودخله ١٨٠ ليرة ، ومنه أثث منزله ، واشترى سيارة « نصف نقل » ، يعمل عليها لينقل البضائع من الميناء إلى أنحاء بيروت المختلفة ، وكان يرفض أي طلب لتوصيل شحنة إلى خارج بيروت ، ومن دخله هذا كان يدخر ليستريح شهرين في العام ، يذهب فيهما للتصييف في الجبل .

كان ازدهار بيروت ـ لبنان ـ الاقتصادي واضحاً ، وخلال الأربعين عاماً الماضية أسهمت



ظروف كثيرة في تأكيد هذا الازدهار ، فخلال الخمسينيات جذبت لبنان رؤوس الأموال الفلسطينية عقب نكبة ١٩٤٨ ، ثم رؤوس الأموال السورية التي آثرت مغادرة سوريا إبان مرحلة عدم الاستقرار ، وهي مرحلة الشيشكلي ، وحسني الزعيم ، ثم مرحلة الوحدة مع مصر . ومع مطلع الستينيات جاءت رؤوس الأموال المصرية التي هَرَبت أو هُرِبَتْ من مرحلة التأميمات في مصر ، وبدأ الازدهار يتصاعد في لبنان ، بلد حر مفتوح ، للكل الحق في أن يعمل ، وللكل الحق في أن يستمتع ، وساعد جمال الطبيعة الرائع وطبيعة الشعب اللبناني وتفننه الراقي في تقديم الخدمات لاجتذاب السواح صيفاً وشتاء ، وازدهرت ـ نتيجة لليبرالية الاقتصادية والفكرية ـ حركة النشر والصحف ، وطبع الكتب والفنون ، وأصبح لبنان صاخباً بالحياة ، يضج بها ، وقد خلق هذا المناخ فرص عمل ، ودفعت رواتب من الأرباح ، وكبرت الطبقة المتوسطة ، وازدهرت ، وازداد ثراء شريحة الأغنياء في المجتمع . مع أواخر الستينيات جاءت رؤوس أموال أخرى ، وهي عائدات النفط ، واتخذت من بيروت مستقراً للاستثمار أو جسراً للتحويل إلى مصارف في عواصم أخرى ، وازداد اتساع الطبقة المتوسطة ، وتضخمت ثروات شريحة الأغنياء ، ولأسباب « ديموغرافية » اتسعت ، وكبرت الطبقة الفقيرة دون أن يتنبه أحد .

هذا الازدهار انعكس على كل الأنشطة ، وكل مجالات الحياة ، ومظاهر السلوك . وبعد مضي خمسة عشر عاماً على الحرب ، هربت رؤوس الأموال ، وقلّت حركة التجارة ، وكفّ تردد السائحين والزائرين ، وتدهورت قيمة العملة ، فتراجع مستوى معيشة أبناء الطبقة المتوسطة ، وقد ظل التراجع تدريجياً طوال عشر سنوات ، لكنه بعد عام ١٩٨٤ بدأ يصبح حاداً ، فقد انتهت نشاطات الخدمات والمهن المرتبطة بها ، وأقفرت الحياة ، وسافر الأثرياء إلى باريس وجنيف ، وانطلق بعض للعمل في أقطار أخرى ، وبقي المسكونون بحب الوطن والفقراء ، وتساوى الاثنان في أن عبء الحياة أصبح فوق القدرة وفوق الطاقة ، وامتلأت الأيام بقصص ووقائع تدمي القلوب .

شوكة في القلب

كان ينطبق على أيامنا في بيروت المثل اللبناني القائل : « ياسفرجل كل قضمة منك بغصة » . تحكي لنا مدرّسة في إحدى المدارس الابتدائية أنها لاحظت تدهوراً في مستوى أحد التلاميذ المتفوقين ، وعندما استدعته وبدأت في سؤاله عن متاعبه لزم الصمت ، وأصر على أن ينكر أن

في حياته شيئاً غير طبيعي ، وعندما أرادت المعلمة أن تغير مسار الحديث سألته بود أم : « ماذا أفطرت اليوم ؟ » أجاب الصغير بتلقائية : « لم يكن دوري في الطعام اليوم ، كان دور أخي !! » .

في حي أبو شاكر دخلنا ما يمكن تسميته مجازاً بيت أسرة مكونة من أرملة وولدها وابنتها ، مقر سكنهم عبارة عن الفراغ الموجود تحت سلم البناية ، أحاطوه بالخشب ، الأم تعمل في التطريز بالخرز ، تأخذ البضاعة من المعامل الصغيرة ، وتطرزها وتعيدها إليهم ، تتقاضى عن القطعة الواحدة مائتي ليرة ، في أحسن الأحوال تستغرق القطعة يومين ، مقر السكن غير مزود بكهرباء ، وتعمل الأم على ضوء مصباح يعمل بالغاز ، في طرف الصندوق الخشبي الذي يستخدم أريكة وفراشاً ، كانت هناك ربطة خبز ورأس خس واحد ، عندما نظرت مرتين نحوهما قالت الأم : طعام العشاء . تفضل معنا .

في بيت آخر يعمل الأب والابن ، ويبلغ دخل الأسرة ٤٠ ألف ليرة شهرياً ، أقل قليلاً من مائة دولار ، وعدد أفراد الأسرة خمسة ، مع ارتفاع الأسعار المجنون . بدأت الأسرة في إعادة تنظيم



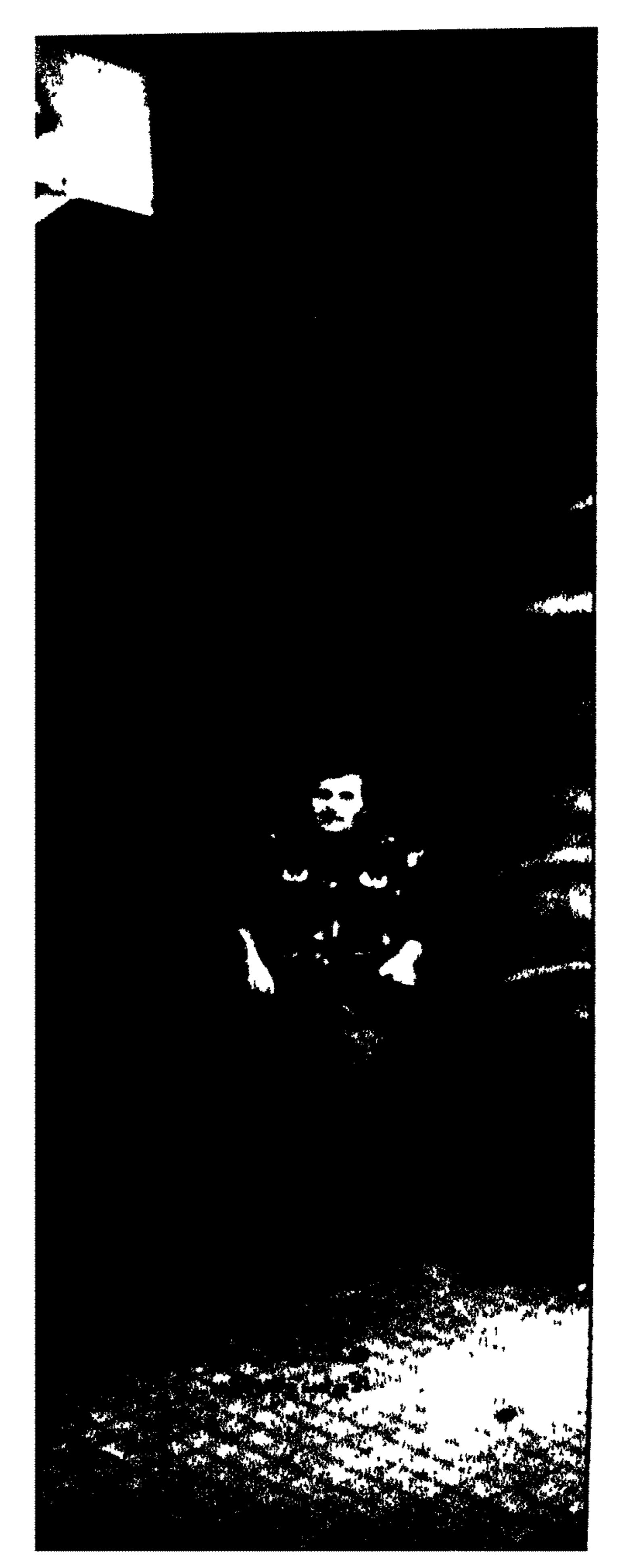
● د . نسيب البربير في شرفة المستشفى .

حياتها ، ووفروا وجبة طعام ، أصبح الإفطار في الصباح ، ووجبة في السادسة مساء ، هي بمثابة غداء وعشاء . اللحم زائر غريب لا يدخل البيت إلا مرتين في الشهر .

السيدة ميسر عثمان (أم شادي) أم لثلاثة صبيان وبنت ، الزوج موظف بالتلماز ، مرتبه الشهري ـ وهو كل دخل الأسرة ـ ٣٥ ألف ليرة . الحياة تسير بالكاد ، الأولاد الأربعة في المدرسة ، تكلفتهم ٢٤٥ ألف ليرة سنوياً ، موزعة على أقساط مدارس ، وتكلفة كتب وقرطاسية وملابس ، واثنان فقط في سيارات المدرسة ، والآخران يسيران على الأقدام .

في الاسبوع يأكلون وجبة لحم واحدة أو دجاجة ، وبقية الأيام تمضي مع (المجدّرة) ـ رز مع العدس ـ أو حساء أو « فول » ، وتكلفة الطهي مرتفعة لارتفاع الأسعار ، فالطماطم يبلغ سعر الكيلو منها في المتوسط ٣٠٠ ليرة ، والليمون ٢٠٠ ليرة ، واللحم ٢٠٠٠ ليرة . الملابس عبء آخر ، شقيقتها وبعض أصدقاء زوجها الأفضل حالاً يعطونها ملابس أولادهم أحياناً . وتقسم أم شادي قائلة : تمر علينا ظروف وليس في البيت ثمن (ربطة خبز) .

سعاد ومنى وكلير ولميس شلهوب ، أربع فتيات ؛ صغراهن في السابعة والعشرين ، يعشن معاً مع والدتهن ، وشقيق مهندس كهربائي ، الخمسة يتحملون تكلفة الحياة ، الرواتب لا تكفي ، اعتادوا أن يتبادلوا ارتداء الملابس بعضهم من بعض ، أقلعت الفتيات عن الذهاب إلى محلات تصفيف الشعر ، يتناوبن غسيل السيارة الصغيرة الوحيدة التي تملكها الأسرة التي تظل نصف الشهر لا تتحرك ، إذ لا يوجد ثمن الوقود ، وعلى الرغم من (قدم) طراز السيارة فإن شقيقهن أنقذهم من عناء الذهاب إلى ورش الإصلاح . يقسمون الأيام فيما بينهم ، في حمل المياه من الدور الأرضي إلى الطابق الرابع ، أشياء كثيرة أقلعوا عنها ، الزواج واحد من هذه



الأشياء ، فتكلفة الزواج فوق الطاقة ، وفوق قدرة الاحتمال .

أسأل في العمل وفي المكتب فيم تتحدث الموظفات ؟ يلتقطن الإشارة ، يتحدثن : عن المياه التي تنقطع ، وعن توقعات تجدد الأعمال العسكرية ، وعن الموظفة التي جاء أهلها ليصحبوها من العمل ، وهل ذلك يعني أن هناك عملاً عسكرياً في الأفق ، أسأل مرة ثانية : والخروج للنزهة ؟ أواجه مقاطعة جماعية ، تقول سعاد : ترف لا يجرؤ أحد منا عليه ، قصارى ما نفعله الذهاب إلى زيارة عائلية ، ولكننا اعتدنا في المساء أن نعود جميعاً إلى منازلنا مبكرين ، ترقباً لحدوث شيء ، فمن الأفضل أن نكون معا .

مسئولة في جمعية (كيرتاس) لتقديم المساعدات الاجتماعية ، تقول : إن كثيراً من الفقراء يأتون إليهم طلباً لمعونات السكن ، وعندما تعلن الجمعية عجزها يتمتمون بأمنيات عودة القصف الشديد لكي تضطر الكنائس والمساجد لفتح الأديرة ودور العبادة كملاجيء فيجدون أماكن للنوم والحماية من الرصاص والبرد والظلام !

هل من مزيد ؟

راشد فرشوخ وأسامة فرشوخ ، شقيقان يعملان في قطاع المصارف ، أحدهما مدير فرع لمصرف لبناني مشترك مع أحد المصارفة العالمية الشهيرة ، الشقيقان متزوجان شقيقتين ، الزوجتان تعملان في شركة طيران الشرق الأوسط ، بداية الحديث كان عن التذاكر المجانية التي هي حق العاملين في شركة الطيران ، وعلى الرغم من ذلك فهما لا تسافران ، لأن مرتباتهما مع تدهور الليرة أصبحت لا تتجاوز ٢٠٠ دولار في الشهر . أسأل عن سياسات الاعتماد الحالية ، والتسهيلات المصرفية التي تقدمها المصارف . يتناوبان الحديث للايضاح ، وتقديم أفضل

صورة ، يقولان: « تتم في أضيق الحدود ، ولقطاعات معينة من التجار ، ومعظم الاعتمادات هي تمويل لتجارة الأغذية ، والمصارف حالياً لا تقبل سندات ، ولا كمبيالات ، والكفالات نادرة . وهناك مصارف تتعرض للإفلاس ، وتتهاوى . وهناك مصارف تركز ٤٠٪ من حجم عملياتها على المضاربة في العملة ، والسبب منطقي فقد كان هناك قبل الحرب نشاط اقتصادي مزدهر ، وحتى عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ والعهدة على تقرير جمعية المصارف اللبنانية ، قدمت المصارف اللبنانية ما قيمته ١٥ مليار ليرة لبنانية كاعتمادات أي ما يعادل خمسة مليارات دولار . الآن لا يقدم الاعتماد إلا برهن ملكية وعقار وموافقة مجلس إدارة المصرف وليس بسلطة مدير الفرع » .

الأرقام الاحصائية تثير الذعر ، فمن واقع بحث ميداني ودراسة علمية أجريت مؤخراً شملت مناطق مختلفة من كل لبنان ، تقول الأرقام : إن هناك ٥١,٩٪ أسرة عجز المسئول عن تأمين احتياجاتها . وعن كيفية التصرف لمواجهة هذا العجز ، تقول الدراسة : إن ٦٠٪ من هذه الأسر ستغير نوعية الطعام والمدرسة والسيارة ، و ٣٩,٣٪ سيتوقفون عن الإنجاب ، و ٥٠٪ من العزاب لن يتزوجوا في المدى المنظور .

وعن نسبة الزواج تقول الدراسة : إن الفترة من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٥ قد شهدت زواج الشباب الذكور بين سن ٢١ ـ ٢٥ بنسبة ٣٦٪ ، كما أن ٤٥٪ من الشباب في سن ٢٥ فما فوق أيضاً تزوجوا ، أما في الفترة من ١٩٧٥ ـ ١٩٨٩ فقد تأخر سن الزواج في المتوسط العام بما لا يقل عن خمس سنوات .

المحامي محسن عبدالكريم طراد أسأله عن نوعية القضايا الأكثر شيوعاً خلال السنوات الأخيرة من الحرب ، يقول :

الطاغي على الساحة عدد من القضايا ، أبرزها القتل والقيد ضد مجهول ، والدعاوي المدنية المتعلقة بالمنازل التي تُحتل من قبل من يعرفون بالمهجرين الذين يقومون باحتلال المنازل ، ولا يستطيع الملاك تحصيل حقوقهم . ثالث نوع شائع هو قضايا الطلاق الذي ازداد معدله في السنوات الأخيرة ، وأبرزه طلاق العنة ، وهو طلاق شائع بكثرة هذه الأيام ، ومعظم أطرافه من الشباب ، وهم على الرغم من اكتمالهم (فسيولوجيا) عضوياً إلا أنهم عاجزون عن أداء واجباتهم الزوجية ، وفي مثل هذه القضايا يعطي القاضي مهلة سنة ، ثم يحيل المريض إلى الطبيب ، ولا يصدر حكم بالتطليق إلا بعد تقرير الطبيب ، وكل تقارير الأطباء تقول : إن التوتر والضغط النفسي والاجهاد العصبي هو السبب الذي قضى على الشباب بالعنة . وهناك حالات طلاق تتم لأسباب تتلخص في تغير مستوى الأسرة الاقتصادي ، فبعض التجار التقليديين الذين تدهورت ظروفهم نتيجة للحرب تخلت عنهم زوجاتهم بطلب الطلاق ، وبعض أصحاب المهن الهامشية الذين أثروا من الحرب تخلوا عن رفيقاتهم بحثاً عن زيجة جديدة تليق بالثراء الذي تحقق .

يضيف محسن طراد : إن العدل أصبح بطيئا ، وهو أقسى من الظلم ، فالإجراءات تتعطل ، والمعاملات تتوقف مالم تدفع رشاوي كرواتب للكتبة والمحضرين في المحاكم وإدارات التنفيذ .

أتذكر ما قاله بعض عن عمال الهواتف الذين يقطعون الاتصالات والخطوط حتى يتقاضوا مبلغاً لكي يعيدوا الخط ، وكل معاملة في أروقة الإدارة لا يمكن أن تتم مالم يدفع مبلغ من المال .

وانفرط القلب كالمسبحة

كان الصباح ندياً من شرفة الغرفة ، كان البحر هادئاً صامتاً يلقي بزبده الأبيض على الرمال ، كانت وجهتنا دار الأيتام الإسلامية ،



● شارع الحمراء
الآن لاتعليق

استقبلتنا نائب مدير الدار السيدة برلنت العقاد ، تحكي لنا تقول : في عام ١٩٧٤ كنا نتعامل مع ٨٠٠ حالة في الدار كلها ، الآن لدينا ٣٦٠٠ حالة منهم ١٦٤١ يتيماً ، و ٦٦٥ حالة صعبة ، وفي الأشهر الثلاثة الأولى من العام ١٩٨٧ استقبلنا ١٧ طفلاً لقيطاً ، عدد الحالات الصعبة يشمل حالات الأطفال الذين يواجه أهلهم مشكلة في إعالتهم وحالات اللقطاء .

تقول السيدة برلنت العقاد : « وأشهد بعد عشرين عاماً من العمل في هذا القطاع ، أن الحرب قد جعلت القلوب قاسية كالحجارة ، وأن العواطف قد ماتت ،ومازالت في عيني مشاهد الأهل عندما يأتون لتسليم الأطفال ، ويتعلق الأطفال بسيقان الأهل ويجذبون ثيابهم وهم يبكون تشبثاً بهم ، وحباً ومودة ، ويستدير ولي الأمر ، فيصفع الطفل لكي يتخلى عنه !! أذكر حالة طفل لقيط ألقاه أهله وسط أكوام القمامة ، فأتى كلب ونهش موضع الحبل السري . طفل آخر وضعه أهله في كيس قمامة وأحكموا إغلاق الكيس وألقوه في الطريق ، وعندما اكتشفه عابر سبيل كان الطفل الذي لا يتجاوز عمره ساعات قد أزرق لونه ، وأوشك على الاختناق . أذكر كم من المعارك نخوضها مع الأهل لكي يأتوا لزيارة أبنائهم وذويهم ، صارت القلوب قاسية كالحجارة والعواطف ميتة متحجرة . » !!

في قاعة صغيرة مزدانة بالصور الطفولية والألعاب تجمع عدد من الأطفال يرتدون ملابسهم بعد أن استحموا ، شعورهم مبللة ووجوههم نضرة ، هرعت طفلة ضحوك نحونا ، مدت يدها الصغيرة البضة تصافحنا ، تعلقت بسيقاننا ، وغامت عيوننا وانفرط القلب كالمسبحة !!

وهكذا تحيا المدن

على الرغم من كل عناصر الأزمة ، وآثار الحرب ومخاوفها ، ومع التسليم بأن هناك جيلاً كاملاً نشأ وترعرع ، وسط الحرب والقذائف الموت والدمار إلا أن الحياة مازالت مستمرة وإرادة الحياة أقوى من الموت والدمار ، فموت المدن ليس جميلا ولا نبيلا ، واللبنانيون مسكونون بحب الوطن والحياة ، في لبنان وتحت القصف تزدهر مؤسسات مدنية تمارس عملها على الرغم من كل الظروف . مركز دراسات الوحدة العربية الذي اختار بيروت مقراً له منذ زمن ، مازال يعمل بكامل طاقته على الرغم من كل عناصر الموت حوله ، ومازال مديره د. خير الدين حسيب يقود العمل من مكتبه المحاط بالسواتر الرملية ، جمع من المثقفين اللبنانيين تجمعوا معاً ، وأعلنوا قيام اللقاء الوحدوي ، وهم صفوة من المثقفين اللبنانيين المؤمنين بوحدة لبنان وعروبته والوحدة العربية ، يقولون عن أنفسهم : إنهم ليسوا تنظيماً ولا حزباً ، فيكفي ما بلبنان من



● جلست مع ابنها لتعينه على أداء الواجب المدرسي

تنظيمات وأحزاب ، ولكنه لقاء وملتقى .

ومنذ عام أسسوا على الرغم من القصف والدمار دار الندوة في وسط بيروت كمكان للملتقى وعقد الندوات ، وفي ذكرى اشتعال الحرب الأهلية خرجوا إلى نقاط التماس ، ومن الجانبين بدأوا ينبشون أكياس الرمل التي تفصل الوطن ، وأطلقوا حمائم بيضاً في السماء احتجاجاً على استمرار الحرب ، ورفضاً لكل كوابيس التقسيم . مجلة المنار الثقافية الشهرية تصدر بإنتظام على الرغم من انقطاع التيار الكهربائي ، وعلى الرغم من وجود مقرها في الطابق التاسع وقلة الامكانيات .

في وسط الحرب قامت مؤسسة (تاله) للألعاب التربوية ، تقول مديرتها د. نجلاء نصير : نحن نحاول أن نقدم وسائل تربوية للأطفال يتعلمون من خلالها القراءة والحساب وفق كلمات أرق وأجمل ، نحن نعلمهم كلمات : زرع ، ساعد ، عاون ، خبز ، حقل . ولا نقول لهم : اضرب ، اقتلع ، مات !!

في وسط القصف وفي مواجهته يقع مستشفى البربير ، لا يبعد عن معبر المتحف بين شطري بيروت إلا مسافة ٥٠٠ متر فقط ، تعرض منذ بدء الحرب وحتى الآن لسبع ضربات مدمرة ، آخرها في مارس ١٩٨٨ ، حيث قصف بـ ١٥٠ قنبلة خلال ٣٦ ساعة ، وبلغت تكاليف الإصلاح والخسائر ١٢ مليون دولار . وعلى الرغم من ذلك فعقب كل ضربة كان المستشفى يجدد ويستمر في عمله ، بل وصل الأمر بمديره د. نسيب البربير الذي يبلغ من العمر ٧٧ عاماً أن يقيم بالمستشفى ، ويقول د. نسيب : لم أغلق المستشفى ، وقررت البقاء ، أنا وعائلتي ، لأنني لست أفضل ولا أعز من المرضى والموظفين ، وعلى الرغم من أنني قادر مالياً واجتماعياً أن أترك هذا الموقع المواجه للموت ، إلا أنني أردت أن أقول كلمتي الأخيرة في سني هذا ، لابد لكل الذين يؤمنون ويحبون الوطن وينتصرون للحياة أن يبقوا ، فحياتنا أقل قيمة من الفكرة ، وموتنا حياة للفكرة ، ولقيم الواجب والمسئولية .

في ذروة تصاعد العمليات العسكرية كانت تتصاعد حالات التطوع لأعمال الدفاع المدني ، « جمعية شبيبة الهدى » جمعية اجتماعية غير سياسية وغير تابعة للتنظيمات السياسية القائمة ، تقوم على جهود شباب في العشرين فما فوق تطوعاً لأعمال الدفاع المدني ورعاية الأسر والأطفال المتضررين من الحرب ، للجمعية (١٢) فرعاً موزعاً في أنحاء بيروت ، يختلط في عضويتها كل الطوائف ، وتقدم خدماتها لكل المتضررين عن إيمان ، بأن آثار الحرب لا تفرق بين دم ودم ، وبين إنسان وإنسان .

وعلى امتداد الخريطة تنتشر النقاط المضيئة لأفراد هم أبناء شعب يتحدى الموت والدمار . حريص على صياغة الحياة . رافض أن يموت الوطن ، فما أبشع أن تموت المدن والأوطان .

في القلب والذاكرة

صباح يوم المغادرة كان البحر مازال هادئاً صامتاً ، يلقي بزبده الأبيض على رمال الشاطيء ، جمعنا حقائبنا ، تحركنا إلى المطار تعرضنا لكل إجراءات الأمن الصارمة ، ونقاط التفتيش المتعددة ، قبل أن ندخل مبنى المطار بحقائبنا في انتظار الطائرة ، وضعنا أيدينا على القلب ، كانت بيروت ساكنة داخله ، كان اللبنانيون شعباً يثير الدهشة برفضه للموت وعشقه للحياة ، كان القلب موجوعاً من كل الألم والقسوة والعذابات

يبقى الألم في الذاكرة سكيناً من نار تحرق الأعصاب ، ويبقى عشق بيروت ـ أم المدن ـ في القلب زهرة لا تموت . □



قصة بقلم : أنيسة عبود*

لأن أمي كأي أم عجوز يأخذها النوم إلى ملكوته بعد سهر ممض وعشرين كبوة.
وفي كل كبوة ترى أمامها اخوتي ، مرة في طفولتهم ، ومرة في يفاعتهم ، وأخرى وهم يهجرون المنزل الكبير إلى زوجاتهم تفر الدموع من عينيها ، ومس أهدابها ينز الزمن الماضي .
سنوات عجاف تغفو على وجهها .
قامة يعلق عليها الزمان ثياب الرحيل إلى العالم السفلي .
« بالأمس كانوا هنا ، بالأمس كنت صبية .
والأولاد صغار يعذبونني ، أنتظر عودتهم من المدرسة . »
ايه . . ويطير النوم من عينيها . يحط في عيون بنات الجيران . « كنت مثلكم . كانت لاتتسع الأرض لي . لي قامة رائعة . كنت جميلة . لم يكن العمر قد جهز نفسه للسفر »
تحزن أمي . ثم تشتم الزمن « قد تذكرون قولي عندما تهرمون مثلي . »

من يتذكر . ؟
من يقف وسط هذا السباق ليتذكر ؟
تركلنا الحياة . نقع . نعود للركض . نتلاشى في ضياعنا . نريد الكثير .
تسبقنا الدروب . وتقتربين يا أماه من محطات الوداع .
الليل طويل .
يهطل في ساحة القرية .
الفلاحون المتعبون من عمل النهار يغطون في نوم عميق .
تمشي الأم على أرض المنزل . تفتح الباب
تتفقد نجمة الصباح ، تغلق الباب ثانية .
((طويل هذا الليل)) .
تتفقد ثياب الرحيل . ماذا ستأخذ معها . وماذا ستترك ؟
تطوف عيناها على جدران المنزل . على صور إخوتي . تشم رائحة طفولتهم .
فيعز عليها الرحيل . وتقسم بأن لا ترحل . بينما اخوتي ينامون .
تكون أمي سهرانة ترقق ليلها الطويل بغفوات متقطعة ، تحاور وحدتها الموحشة ،
والليل الذي يجلس على عتبتها ، وتناجي صورنا وأولادنا .
((عندما يكبر المرء يهرب النوم منه . . . هه)).
تضحك أمي في صباها على هذا الغلام .
تمد ذراعيها تريد احتضان الماضي بكل ما فيه.
يجثو أمامها الشقاء عندما تطيل النظر في كفيها ،
« كم عملت هاتان اليدان » ؟
دمعة تغسل الليل .

دمعة تكم ثغر البهجة .
تمسح الدمعة . تمضي إلى سريرها . تحاول النوم . لم تستطع .

---

* كاتبة من القطر العربي السوري



وما يزال الصباح بعيدا.
يتكوم وجه أبي في عينيها . يقف على الباب ، تعاتبه عتاب المقهورين .
أو عتاب الأحبة ، لاأدري .
وحدهن اللواتي فارقن الأحبة ، ويعشن وحيدات مثل أمي ، يدركن عذاب أمي وعتبها .
أمي تعاتب أبي كل ليلة لأنه تركها وحيدة ، بينما أنام أنا في حضن زوجي ، وأخي ينام في حضن زوجته، قصير ليلنا ولا نسمع صوتها .
كان الربيع في أوله .
وكان نيسان في مهده
الناس مشغولون بزراعة الخضار ، وتعشيب البساتين ، والقرية خالية في النهار .
كلهم في الحقول . أبدا لاتهدأ الحياة . بينما يشد والدي ركب الترحال فجأة . تعاتبه أمي
((ابراهيم ، أحقا أنت جاد في سفرك ؟.
ابراهيم .. ابراهيم ..)) يصمت أبي .
لايجيبها ، تحزن أمي ، وتقول : أجل ، لقد حان موعد القسمة . هكذا وبهدوء ، يمتطي والدي جواد الغياب دون أن يخبرنا ، ودون الوداعات الحارة .
في الليل تبكي أمي ، وفي النهار ، وفي كل لحظة ((كان يملأ المنزل)) وتصر على أن والدي لم يرحل قط بل سيعود . إنها تراه كل ليلة عائدا من سفره ،، وأحيانا يدخل عليها فجأة ، فيتجول في المنزل ، يتلمس الجدران بشوق ، يسألها عن الأولاد ، ويسهر معها حتى يسرقها النوم فيرفع معطفه الشتوي الثقيل ويغطيها .
تتحرك أمي ضجرة وتقول : « لقد أثقلت عليّ الغطاء يا ابراهيم . معطفك ثقيل كيف تحمله ».
لايرد أبي . ينهمك في الصلاة . فتقول أمي : لا تنس الأولاد من الدعاء خصوصا الفتاة الصغرى ، إن قلبي معها دائما .
طال غياب أبي .
واقتنعت أمي بأنه سافر بعيدا ولن يعود .

لذلك ماتت خيول الحلم . وتعثرت الأمسيات في وجه أمي .
((الأولاد تركوني يا ابراهيم)) .
((الأولاد يتشاجرون . صاروا غرباء يقتسمون حتى الكلام)) .
وحيدة أمي .
يضيق عليها المنزل . يخنقها . وحده أبي كان يملأ حياتها .
وعندما كان الرعد يزمجر في شتاءات البحر الممطرة كانت أمي تتوسد صوت أبي .
وكانت تحتمي بعينيه عندما يغسل المطر بمزراب المنزل .
تتلمس أمي صورة أبي . تنظر إلى معطفه المعلق في الجدار الجنوبي من المنزل . ترسل نهدة حزينة .
((الأولاد يزورونني في الأعياد يا ابراهيم ، وهذه الأيام صارت الأعياد تتأخر . ما قولك .. العيد لايأتي كل عام ؟)) .
أجل ، ربما فقد رفيقه هو الآخر فضجر من الزيارات .

استغرب يا ابراهيم كيف نبتت كل هذه القسوة في صدور أولادي ، وفي صدور زوجاتهم وأولادهم ، يهمسون لبعضهم . يظنون أنني لاأسمعهم . ويمرون بقربي دون سلام . يعتقدون أنني عميت ولا أراهم ..
ايه .. يا عزيزي .. وسيشيب ليلهم .. وربما تذوقوا طعم الوحدة إذا شملنا الاله بعفوه .
((آه .. هذا الروماتيزم اللعين))
تتلمس أمي ساقيها ، تسحب مشطا من تحت وسادتها ، تمشط شعرها ، تشعر بثقل رأسها ، تكاد لاتقوى على رفعه إلى أعلى ، تمر في خاطرها الذكريات : ((ابراهيم ارفع رأسك .. انظر إلي .. من أنا ؟ هل أنت نائم ؟.. ويجيب والدي بحروف متقطعة . ثقيلة .. لا .. إني نعسان . أرى الأولاد في منامي)) .

لم يكن أبي نعسان . بل كان يحسب الوقت للانطلاق في رحلته .

((لو رحلنا معا-كنا على الأقل نسلي بعضنا . نتحدث معا . نشتاق للأولاد معاً .
نذكر بيتنا الذي أودعنا فيه حياتنا ، وإذا ما بكى أحدنا ، مسح الآخر دموعه .))
تبكي أمي . رأسها ثقيل . أطرافها ثقيلة . تشعر بالبرد .

تمشي ببطء . ((ألم المفاصل يتبعني منذ مدة طويلة)) . تمسح وجهها .
تقترب من النافذة ، تتوسل إلى النهار كي يأتي ويخرج من رحم الليل .
تعاتب الساعات التي تحبو ببطء .
تصعد إلى سريرها وتتمدد فيه ((كم هي صغيرة الآن . كانت لها قامة رائعة)) .
تحاول الاسترخاء . تغمض عينيها . تشعر بالنعاس فجأة .

تسمع نقرا على الباب . تصمت . . يستمر النقر على الباب ((من الذي يدق في هذا الليل الموحش ؟)) تشعر العجوز بالخوف . . تتنفس بصعوبة . ساقاها متورمتان ثقيلتان .
ينتقل النقر إلى النافذة . نقر خفيف على الزجاج . أصابع تمر كالخيال .
تقول بصوت مرتجف ((من . من أنت ؟)) .
صمت . . لاصوت ولاصدى . هدوء مخيف .
فجأة يعود النقر على الزجاج ترفع رأسها بصعوبة .
تنظر باتجاه النافذة ترى أمامها رجلا .
((كيف دخلت إلي)) ؟
ترتعش ، ينحني الرجل باحترام ((تفضلي يا سيدتي جئت آخذك)) .ولكن لم أحزم حقائبي للرحيل .
ـ لاداعي ياسيدتي . ستجدين كل ماتطلبين هناك . سآخذك هيا الآن . .
ياويلي . . إنني عجوز يا بني ولا أقوى على المشي ليلا . نظري ضعيف ، أمهلني حتى يأتي الصباح وتستيقظ القرية ، سأودع الجيران .
ـ لاأستطيع الانتظار . أيقظوني من نومي الآن وأرسلوني إليك ، لدى عربة ستقلك دون تعب .

تحجرت العجوز في مكانها . نظرت إلى سريرها ، صور الأولاد ، الجدران . صباها المختبيء في الزوايا . وجهها المحفور في كل نافذة . انسابت الدموع قوية . نادت أولادها في سرها ((آه لو كانوا هنا . مشتاقه أن أشم رائحتهم قبل سفري)) .
حملت العجوز صرة من السنين المكتوفة في ظهرها . فيها الصبا . وصورة ابراهيم . والأولاد . . والقرية . ((فقط لو أنني ودعت أولادي . . وتبكي .)) .
تقدمت العجوز باتجاه الباب . جسدها يكاد يهوي . وقفت . نظرت إلى الوراء بكت .
تقدم الرجل أمامها . اجتاز عتبة المنزل . عز على العجوز الرحيل .
سمعت أولادها ينادون ويركضون ، تنهدت رمت الصرة على الأرض وقالت بصوت مرتفع ((لن أذهب)) ، توسل الرجل الغريب . ((لاتتعب نفسك فأنا لن أذهب الآن .))
أغلقت الباب . أحكمت إغلاق النافذة جيدا وجلست عند عتبة الباب تنتظر مجيء الأولاد . .
كانوا مشغولين . وكانت هي مشغولة بانتظار العيد ليحمل لها رائحة الأحبة .
طال الانتظار ولم يأت العيد .
ترقبت الطريق كثيرا .
اشتاقت كثيرا لذلك جاء والدي بنفسه وقال : أما آن لك يا رفيقة العمر أن تأتي إليّ ؟ هيا ودعي المنزل
عندما سافرت أمي . . لم يودعها أخوتي . ولم يلوحوا لها بأيديهم لذلك أخذت صورهم أيام طفولتهم وسافرت إلى الأبد . □

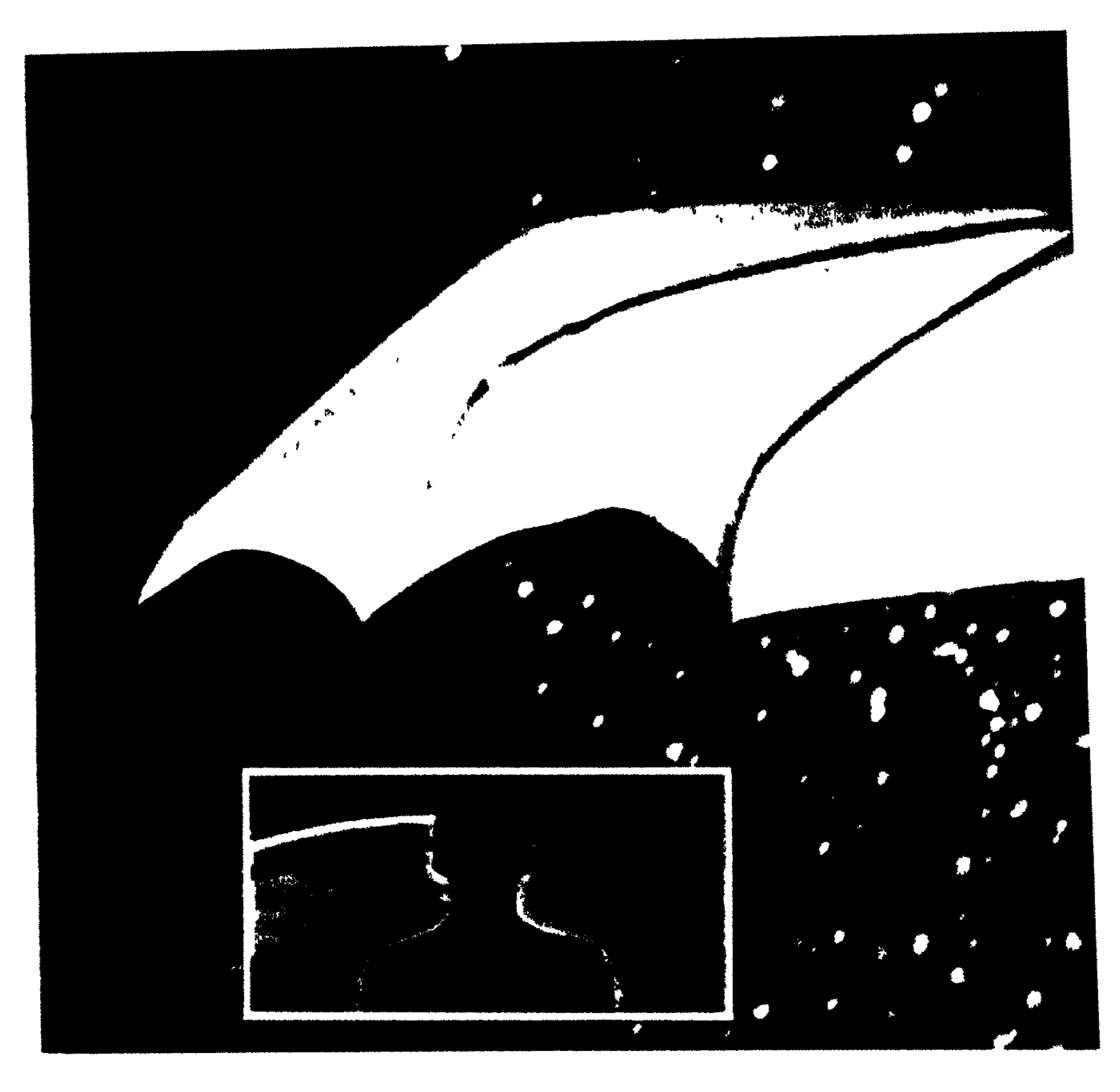


بقلم : الدكتور مصطفى ابراهيم فهمي*

هل للمعرفة طريق واحد ؟ أم أن غرورنا البشري هو الذي يصور لنا ذلك ، ناكرين على الكائنات الأخرى وربما على غيرنا من البشر ، قدرتهم على الوصول للحقيقة عن طريق آخر ؟ ترى ما علاقة الخفافيش بهذا الأمر ؟

---

* أستاذ جامعي للكيمياء ، وكاتب من القطر العربي المصري .



من صميم المنهج العلمي أن النظريات العلمية في حالة تطور مستمر، بحيث يظهر دائما في العلم الجديد من النظريات والمشاهدات والنتائج، ما قد يلغي القديم أو يكون استكمالا وتطويرا له. بل إن بعض العلماء مثل كارل بوبر يرى أن النظرية العلمية التي لا تقبل التفنيد ليست في الحقيقة علمية! وعلى الرغم من ادراك العلماء لهذا كله، إلا أنهم ليسوا - دائما - على استعداد لتقبل ما هو جديد بترحاب وسعة صدر. وقد يلقى أصحاب الجديد من العلماء الكثير من العنت والسخرية من قبل زملائهم أنفسهم.

من الحقائق الشائعة الآن أن ثمة أنواعاً كثيرة من الخفافيش لا تبصر إلا قليلا، وأنها تكاد تكون عمياء، ولكنها تستعيض عن البصر بحاسة سمع مرهفة للغاية. وهي تحدد موضعها وما حولها بأن ترسل موجات صوتية، أو فوق صوتية في الغالب، لا يسمعها البشر، وتصطدم هذه الموجات بالجدران أو بأي جسم آخر - كجسم الحشرة الفريسة مثلا - فيرتد صدى

الصوت إلى الخفاش لتلتقطه آذانه الحساسة فتحدد له الموضع موضع الخفاش ـ أو الجدار ، أو الفريسة . وقد اخترع الانسان أجهزة مماثلة لأجهزة الخفاش منها السونار الذي يستخدم صدى الصوت في تحديد موضع الغواصات مثلا . والمبدأ العلمي هنا هو المبدأ نفسه المستخدم في جهاز الرادار ، غير أن الرادار يستخدم الموجات اللاسلكية أو موجات الراديو بدلا من الموجات الصوتية . وهكذا يرسل الجهاز موجاته اللاسلكية فتصطدم بطائرة مثلا ، وترتد هذه الموجات ثانية للجهاز فيحدد موضع الطائرة ، وسرعتها .

غرور بشري

من الطريف أن اكتشاف تحديد الخفاش للموضع بصدى الصوت ، قد واكب اكتشاف الرادار في اثناء الحرب العالمية الثانية . والعالمان اللذان اكتشفا أمر الخفاش هما دونالد جريفن وروبرت جالامبوس . ويروي أولهما ما حدث عندما كشفا لأول مرة في مؤتمر لعلماء الحيوان الذين ذهلوا لأمر اكتشافهما ، فقد راود الشك أكثر من عالم من هؤلاء العلماء في صحة هذا الاكتشاف،ولكن هذا الشك لم يكن قائما على اسس علمية بقدر ما اعتمد على العاطفة حتى أن واحدا من العلماء المبرزين أحس ايضا بالمهانة ، فأمسك جالامبوس من كتفيه وأخذ يهزه منذرا وهو يقول : « من المستحيل انك تعني حقا هذه الفكرة الشائنة » ؟ ذلك أنه كان يرى أن (السونار والرادار) انجازان علميان راقيان ، والتفكير في أن الخفافيش قد تفعل ما يماثل ذلك ـ ولو من بعيد ـ فيه ما يصدم ، لا كشيء غير معقول فحسب ، وإنما أيضا كشيء منفر مهين للانسان !

ويعلق العالم البيولوجي ريتشارد دوكنز على ذلك في كتابه عن الداروينية الجديدة ، فيقول : إن ما أحس به هذا العالم المبرز من شك ونفور ، قد يكون فيه بعض ما يثير التعاطف . فمشاعر هذا العالم في رأي دوكنز ناجمة عن عدم قدرة حواسنا البشرية على فعل ما يفعله الخفاش . ونحن لم نصل إلى تقليد ما يفعله الخفاش إلا باستخدام أدوات وأجهزة معقدة وحسابات رياضية مطولة مركبة . ولهذا فإننا نجد من الصعب تخيل أن حيوانا صغيرا كالخفاش يدير هذا كله في رأسه في غمضة عين ـ أو غمضة أذن لو صح التعبير الخفاشي . ولأذن الخفاش فعلا ما يشبه جفن العين . والرد على انكار قدرة الخفاش على فعل ذلك مبعثه أن الحسابات الرياضية، اللازمة لتفسير مباديء الإبصار فيها من التعقيد والصعوبة ما يماثل تماما حسابات تحديد الخفاش للمواقع بالصدى ، ومع ذلك فإن أحدا لا يجد أي صعوبة في تصديق أن الحيوانات تستطيع أن ترى بعيونها . وإذن فإننا وعلماءنا أيضاً ، نكيل الأمور بمكيالين ، ونقيسها أحيانا بمقياس مزدوج ، فنشك في هذا ونصدق ذاك لمجرد أننا نستطيع أن نرى ولا نستطيع أن نحدد الموضع بالصدى .

بدون تعقيد

وللفيلسوف توماس ناجل بحث مشهور عنوانه « كيف يكون الأمر لو كنت خفاشاً » ؟ والبحث ليس عن الخفافيش بقدر ما هو عن المشكلة الفلسفية لتصور ما يكون الأمر عليه لو كنا أي شيء خلاف ما نكونه . ولعل السبب في اختيار الخفاش مثلاً هنا هو أن خبراته عندما يحدد الموضع بالصدى هي خبرات غريبة عنا ، وتختلف بصورة خاصة عن خبراتنا . ولو فكر انسان في أنه يستطيع أن يشارك الخفاش خبرته بأن يذهب إلى كهف ليصرخ من داخله ، أو يقرع ملعقتين معا ، ثم ينهمك واعيا في حساب الزمن الذي مر حتى ارتد له الصدى ، فإنه يكون واهما في ذلك وهما كبيرا ، فليس في هذا أي مما يكون الأمر عليه لو كان خفاشا . والانسان عندما

يبصر ويدرك أحد الالوان بعينيه فإنه لا يقيس طول موجة الضوء الذي دخل عينيه ، فإذا كان طول الموجة طويلا فإن ما يراه هو الأحمر ، وإذا كان قصيرا فإن ما يراه هو الأزرق . أما ما يحدث في الواقع فهو أن أطوال الموجات المختلفة تؤثر في الخلايا المختصة في شبكية العين ، فالموجات الأطول تؤثر في الخلايا الضوئية الحساسة للأحمر ، والموجات الأقصر تؤثر في الخلايا الحساسة للازرق . ولكن ليس من أثر لمفهوم طول الموجة في احساسنا الذاتي باللون . ومن المؤكد أن الخفاش لا يفكر بلغة عن طول موجة الصدى عندما يدرك وجود حشرة مثلا ، تماما مثلما لا نفكر نحن بلغة عن طول الموجات عندما ندرك اللون الأحمر أو الأزرق .

وخبرتنا الآن بالتقدم الالكتروني تهيئنا لتقبل فكرة أن آلة الكترونية غير واعية كالحاسوب الالكتروني تستطيع أن تسلك وكأنها تستوعب في التو أفكارا رياضية مركبة وتستجيب لها . ولا شك أن هذه الفكرة مما يمكن نقله أيضا لكائن حي كالخفاش باعتباره بمثابة آلة حية ركبت تفصيلاتها بحيث تجعله يقع على الحشرات بمثل ما تقع قذيفة موجهة غير واعية على طائرة ، وهكذا فإنه يحدد موضع الحشرة الفريسة دون القيام بحسابات واعية عن الموجات الصوتية وصداها

الأذن قبل العين أحيانا

وإذا كان الانسان يستخدم العين أساسا في رصد ما حوله فإن الخفاش يستخدم الأذن لذلك . وتكون المعلومات الآتية من الخارج ضوئية عند الانسان وصوتية عند الخفاش ، وتدخل هذه المعلومات عن طريق نبضات الاعصاب الى المخ وكأنها شفرة تدخل إلى حاسوب الكتروني يترجمها على الفور بالشكل الملائم . ولعل الخفاش أيضا يستخدم معلوماته الصوتية للهدف نفسه الذي نستخدم فيه معلوماتنا البصرية ، فالصوت هو وسيلة لإدراك وضعه ، ووضع ما يحيط به في الفضاء ثلاثي الأبعاد ، وفي تحديد هذا الادراك باستمرار . وكما نبني نحن لأنفسنا نموذجا لعالمنا بواسطة الضوء ، فان الخفاش يبني نموذجه باستخدام الصوت . وعلى الرغم من اختلاف الوسيط الفيزيائي في الحالين ، الضوء والصوت ، فإنهما كما سبق القول يترجمان في النهاية إلى نبضات عصبية تصل إلى المخ . ومن المتفق عليه أن النبضات العصبية ذات طبيعة واحدة على الرغم من اختلاف المنبه الفيزيائي . ولعل اختلاف أطوال موجات



الصوت يلعب دورا وظيفيا في حياة الخفاش يماثل الدور الذي يلعبه البصر والألوان في حياتنا . وهكذا فإن الذكور مثلا تدرك الأصداء المرتدة لها من الاناث على أنها ذات لون بهي كثوب الزفاف . ولعل الاحساس الذي تكونه انثى الخفاش عن قرينها باستخدام صدى الصوت لا يختلف عن الاحساس البصري لأنثى البشاروش مثلا عندما ترى ذكرها .

قليل من التواضع

ويواصل دوكنز حديثه وسخريته فيتصور أن هناك عالما آخر يعقد فيه مؤتمر تجتمع به مخلوقات مثقفة شبه عمياء ، تماثل الخفافيش ، ويصاب المجتمعون بالذهول والوجوم إذ يسمعون من يقول لهم إن ثمة حيوانات تدعى « البشر » هي بالفعل قادرة على تلمس طريقها باستخدام تلك الأشعة غير المسموعة التي اكتشفت حديثا وتسمى « الضوء » وهي أشعة ما زالت موضع ابحاث وحسابات بالغة التعقيد ، وهؤلاء البشر ـ فيما عدا ذلك ـ ذوو امكانيات متواضعة ، وهم أقرب إلى أن يكونوا صما . والحقيقة أن لهم قدرة على السمع إلى حد ما ، بل وينبسون بهمهمات ودمدمات خفيفة بطيئة متثاقلة . على ان البشر لا يستخدمون هذه الاصوات إلا لأغراض بدائية كأن يتصل أحدهم بالآخر ، ولا يبدو أنهم قادرون على استخدامها للكشف حتى عن أكبر الاشياء حجما . وبدلا من ذلك ، فان لديهم عضوا على درجة كبيرة من التخصص ، يدعى العين ، يستخدمونه لاستغلال أشعة « الضوء » . والبشر يتمكنون على نحو رائع من استغلال الأضواء المعقدة التي ترتد من الأشياء عندما تسقط أشعة الشمس عليها . ولديهم أداة بارعة تسمى « العدسة » ، يبدو أن شكلها محسوب رياضيا بحيث تكسر هذه الأشعة الصامتة ، بطريقة يتم بها رسم خريطة ، فيها مطابقة بين الاشياء التي في العالم وصورتها التي تحسها طبقة من خلايا العين تسمى الشبكية . وخلايا الشبكية هذه قادرة بطريقة غامضة ، على ما يمكننا أن نقول إنه بمثابة جعل الضوء مسموعاً ، إذ أنها ترسل بمعلوماتها الى المخ الذي يترجمها . وقد بين علماء الرياضة عندنا ـ ونحن ما زلنا في مؤتمر الخفافيش ـ أن من الممكن نظريا عن طريق القيام بحسابات معقدة للغاية أن يقوم الواحد بالملاحة في العالم بأمان باستخدام أشعة الضوء هذه ، وذلك بالفعالية نفسها التي يستطيع بها الواحد منا أن يقوم بالملاحة بالطريقة المعتادة باستخدام الموجات فوق الصوتية ، بل إن ذلك يكون احيانا على نحو اكثر فعالية . ولكن من كان يعتقد أن الانسان ـ وضيع الملكات هذا ـ يستطيع القيام بحسابات كهذه ؟ !

ترى أي المؤتمرين أكثر تواضعا ، مؤتمر البشر عن الخفافيش ، أم مؤتمر الخفافيش عن البشر ؟ علماً بأن الخفافيش أيضا لديها ما قد يثير غرورها أكثر ، فهي قد زادت من فعالية وحساسية استخدامها للصوت بواسطة آليات متقدمة مثل مرشحات للصوت في الأذن ، وتغيير ذبذبات الموجات المرسلة مع تقطيعها ، على أن لهذه قصة أخرى . □

عندما ماتت سيدة معمَّرة من أهل ميزمونت في العام الماضي . أوصت لطبيبها الذي كان يعالجها طوال ٥٠ عاما بحقيبة كبيرة ، وعندما فتح الطبيب الحقيبة ، وجد أنها تحوي كل التذاكر التي كتبها لها طول هذه السنوات دون أن تصرف .

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



الزهو مَرض أولهُ نفاق



أطفال للبيع

بقلم : خالد الفيشاوي*

وقف تاجر الأطفال البرازيلي في قفص الاتهام يدافع عن نفسه قائلا :

« بودي أن أبيع مليون طفل يحلمون بطعام وأسرة ومأوى »

ونحن لا نعتقد أن نوع الحكم الذي صدر على هذا التاجر يهمنا بقدر ما يهمنا هذا اللون المرعب من التجارة . تجارة بيع الاطفال !

لم تكن الأم مارلين حالة نادرة في البرازيل ، كانت تسكن كوخا من الكرتون في مدينة الأكواخ القذرة التي تحيط بالعاصمة ريودي جانيرو ، ولديها سبعة أطفال مات أحدهم ، وشرد خمسة ، ولم يبق سوى رضيع في انتظار الفطام كي يلحق بإخوته .

وتعتقد مارلين ـ على عكس المنظمات الدولية ـ أن تنظيم النسل عمل لايناسب إلا الأغنياء ، كما أنها لاترى عيبا أو جرما في بيع الأطفال ، بل تدعو لأطفالها ليلا ونهارا أن تأخذهم أسرة غنية تعتني بهم .

وقد يعتقد بعض أن مارلين ستنال جانبا من الحظ إذا مابيع أطفالها إلى أسرة غنية ، لكن كلا ، فحلم مارلين منزه تماما عن الأغراض ، حتى إن لم يكن كذلك ، فالمؤسسات الدولية الضالعة في تجارة الأطفال لن تمنحها شيئا .

كما أن مارلين اعتادت ألا تطمع لنفسها في شيء من هذه الدنيا ، وإن كانت تأمل أن يصادف أطفالها حظ أقل قسوة .

* كاتب من القطر العربي المصري .



على أي حال ، لم تكن مارلين حالة نادرة فى البرازيل ، ولا كان أطفالها ، فالبرازيل لديها سبعة ملايين طفل مشرد ، يهيمون فى شوارعها شبه عراة ، ويفترشون أرصفتها فى الليل ، على الرغم من ان معظمهم لم يتعد عمره خمس سنوات ، وإن آباءهم وأمهاتهم أحياء ، لكنهم لايستطيعون إطعامهم ، ناهيك عن رعايتهم .

أولاد الشوارع

من هؤلاء الأطفال المشردين سواء فى البرازيل أو بيرو والسلفادور وكولومبيا وغيرها تشكلت فى أمريكا اللاتينية سوق دولية واسعة لبيع الأطفال . وبالطبع لم يكن المشترون من شعوب العالم الثالث ـ باستثناء « اسرائيل » التي يبدو أن مستوطنيها ، أصبحوا أهم المشترين للأطفال ـ بل كانوا من أمريكا وكندا والمملكة المتحدة ، والمانيا الغربية ، فتلك الدول الغنية تنتهج سياسات تنظيم النسل ، والتحكم فى الزيادة السكانية ، بشكل لايفي بحاجة الراغبين ممن لم يسعدهم الحظ في الانجاب بتبنى طفل من أبناء مجتمعاتهم ، وباءت محاولاتهم للتبنى بالطرق الرسمية بالفشل ، فقد ينتظر المرء أكثر من عشر سنوات كي يتبنى طفلاً .

ولكن لم الانتظار ، وبلدان أمريكا اللاتينية تعاني من فائض فى الأطفال ؟ !

وقد اعتاد هؤلاء فى السنوات الاخيرة أن يتوجهوا إلى الباراجواي بوصفها أهم مراكز التوزيع ـ وليس الانتاج ـ ليلتقوا بمندوبى مبيعات مزارع الأطفال ، وفى المعتاد يكون المندوب محامياً ، فهو الأقدر على إنهاء الأوراق « الرسمية » الخاصة بالتبني ، واستخراج تذاكر وتصاريح السفر اللازمة .

مزارع الانتاج

وفي العادة يطلب المشتري طفلا حديث الولادة ، وتلك مشكلة ، فأولاد الشوارع لا يصلحون للبيع والشراء ، فمعظمهم قد جاوز العامين من عمره ، و٧٥٪ من المشترين يريدون طفلا يسهل إعداده وتربيته وترويضه ، فلابد أن يكون حديث الولادة ، لمّا يُبد بعد أي مظهر من مظاهر الادراك .

لذلك فقد اتجه تجار الأطفال للسلب والنهب ، فمثلا ، سرق من مستشفيات توليد الأطفال في ريودي جانيرو ١٥٠ وليدا خلال شهر واحد .

وهناك شكل آخر وهو الأكثر شيوعا ، حيث تنتشر المزارع التي تتردد عليها بنات الهوى إذا حملت إحداهن ، ولم تتخلص من حملها ، فتنال المأوى والغذاء مقابل الاحتفاظ بالجنين ، وحين تلد تتركه للمزرعة نظير مبلغ من المال لايتجاوز في العادة مائة دولار .

وحين ذاع صيت تلك المزارع ، شرعت النساء الفقيرات الحوامل في بيع حملهن لهذه المزارع ـ بدلا من التخلص منه ـ مقابل الغذاء والدولارات المائة .

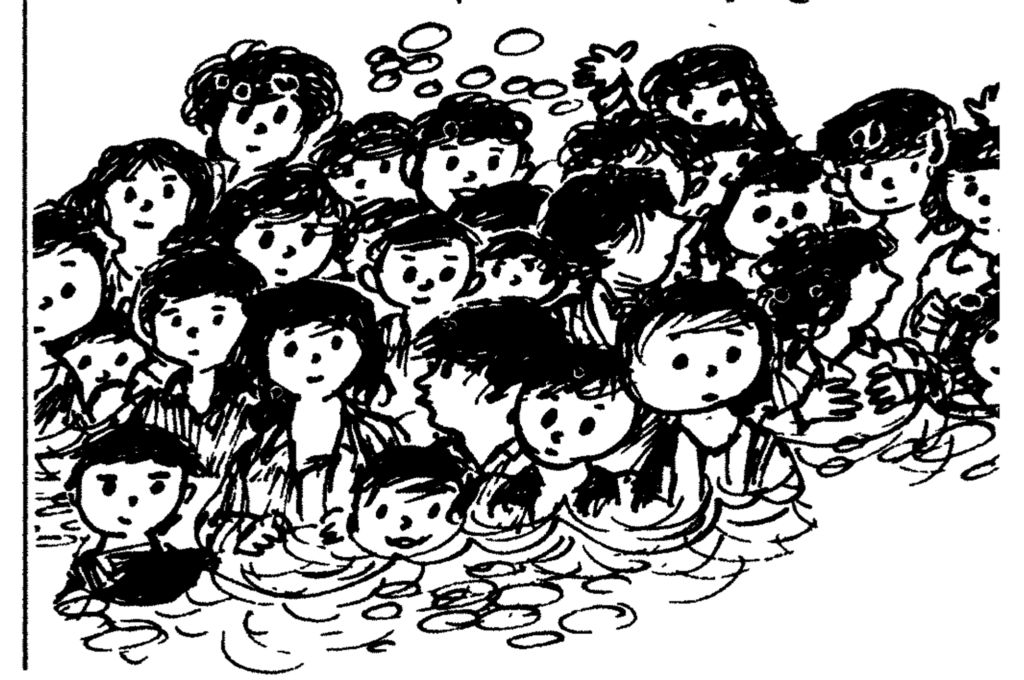
وتدر مثل تلك المزارع أرباحا ضخمة لأصحابها ، فعلى سبيل المثال كان (بيريرا) يربح سنويا من هذه التجارة أكثر من مليون دولار .

ولم يكن بيريرا تاجرا كبيرا ، أو شهيرا ، بل كان مجرد واحد من التجار ، قبض عليه ، لأن حكومات أمريكا اللاتينية لابد أن تقبض على أحد هؤلاء التجار من حين لآخر وتحاكمه ، وتعلن بذلك عن إدانتها لتلك التجارة . وأيضا كي لا يتقاعس بقية التجار عن دفع الرشاوي والأتاوات اللازمة لإغماض عين الشرطة عنهم .

على أي حال فقد قبض على بيريرا . فعرف عنه أنه كان محاميا بدأ نشاطه عام ١٩٨٢ حين باع طفلا لامراة « إسرائيلية » . وخلال عامين باع ١٥٠ طفلا حديثي الولادة ، وبذلك بدأ في الانطلاق ، وأصبح معدل مبيعاته يقترب من ٢٠٠ طفل سنويا مقابل ثمانية آلاف دولار امريكي للطفل الواحد وبصافي ربح يبلغ ستة آلاف دولار .

وبعد أربعة أعوام ، أي عام ١٩٨٦ ، هجر بيريرا المحاماة ، ليتفرغ لإدارة المزرعة .

والطريف أن زبائن بيريرا الذين ضبطوا في المزرعة خلال عملية إلقاء القبض عليه ، دافعوا عنه بحمية ، فعلى حد قولهم ، لم يكن بيريرا استغلاليا . فقد استقبلهم استقبالا حسنا ، ولبى طلباتهم بأسعار معقولة ، قياساً لأسعار بقية التجار . ولذلك فقد أقام مزرعته في عامين كاملين في حين أسس معظمهم تجارة عريضة في بضعة أيام .



ووقف المحامي بيريرا يدافع عن نفسه قائلا « إنني أشعر بالفخر ، وأود أن أبيع مليون طفل يحلمون بطعام وبأسرة ومأوى وسيارة ، ولايجدون كل ذلك في البرازيل » .

التقسيم الدولي للتجارة

وعلى ما يبدو فإن تجارة الأطفال لم تدرك بعد قارتي اسيا وأفريقيا ، فالغربيون بوصفهم المشترين الوحيدين يشترطون أن يكون الطفل أبيض البشرة ، فهم لايزالون يكنون احتقارا عنصريا للملونين ، سودا كانوا أم صفرا ، ولعل تلك النزعة العنصرية هي التي حجبت أولاد الفقراء في آسيا وافريقيا عن الدخول إلى سوق الأطفال .

لكن هؤلاء أصابهم نوع آخر من التجارة ، كما تشير تقارير منظمة اليونسكو ، ففتيات عدد من دول آسيا وافريقيا وأيضا أمريكا اللاتينية أصبحن هدفا للدعارة ، وخاصة في تايلاند والفلبين وكينيا والبرازيل ، ففي تايلاند وحدها ٨٠٠ ألف طفلة ، وفي مدينة بومباي الهندية وحدها عشرة آلاف طفلة ، تتراوح أعمارهن بين السادسة والرابعة عشر .

وتشير دراسة أجرتها مجلة دير شبيجل الألمانية في اكتوبر ١٩٨٩ ، أن حجم التعامل في تجارة الأطفال غير الشرعيين بلغت ٥ مليارات دولار عام ١٩٨٦ .

وتتركز مناطق التصدير في تايلاند وسريلانكا والفلبين وريودي جانيرو وساوباولو والسنغال وكينيا ، أما مناطق الاستيراد فتتركز في دول أوربا الغربية وامريكا .

وعلى سبيل المثال ، يتم القبض سنويا في المانيا الغربية على ألف طفلة عاهرة تايلاندية .

وكما كانت تجارة الأطفال غربية ، كانت دعارة الاطفال أمريكية النشأة ، فقد بدأت في الستينيات في تايلاند والفلبين على أيدي الغزاة الامريكان حين كان هناك ٤٠ ألف جندي امريكي في تايلاند ، و٢٠ الفا في القواعد العسكرية الامريكية في الفلبين .

الخوف من الايدز

وبعد انتشار خطر الايدز بدأ الزبائن يبحثون عن فتيات أصغر سنا لأنهن أكثر ضمانا وأمنا . . واتسعت دعارة الأطفال بفعل هذا الهلع .

لكن الايدز انتقل بدوره وانتشر حتى بين تلك الفتيات ، حيث تؤكد التقارير أن مراكز انتشار الايدز تتطابق ومراكز الدعارة في العالم . □

منطق

ذهبت السيدة الى بائع الصحون وقالت له :
أريد عشرة أطباق جديدة ، لأني حطمت كل الأطباق القديمة على رأس زوجي .
فسألها البائع في دهشة : وهل مات زوجك ياسيدتي ؟
فأجابت قائلة :
يالك من غبي ! وما حاجتي الى الأطباق إذن لو كان قد توفي ؟ !



الزَّهو

مَـرَضٌ أَوَّلُـهُ نفَـاق

بقلم :
الدكتور علي الوردي



لا يخلو مجتمع بشري من المجاملات التي تبرز المحاسن وتتجنب ذكر العيوب . ولكن من الخطأ أخذ هذه المجاملات على أنها الرأي الحقيقي في الشخص . ومن ثم الزهو بها على الآخرين . فالزهو في النهاية مرض نفسي منتشر في مجتمعاتنا . ولا ينفي وجوده أن المصابين به هم أناس عاديون يعيشون معنا ونتعامل معهم يوميًا .

أقصد بالزهو تقدير الانسان لنفسه أكثر مما هي في حقيقتها ، وبشكل مغالى فيه إلى الدرجة القصوى .

ونذكر هنا أن كل إنسان في الغالب ميال إلى تقدير نفسه أكثر مما هي في حقيقتها ، وهذا ما يمكن أن نسميه « الخداع الذاتي » . إلا أن هذا الخداع يوجد عند كثير من الناس على درجة ضعيفة ، بحيث يستطيع صاحبه أن يسيطر عليه ، ويكتمه عن الآخرين قليلاً أو

كثيراً . أما المصاب بداء الزهو فإن الخداع الذاتي يكون فيه أشد مما يمكن كتمه أو السيطرة عليه .

ولكي نفهم داء الزهو يجب أن ندرس المجالات التي اعتاد الناس عليها في حياتهم الاجتماعية لما بينها وبين الخداع الذاتي من ارتباط،فالمجاملات لا يمكن أن يخلو منها مجتمع من المجتمعات البشرية ، والبشر لا يستطيعون أن يتعايشوا على أساس من المصارحة التامة فيما بينهم ، ولا بد لهم من أن يخفوا عواطفهم الحقيقية ، بعضهم تجاه بعض ويتظاهروا بخلافها . وفي هذا يظهر صدق الحديث النبوي القائل : « لو تكاشفتم لما تدافنتم » .

الواقع والخيال

وتبدأ المشكلة حين يسمع شخص ماالناس يمدحونه تحت تأثير المجاملات التي اعتادوا عليها ، فيتصور أنهم يذكرون الحقيقة الواضحة التي لا شك فيها . فهو لا يدري ماذا يقول الناس عنه في غيابه . إذ أنه قد اعتاد أن يذم غيره في غيابه .

ولكنه لا يتصور أن أحداً يغتابه على نحو ما يفعل هو تجاه الآخرين . أما إذا سمع عن شخص أنه ذمه في غيابه فإنه لا بد أن يتملكه الغيظ والحقد على ذلك الشخص ، ويعزو ذمه إلى الحسد أو اللؤم أو أي غرض سيء آخر .

ومن طبيعة العقل البشري أن لا يأخذ صور الأشياء كما هي في الواقع ، على نحو ما تفعل المرآة ، بل هو يلتقط نقاطاً معينة من الشيء المنظور ، ثم يكمل الصورة من خياله ، تبعاً لما يشعر به تجاه الشيء من حب أو كره .

وهذا هو ما يحدث للانسان عندما يأخذ صورة عن نفسه من خلال المدائح التي يوجهها الناس إليه في مجاملاتهم الاعتيادية ، ويبالغ فيها ، ثم يبني منها صورة زاهية عن نفسه ، وهو يظن أن هذه هي الصورة الحقيقية الموجودة في أذهان الناس عنه ، إذ أنه لا يعرف ما يقول الناس عنه في غيابه ـ كما أشرنا آنفاً .

هذه هي طبيعة الانسان السوي في الغالب ، وهي كثيراً ما تساعد الانسان على تحمل أعباء الحياة . فلو أن الانسان أدرك حقيقة نفسه كما هي في الواقع ، أو لو أنه عرف ماذا يقول الناس عنه في غيابه ، لسئم الحياة وامتلأ تعاسة وألماً .

وبعبارة أخرى : إن خداع الذات في درجته العادية المعتدلة ضروري للانسان ، إذ يجعله مقبلاً على الحياة متحملاً أعباءها .

لكن خداع الذات يكون في المصاب بداء الزهو أكثر مما ينبغي ، وهو الذي يمكن أن نطلق عليه مصطلح « الزهوي » .

والشخص « الزهوي » يعيش عادة في عالم رائع من الأحلام والأوهام . فهو يطرب للمديح وينتعش به ، أو ينتهز أي فرصة له لكي يتحدث عن نفسه بصورة مباشرة أو غير مباشرة . وتراه يمشي فخوراً متبختراً يتخيل أن الناس ينظرون إليه بإعجاب وإكبار .

إن الشخص الزهوي لا يكاد يقوم بعمل ، أو يتكلم في مجلس ، أو يلقي خطاباً ، حتى يسرع إلى الناس يسألهم عن جودة ما فعل ، وهو يتوقع منهم أن يظهروا له الاعجاب المنقطع النظير . وهم لا بد أن يجاملوه في جوابهم ، فيتخيل هو أن إعجابهم ليس بدافع المجاملة ، بل بدافع الصراحة من أجل الحق الذي لا شك فيه .

إن الناس يؤدون التحية للزهوي مثل ما يؤدونها لغيره ، ولكنه يتخيل أن تحيتهم له تحمل معنى خاصاً . وهو إذا دخل في مجلس وقام الحاضرون له كما يقومون لغيره ، ظن أن قيامهم له يختلف في مغزاه عن قيامهم لغيره . وإذا تكلم نظر إلى الجالسين حوله ليرى تأثير كلامه فيهم ، وكيف نال إعجابهم ،

وقد يأتي بالنكتة ويكون أول الضاحكين لها ، وحين يضحك الحاضرون مجاملة له يظن أنهم « ماتوا » من الضحك .

واذا كان الزهوي يعيش في مجتمع تتحجب نساؤه ويسود الفصل بين الجنسين ، كحال مجتمعنا في عهد مضى ، فإن الزهو يتخذ أشكالاً عجيبة . فالزهوي لا يكاد يلمح امرأة أو زمرة من نساء ينظرن نحوه حتى يخال أنهن وقعن تحت تأثير جماله الجذاب ، وتراه عند ذاك يتغنج ويتمنطق ، ويلقي النكات ظناً منه أن ذلك يزيد من تأثيره عليهن . وإذا دخل في مرقص شرقي خيل له أن الراقصات ، أو إحداهن على الأقل ، قد وقعت في حبائل غرامه . وعندما ينتهي وقت الرقص تجده واقفاً في باب المرقص متوقعاً أن تدعوه إحدى الراقصات إلى بيتها لشدة ما تشعر به من لوعة الهيام .

ولا حاجة بنا الى القول أن سعادة الزهوي تزداد أضعافاً حين يكون ذا جاه أو سلطة . فهو عند ذلك يحف به المتملقون والمتزلفون يزينون له عمله ويكيلون له الثناء بلا حساب ، فيزداد تحليقاً في عالم الخيال السعيد .

الشخص « اللازهوي »

هناك أفراد من البشر قد يكون الزهو فيهم أقل مما ينبغي ، وهم الذين يمكن أن نطلق على الواحد منهم مصطلح « اللازهوي » . فهم على النقيض من الزهويين الذين يكون الزهو فيهم أكثر مما ينبغي .

إن الشخص اللازهوي يعرف نفسه ، ويعرف الدنيا حوله فهماً قريباً من الواقع ، غير أنه في الوقت نفسه لا يسعد في الدنيا كما يسعد فيها الشخص الزهوي .

إن اللازهوي يعرف أن الناس لا بد أن يذموه في غيابه مثلما يذمون غيره ، لأنه يعلم أن ليس في الدنيا شخص نجا من لسان الناس أبداً . وهو كذلك يعرف طبيعة العيوب التي ينسبها الناس إليه ، ويتحدثون عنها في غيابه ، إذ هو يستنتجها من القيم الاجتماعية السائدة في محيطه ، ومن اللمحات الخفية التي يتغامز الناس بها عنه دون أن يفصحوا عنها علناً .

أضف الى ذلك أن الشخص اللازهوي لا يحب مدح نفسه أمام الغير ، كما لا يحب أن يسمع مدحاً من الغير أمامه . فهويعلم أن كلا الأمرين يؤديان إلى خفض مكانته الاجتماعية لا إلى رفعها . إن فهمه الواقعي للناس يجعله موقنا بأن الناس يستصغرون في أعماق نفوسهم من يمدح نفسه أو من يبتهج بمدح غيره له .

إن اللازهوي كغيره من الناس يرغب في ارتفاع مكانته في نظر الآخرين ، لكنه يرغب في الارتفاع الحقيقي لا الارتفاع المصطنع .

خلاصة القول أن اللازهوي هو أقدر على النجاح في الحياة من الزهوي ، ولكنه أقل منه سعادة ، وهذه هي الحياة ، فإنك لن تستطيع أن تكون فيها ناجحاً وسعيداً في آن واحد !

إن الحياة في واقعها كما قلنا ثقيلة يصعب تحملها ، ولا غنى للانسان عن شيء من أوهام الزهو لكي تساعده في تحمل عبء الحياة . ولكن الانسان يصعب عليه أن يقف وسطاً بين الإفراط والتفريط في أوهامه الزهوية . فهو إما أن يحلق عالياً في عالم الخيال الزاهي فيفقد الصورة الحقيقية للحياة ، أو يهبط فيه فيخسر السعادة !

مقياس الزهو :

قد يسأل سائل : هل هناك مقياس نستطيع أن نقيس به درجة الزهو في الشخص الذي نتعامل معه ؟

لم يظهر حتى الآن مقياس من هذا النوع ، وربما ظهر في المستقبل القريب أو البعيد . فالعلم في تطور مستمر يوماً بعد يوم .

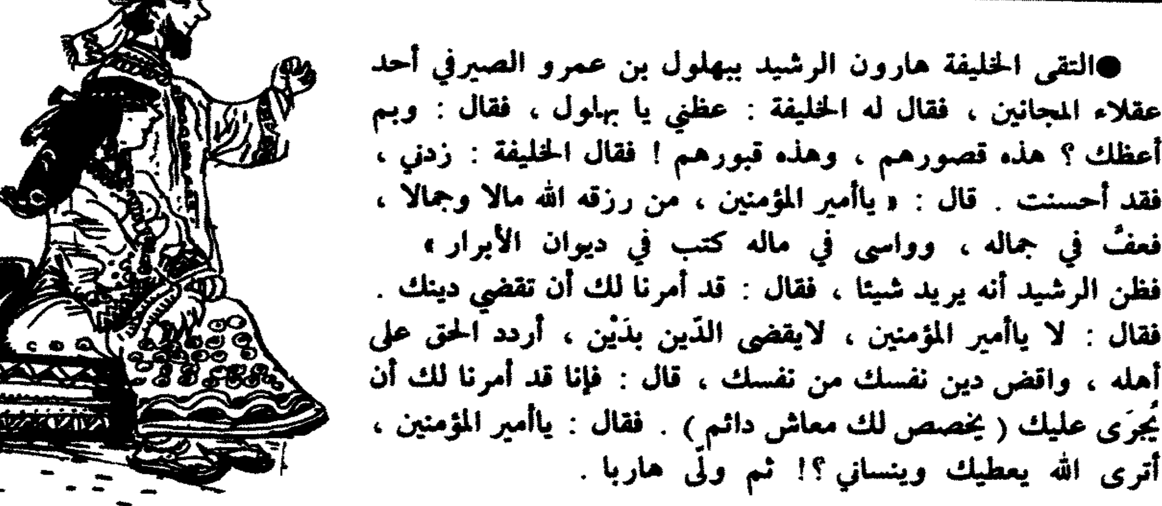
يبدو لي أن هناك طريقة بسيطة يمكن استخدامها في قياس درجة الزهو لدى أحد الأشخاص . وهذه الطريقة قد لا تكون علمية ، لكنها ذات جدوى لنا من الناحية العلمية في بعض الأحيان .

إنك إذا أردت أن تعرف درجة الزهو في أحد الأشخاص فحاول أن تمدحه أمام الناس بخصلة محمودة ليست فيه ، ثم انظر ماذا يفعل تجاه مدحك ، هل ينتشي به أم لا ؟ وإلى أي حد يسترسل فى الانتشاء بالمديح ويطلب المزيد منه ؟

حاول أن تزيد من مدحك له خطوة بعد خطوة حتى تصل في مدحك درجة غير معقولة ، إن الشخص السوي من الناس سوف يدرك بعد وقت قصير أو طويل أنك تجاوزت الحد في مدحه ، وهو قد يغضب منك ويردعك عن مواصلة المدح أما الشخص الزهوي فهو لا يقف عند حد في قبول المدح والانتشاء به مهما كان مبالغاً فيه أو غير معقول .

جاء في أحد الأمثال العربية القديمة قولهم : « من مدحك بما ليس فيك فقد ذمك » وهذا المثل يتضمن حكمة نفسية بليغة . فالذي يمدحك بخصلة ليست فيك إنما هو يريد الضحك عليك أو خداعك واستغلالك ، ومعنى هذا أنه يستهين بعقلك ويعدك غبياً يسهل خداعك .

إن اللازهوي حين يسمع أحداً ينسب إليه خصلة محمودة ليست فيه يدرك حالاً الغرض الكامن وراء هذا المدح المزيف . أما الزهوي فإن خداعه الذاتي يمنعه من ذلك ، ولذا فهو يبش للمادح ويقربه إليه ، ويشجعه على زيادة المديح بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . □



لايُقْضَى الدَّيْن بدَيْن



●التقى الخليفة هارون الرشيد ببهلول بن عمرو الصيرفي أحد عقلاء المجانين ، فقال له الخليفة : عظني يا بهلول ، فقال : وبم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم ! فقال الخليفة : زدني ، فقد أحسنت . قال : « ياأمير المؤمنين ، من رزقه الله مالا وجمالا ، فعفَّ في جماله ، وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار » فظن الرشيد أنه يريد شيئا ، فقال : قد أمرنا لك أن تقضي دينك . فقال : لا ياأمير المؤمنين ، لايقضى الدّين بدّيْن ، أردد الحق على أهله ، واقض دين نفسك من نفسك ، قال : فإنا قد أمرنا لك أن يُجرَى عليك (يخصص لك معاش دائم) . فقال : ياأمير المؤمنين ، أترى الله يعطيك وينساني ؟! ثم ولّى هاربا .

هو.. هي

براءة

لا أدري سر ضعفي الخاص تجاه الأطفال، لكنني أعترف به، وأعدّه ميزة لي، ودليلاً على سويتي النفسية والأخلاقية. وعندما أنجبت ابني ـ ابننا ـ الوحيد، كانت فرحتي غامرة، وسعادتي لا توصف على الرغم مما اكتنف العملية من صعوبات جعلتني غير قادرة على الإنجاب مرة أخرى.

وقد زادني هذا حباً لولدي، وهو حب امتزج بخوفي عليه، وعطفي على وضعه، حيث قدر له أن يكون أضعف من هذه الكائنات البريئة الصغيرة التي تملأ الأرض حباً وحناناً لكونه وحيداً لا اخوة له.

ولأن حالتنا المادية ميسورة، فإنني لا أتردد في تلبية رغباته وطلباته مهما كانت، ما دام يمكن توفيرها بالمال. وفي اعتقادي أن من حقه ذلك، فتلبية طلبات أبنائنا هي إحدى الطرق في التعبير عن حبنا لهم، وعطفنا عليهم.

لكن زوجي كثيراً ما يرى غير ذلك، ولأنه نشأ في أسرة كثيرة العدد، فإنه لا يقدر المشاعر الخاصة للطفل الوحيد. وبسبب ظروف عمل زوجي، فإن علاقتي بابني توثقت كثيراً، مما جعله أكثر التصاقاً بي، وأكثر انفتاحاً معي، ومع أنه يحب أباه حباً كثيراً، إلا أنه يفضل أن يبوح لي برغباته وطلباته، بدلاً من التوجه إلى أبيه الذي لا يستجيب لهذه الطلبات في بعض الأحيان.

وعلى الرغم من أنني أعتقد أن المسألة طبيعية، إلا أن زوجي يرى أن تلك مشكلة يجب حلها ومعصلة تحتاج إلى علاج. وعندما أطلب منه شيئاً لابننا، فإنه يبدأ بحديث حفظته من كثرة تكراره، أنه يجب أن يأتي بنفسه طالباً ما يريد، وأن عليه أن يعرف أن هناك طلبات يمكن تلبيتها، وأخرى صعبة، وغيرها مستحيلة. ولا يتردد أحياناً في اتهامي بأنني أفسده بحبي وحناني، وبوقوفي إلى جانبه في كل طلباته كما يقول.

إن منزلنا هادىء، وأسرتنا تكاد تخلو من المشاكل، لكن هذه المشكلات الصغيرة تتجدد مع كل طلب لابننا، لتملأ جو أسرتنا بغيوم سرعان ما تزول، لكنها تبقي بعض الكدر حتى بعد اختفائها.

.. هي

دهـــاء

لم أجادل يوماً في أن الأطفال كائنات صغيرة وجميلة وبريئة ، غير أن هذا ليس كل شيء عن هذه المخلوقات التي تمثل بشكل ما طفولة البشرية ، ومستقبلها الآتي ، فهي إلى جانب هذا ، مخلوقات فيها الكثير من الدهاء والخبث والشقاوة . وفي اعتقادي أن إحدى هذه الصفات لا تلغي الصفات الأخرى بالضرورة . وهنا جوهر المشكلة بيني وبين زوجتي التي لا ترى فيهم غير صفات البراءة والضعف والجمال .

فبسبب ظروف خاصة ، نشأت بين زوجتي وابننا الوحيد علاقة من نوع خاص ، جعلته « ابن أمه » كما يقال ، لكن علاقتي به لم تكن على الدرجة نفسها من القوة والثقة ، لذا فقد اعتاد أن يتوجه لأمه لتكون الوسيط بيني وبينه في أي من طلباته التي لم تكن جميعها مقبولة أو ضرورية ، وعند ذلك تقع المشكلة التي تتكرر منذ سنين .

فالطفل أمام تعلق والدته به ، و « العلاقة » الخاصة بينه وبينها ، أصبح كثيراً ما « يستغل » تلك العلاقة للحصول على أشياء قد تكون ضارة أو غير متوافرة أو قد تثير حساسية ما في المنزل ، وعندما أقف موقف الرافض لتلبية هذا الطلب ، تبدأ زوجتي مرافعة حفظتها مع الأيام حول الأطفال



الصغار الأبرياء ، وضرورة تلبية أي شيء يطلبونه وعدم حرمانهم ما دام ذلك ممكناً . فإذا تمسكت بموقفي الرافض ، ازداد ابني التصاقاً بأمه وازدادت هي حماساً لمطالبه ، ولكي لا تتكون في ذهنه عني صورة الأب الذي لا يلبي مطالب ابنه على الرغم من قدرته على ذلك ، فإنني أتراجع عن موقفي ، وأذعن لطلب الابن ودموع والدته .

إن المشكلة ليست في قدرتي على منح ابني ما يريد مما يمكن شراؤه بالمال ، بل في تعود الابن على هذا الأسلوب الذي يشبه الابتزاز للحصول عليه ، وفي أسلوب والدته الذي يحمل تعبيراً أكيداً على حبها لابنها ، لكنه يحمل في الوقت نفسه مخاطر افساده . وهي مشكلة تتجدد مع كل طلب لابننا ، تتبناه والدته مشفوعاً ببعض الدموع . □

.. هو



التسمم بالفيتامينات

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزاله

قبل عام ١٩١٢ لم يكن أحد يألف اسم « فيتامين » إلى أن طرحه رجل بولندي كان يعمل كيماويا اسمه كاسيمير فونك ، قناعة منه أن هذه المواد ماهي إلا أنواع من المواد الأمينية الحيوية ، ولكن من جاءوا بعده كشفوا خطأ الرجل ، واكتشفوا أنها مواد عضوية يحتاجها الجسم لسلامته ، واستمرار وظائفه الحيوية ، ولها أدوار تؤديها تماما كالزلال والدهن والكربومائيات (الكربوهيدرات) ولكنها ليست مواد أمينية تضاهي الأحماض الأمينية التي يتركب منها الزلال .

قبل صاحبنا فونك ، كانت أمراض نقص الفيتامينات معروفة وكان الناس يجتهدون في علاجها دون معرفة بقضية الفيتامينات ، فالعشى الليلي مثلا يتسبب عن نقص فيتامين أ ، أو هو الفيتامين المضاد للعشى . وكان أهل الصين يداوونه بالكبد والعسل وروث الوطواط ، وبعض من مسحوق الأصداف البحرية ، حتى قيض الله له من يكشف أن الكبد بما يحويه من فيتامين أ هو السر في سحر الشفاء هذا ، ولما كان هذا الفيتامين هو أول ما اكتشف من هذه العائلة ، فقد حظي باسم الحرف الأول من حروف الهجاء ، فيما آثر بعضهم أن يسميه باسم المرض الذي يتسبب عن نقصه وهو الفيتامين المضاد للعشى أو الفيتامين المضاد لتقرح القرنية . بينما ذهب فريق ثالث إلى اطلاق التركيب الكيماوي لهذا الفيتامين ، فقالوا عن فيتامين (أ) إنه (اكزيرفثول) وهو أصل تركيبه الكيماوي ، وسموه فيما بعد باسم ريتينول .

وهكذا توالت قصص اكتشاف بقية عائلة الفيتامينات ، وكان يحلو لأصحاب الشأن في اكتشافها أن يطلقوا عليها حروفا أبجدية ، فكانت مجموعة فيتامين (ب) المركب وكان فيتامين ج وكان فيتامين د ، وك ، وي ، وهـ ، وهكذا .

وكانت أسماء الأمراض التي يؤدي إليها نقص هذه الفيتامينات مثل البري بري ، والاسقربوط ، والكساح وهكذا ، وكانت أسماء التيامين ، وحامض الاسكوربيك والكالسيفرول

لكل من فيتامين ب وفيتامين ح وفيتامين د بالتوالى

واكتشف العلماء بعد ذلك أن الـميـتـاميـات تنتمي إلى احدى عائلتين ، العائلة الأولى هي الميتاميات التى تدوب في الدهون ، وتوحد دائبة فيها مثل فيتامين (أ) وفيتامين (د) والعائلة الثانية هي

الفيتاميات التي تدوب في المـاء ، من أمثـال فيتـامـين (ب) ، وفـيتـامـين (ح) وهكذا

غير أن الماعة التي ترسبت في أدهان الناس أن الفيتاميات تتعدى حدود الضرورة إلى حدود إعـطاء القـوة والمناعـة والصحـة ، لهذا أفـرطـوا في استعمالها وأسرفوا في تعاطيها بعد أن ألبسوها ثوب العقاقير المقوية

وعمت بين الناس صرعة جديدة لاتـقـبـل جدلا ولا نقاشا أطلق عليها الأطباء اصطلاح جنون الفيتاميات ، بل وانضم فريق من الأطباء إلى هذه التظاهرة الطبية ، يروجون لها عـنـدمـا كانـوا يصفـون الفيتاميات لكل مريض يعاني من ضعف أو هزال أو سوء شهية ، دون التبصر في سبب الضعف أو الهزال أو سوء الشهية ، بحجة مغلوطة هي أن الفيتاميات إذا لم تفد فإن زيادتها لاتضر



إن هذه القاعدة الخاطئة كانت سر مأساة الفيتاميات التي انزلقت إليها أقدام العامة والخاصة من الناس ، وأثرى من أرباحها من له المصلحة في ترويج هذه الشائعة

لم يبحث أحد في بداية الأمر في مصير من يلتهم من الناس فيضا من الفيتاميات يزيد عن حاجة بدنه اليومية ، ولكنهم عـنـدمـا بحثـوا وجـدوا أن الفيتاميات التي تدوب في الدهون لها خاصية تراكمية ، بمعنى أنها تتراكم في الجسم ، ويسبب هذا التراكم ضررا ربما يفوق ضرر نقصانها

أما الفيتاميات التي تدوب في الماء ، فهي تنصرف من الجسم بعد - أن يأخذ الانسان حاجته - منها مع ما يطرده من سوائل سواء كان منها البول أو العرق أو البراز ، فهي إذن تبذير واهدار لامبرر له ولافائدة ترجى منه لأنها لا تخزن

ومن هنا بدأ الفيتامين يتخذ منعطفا آخر في قراطيس الطب هو البحث عن أضرار فيضه بمثل ما بحث من قبل عن أضرار نقصه

قد لايجوز لنا أن ندعي المـعـرفـة بكـل أسرار علم الفيتاميات ، فما زلنا في مهد المعرفة ، ونقف على شاطىء بحرها ، فالأيام القادمة كفيلة بفيض من العلم يروي ظمأ العطش الطبي فنجد حججا لما نقول تمثل حقائق ثبتت للعلماء بما لايدع مجالا للشك فيها

التسمم بفيتامين أ

عرفت جماعات الاسكيمو من سكان أرض الجليد في الأصقاع الشمالية منذ قديم الزمان أن الافراط في التهام أكباد الدببة لايتسم بالحكمة لأنه يسبب لهم الدوار والصداع والقيء مع تقشر الجلد

وقد أثبت تحليل كبد الدب أنه يحتوي من فيتامين أ (الريتنول) ٦٠٠ مليجرام في كل مائة جرام منه ، و تشير الحوادث التي تتواتر عن تسمم الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تناولهم كميات من زيت كبد الحوت الغني بفيتامين (أ) تتراوح ما بين ٣٠ - ١٥٠ مليجراما يوميا على مدى عدة شهور مع أن الجرعة التي يحتاج لها الانسان تتراوح ما بين مليجـرام ومـليجـرام ونصف من هذا الفيتامين في اليوم الواحد

لهذا فإن الشخص المتسمم بهذا الزائد من فيتامين أ الذي يتراكم في الأنسجة الدهنية من جسمه يعاني من فقدان الشهية والتوتر، وجفاف الجلد مع حكة وسقوط الشعر، وتضخم في الكبد يصاحبها صداع وآلام عضلية عامة لاتشفى إلا بوقف تعاطي هذا الفيتامين.

التسمم بفيتامين د :

ربما كان التسمم بهذا الفيتامين هو الأشهر والأعم والأكثر انتشارا لكون هذا الفيتامين أرخص الفيتامينات وأكثرها وفرة، لأن أشعة الشمس تعمل على تحويل مادة في الجلد من شقيقات الكوليسترول إلى فيتامين (د). أضف إلى هذا مايترسخ في قناعة الأمهات من أن تقوية عظام الطفل يتولى فيتامين (د) مهمتها لذا فانهن يقدمن أشربة وسوائل غنية بهذا الفيتامين تفوق حاجة أطفالهن أضعافا مضاعفة.

وهنا يصاب الطفل بفقدان الشهية وربما يعاني من القيء والغثيان مع عطش شديد وكثرة في إدرار البول.

ويعقب هذا امساك متعاقب مع إسهال، والطفل غالبا يشكو الصداع والآلام العامة والخوف والهلوسة التي ربما انتهت بالغيبوبة ومن تشريح من ساء حظهم وانتهت مأساتهم بالوفاة وجدوا أن هناك تكلسا منتشرا في جدران الأوعية الدموية وقنوات الكلى وحويصلات الرئتين وجدار القلب مع اضطراب في تكلس العظام مما ذهبت إليه آمال الأمهات وقناعتهن، ولا حل هذه المعاناة سوى انقاص جرعة الفيتامين أو وقفه كليا.

التسمم بفيتامين ج :

لقد ذهبت قناعة أغلب الناس إلى أن هذا الفيتامين مفيد، فإذا لم يكن فإنه لن يضر وخاصة في منع نزلات البرد، وشفائها، حيث يدعم المناعة ويقوي المقاومة، فهو ذو نفع كبير في مقاومة العدوى وإيقاف النزيف. لهذا أسرفوا في تناوله بقدر يفوق عشرات المرات بل آلاف المرات بخمسة وسبعين مليجراما، فتناولوا ألفا أو ألفين أو ربما ثلاثة آلاف من المليجرامات في اليوم الواحد.

غير أن هذا الفائض كله يصرفه الانسان في البول، فهو اهدار للمال والجهد والطاقة دون مبرر أو فائدة لكن الأسوأ من هذا الاهدار هو احتمال الضرر بعد أن ثبت أن فيتامين (ج) يشجع على ترسب أملاح اكزالات الكالسيوم في قنوات الكلى ومنه تتكون الحصيات، وتبدأ المشاكل البولية الأخرى.

ومن هنا يبدأ الضرر حين نريد المنفعة

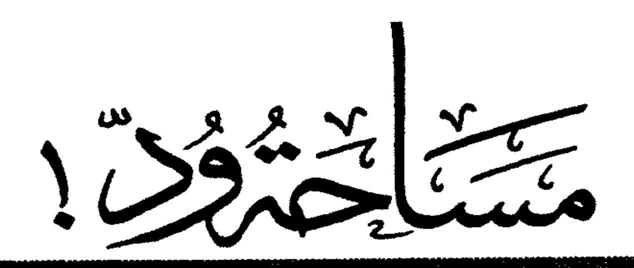
ربما يطول الحديث عن أضرار الفيتامينات الأخرى ولكن الأيام ستكشف لنا الوجه القميء الكالح لها بعد أن رأينا الوجه الباسم، وكما نظنه الوجه الوحيد للفيتامينات. □



الإلهام علاج الألم

● إن الفكاهة تؤدي دورا رئيسا في صميم حياتنا النفسية، لأنها باستبعادها لإمكانية الألم، تتخذ مكانها إلى جوار غيرها من الطرق البشرية الفعالة التي ابتدعها الانسان ليتهرب من قسر الألم. الفكاهة نوع من الإلهام، والإلهام نتاج اللاشعور.

« سيجموند فرويد »



لحظة

بتردد ، يدخل مختار القرية بلباسه الفلسطيني التقليدي إلى مكتب الحاكم العسكري « الاسرائيلي » في المنطقة ، ويطلب الإذن بإقامة حفلة زفاف ابنه وبتردد ، وبعد مفاوضات ومشاورات ، يعطيه الحاكم العسكري الإذن ، فيبدأ « عرس الجليل » ، معلنا منذ البداية عن موقف عبثي ووضع شاذ ، تتطلب فيه حاجة إنسانية خالصة مثل الزواج تصريحاً من الحاكم العسكري

ويستمر الشريط المليء بالأحداث والرموز والإشارات ، فى تقديم متعة فكرية وبصرية كبيرة ، مسلطا الضوء على فكرة تتبلور طوال أحداث الفيلم ، لتبدو في النهاية ساطعة كالنهار

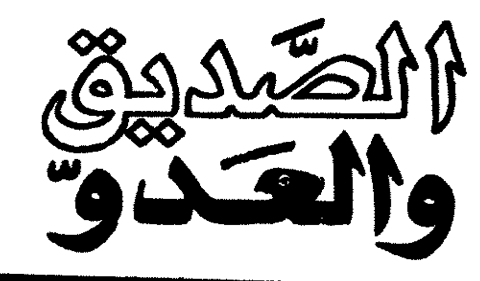
فالفيلم الذى تجري أحداثه في ذلك الجزء من فلسطين الذي أطلق عليه في ما بعد « اسرائيل » يعرض صورة للمجتمع الفلسطيني الذي أصبح أقلية داخل وطنه

في لحظة ، يطل فيها الحاضر المحاصر بجنود الاحتلال وبنادقهم وأوامرهم العسكرية على تاريخ العذاب الفلسطيني الطويل عذاب الاحتلال البريطاني وعذاب الاحتلال التركي وعذاب يمتد حتى نقطة قصية في تاريخ هذا البلد الجريح . لكنها مع ذلك لحظة فرح ، وسعادة ، وخصب وإعمار . لحظة رقص وغناء وبعث لموروث قديم قدم الأرض الصخرية التي يقام عليها العرس . لحظة تفكر واستذكار وإعادة تجميع لشظايا التاريخ على ألسنة المدعوين الذين اختلفت أعمارهم وتعددت اهتماماتهم ، وتنوعت أسباب حضورهم « لعرس الجليل » ، فارتسمت عبر حواراتهم ومن خلال حركاتهم ورقصهم وغنائهم ومشكلاتهم الطارئة صورة مجتمع عريق راسخ الجذور ، ولكن هذا كله يتم تحت رقابة الحاكم العسكري وبنادقه ورجاله الذين فشلوا على الرغم من قوتهم وبأسهم وأسلحتهم في إفساد هذه اللحظة الحميمة ، وبقوا متناثرين في ثنايا المكان في حالة عجز تام ، وتحولت هيئاتهم باللباس العسكري وبأسلحتهم ونظراتهم وسلوكهم إلى أشياء تثير الضحك والاستغراب ، بدل أن تثير الخوف والرعب وانقسم المشهد « الفيلمي » تماما إلى مجتمع مدني ، ومجتمع من الجنود المدججين بالسلاح والأوامر وقوانين المنع

لحظة واحدة تفصل بين الحقيقي والزائف ، وبين الباقي والعابر بين المتصل والمستمر بقوة الناس والتاريخ والطبيعة ، وبين الحاضر المفروض بالقمع والسلاح وقوة البأس .

صورة واحدة في فيلم جميل وممتع قال فيه مخرجه الشاب ميشيل خليفي الكثير مما عجز عن قوله آخرون . □

صلاح حزين



شعر: عبدالعليم القباني

عـداتي وصحبي لاغبار عـليكـمُ
لكل امرىءٍ في الحب رأيٌ ومذهبُ

يـرى بي صـديقي خُـلَّةً يستسيغـهـا
فـيصفـو لـه نهرُ الـودادِ ويشـربُ

ويعجبني مـنـه الـوفاءُ فـأنْثـني
وكـل أحـاسيسي قـلوبٌ تـرحـبُ

وتـنـظرُ لي عـينُ الـعـدوِّ بـريـبـةٍ
فـكـل الـذي أُبـدِيـه زيفٌ مُعيَّبُ

رأى بي مـالا يـرتـضيـه فـعَـافـني
لـه رَأْيُـهُ، فـالحقُّ يُـرْضي وَيُغْضِبُ

وهـل يجمعنَّ الـنـاس رأيٌ مـوحـدٌ؟
وكيف؟! وهـذا الكون شرقٌ ومغربُ؟

قـد اختلفـوا حتى عـلى الله ذاتـه
لـكـل فـريـقٍ فـيـه رأيٌ مُشـعَّـبُ

فـدعهم لما قـالـوا، ودعني أقـلْ لهم:
حيـاتيَ ملكي فـاسـتريحـوا أو اتْعَبُـوا

تـسـامحتُ حتى لم أدَعْ ليَ صـاحـبـاً
لـه حجـةٌ يُـدْلي بهـا حـينَ يَعْتِبُ

ولم أحـمـلِ الحـقـدَ المُـضـلل إنـني
رأيتُ الـرضى أهْـدَىٰ سبيـلاً وأرْحَبُ

عـرفتُ طـريقي في الحيـاةِ فـردني
إلى سلمـهـا إني إلى الحـبِّ أقـرَبُ



بقلم : الدكتور حسنٍ عباس

□ صفحة لغة

من جنايات الترجمة

بات في حكم المؤكد أن كل نهضة فكرية أو علمية لا بد أن تسبقها حركة ترجمة ناشطة وتبدأ بها . ففي العصور القديمة قامت حركة ترجمة فاعلة مؤثرة من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية ، بعد أن أفل نجم الحضارة الاغريقية ، وبدأ الرومان في احتلال مواقعها ، يقطع بذلك تاريخ الآداب الكلاسيكية وآثارها الباقية .

وقد ظلت أوربا قابعة في ظلام العصور الوسطى حتى سقوط القسطنطينية وانتقال كنوزها من آثار الإغريق والرومان الى مدن الغرب الكبرى آنذاك ، فنشطت حركة ترجمة واسعة ، تنقل تلك الآثار إلى اللغات الأوربية الحديثة النشأة : الانجليزية والفرنسية والأسبانية ، ومعظمها قد تطور عن اللاتينية ، وعن عناصر من لهجات أو لغات اقليمية ، تتفاوت في التأثير والقوة من بلد الى آخر .

إن التأريخ لعصر النهضة يبدأ بأعمال الترجمة تلك ، واستقرار المنقولات وهضمها وتمثلها ، ثم تأثيرها في تكوين العقل الأوربي .

وللترجمة في تاريخ الثقافة العربية تجربتان لهما شأن عظيم ، فان ما شاع في العصر العباسي بعامة ، وفي عصر المأمون بخاصة من انتشار واسع للترجمة ، قد أدى إلى اتساع في المعارف ، وتطور في أساليب التفكير ، وتعاظم في شأن الفرق الاسلامية التي تقوم مناهجها على الجدل ، ثم أدى الى ازدهار النحو وظهور البلاغة

وما كان ليحدث كل ذلك إلا بترجمة المنطق وبعض الآثار الفلسفية القديمة وشيوعها في الفكر والثقافة . وما يقال عن التجربة الأولى يقال أيضاً عن التجربة الثانية التي بدأت منذ أواسط القرن التاسع عشر وتعاظم شأنها حتى يومنا هذا . لكن الترجمة حين يتولى أمرها من ليس أهلاً لها فإنها تجر في أذيالها آثاراً سلبية لا تخطئها العين المبصرة . ونحن هنا بصدد ذكر أمثلة على ما تحدثه الترجمة المتعجلة السيئة من جناية على أساليب الكتابة العربية ، وشيوع ألفاظ في اللغة ليست من طبيعتها . من ذلك مثلاً :

ادخالهم كلمة « ضد » وهي ترجمة حرفية لكلمة against في اللغة الانجليزية ، وكلمة Contre الفرنسية ـ كما لاحظ الدكتور محمد عبدالرحمن مرحبا في مقال له في مجلة اللسان العربي . فيقولون « ثار ضد الاستعمار » « واكتسب مناعة ضد المرض » ، « وهذه وثيقة للتأمين ضد الأخطار » « وينبغي أن يسعى الآباء لتلقيح أبنائهم ضد الجدري » « وصدر حكم ضد فلان » وأشباه هذه العبارات ، وكان استعمال كلمة ضد على النحو الذي تقدم قد أثار انتباه عالم لغوي معاصر هو المرحوم الدكتور مصطفى جواد ، فضرب لاستعمالاتها أمثلة متعددة ، وقال بهذا الصدد : يستعملون الضد منصوباً دائماً كأنه ظرف منصوب على الظرفية ،

والضد في العربية صفة حشرها التطور مع الأسماء ، وهي مشتقة من « ضاده يضاده مضادة وضداداً أي خالفه » ، ثم اشتق منه صفة أخرى انتقلت الى الاسمية أيضاً وهي « ضديد » ، وهاتان الصفتان المنتقلتان إلى الأسماء قياسيتان من « فاعل وفعيل » . . كالشبه والشبيه ، والمثل والمثيل ، والند والنديد ، وما إلى ذلك ، فكيف يكون الاسم المعرب كسائر الأسماء مقصوراً على الظرفية منصوباً أبداً ؟ فالصواب أن يعرب بأنواع الاعراب الثلاثة للأسماء ، وتثنيته وجمعه فيقال « هذا تلقيح ضد الجدري » برفع ضد ، أي ضم الدال ، و « بدءوا تلقيحاً ضد الجدري » بنصب ضد ، و « ابتدءوا بتلقيح ضد الجدري » بجر الضد ، « وهذان تلقيحان ضدا المرضين » « وهذه تلقيحات أضداد الأمراض المتوطنة » . فاعتراض الدكتور مصطفى جواد ينصب أولاً على نصب كلمة « ضد » على افتراض الظرفية ، في حين يرى هو أن الكلمة ينبغي أن تكون معربة تحمل علامات الاعراب الثلاث ، ثم يلي ذلك اعتراضه على الأسلوب الذي يلجأ الى استعمال هذه الكلمة ، وهو أسلوب يجافي طرائق التعبير العربية ، فإذا قلت « فلان يحارب ضد الاستعمار » فُهِم من قولك إن هذا المحارب مخالف للاستعمار أي أنه يحارب في جبهة أخرى غير الجبهة المعادية للاستعمار ، والصواب في مثل هذه الحالة أن يقال « شن حرباً على الاستعمار » ، وهو يكن عداء للبخل والبخلاء ، و « أعلنت الجمعية العامة احتجاجها على أساليب القمع . . « وقد » تم تلقيح الأطفال من الجدري ، وصدر حكم بحق فلان أو عليه .

ومن الأساليب المجافية للأسلوب العربي في الكتابة إضافة أكثر من مضاف إلى مضاف إليه واحد . كقولهم : « احتدام واشتداد القتال » والصواب في ذلك ، « احتدام القتال واشتداده » وهذا يعني إضافة مضاف واحد إلى المضاف إليه ، وإضافة المضاف الآخر الى ضمير يعود على المضاف إليه الأول .

ومن الأساليب الفجة الأخرى والشائعة في الصحافة العربية بخاصة ، تأخير الفاعل وتقديم ضميره عليه كقولهم « في تصريح له عن الأحوال الأمنية في لبنان قال رئيس الوزراء . . » والصواب في مثل هذه الحالة أن يقال « قال رئيس الوزراء في تصريح له عن الأحوال الأمنية في لبنان أن . . . » . وقد أخذ بعضهم يحاكي أسلوب الكتابة باللغة الانجليزية فجمع في جملة واحدة عدداً من الأسماء المعطوفة دون أن يتبع كلاً منها بحرف العطف « و » فقالوا : ذهب أحمد الى المكتبة واشترى كتباً ، أقلاماً صوراً ، ودفاتر ! وهذا أسلوب لا يصح الأخذ به في العربية لما فيه من فجاجة وعجمة وإن أخذت به لغة أخرى .

وقد أشار الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا إلى التخفف من استعمال المفعول المطلق في الترجمة فحلت محله كلمات أو عبارات أخرى مترجمة مثل : « بصورة »« بشكل » ، « لدرجة » ، « على نحو » ، فيقال مثلاً : « مشيت بصورة جيدة » « سار بشكل حسن » ، « إن قامته طويلة لدرجة أنها تسد الباب » ، « ظهر على نحو واضح » . وهذه كلها استعمالات جافية والأصح منها أن يقال : « مشيت مشياً جيداً » ، و « سار سيراً حسناً » « وإن قامته طويلة طولاً يسد الباب . . » « وظهر ظهوراً واضحاً » . أي باستعمال المفعول المطلق للدلالة على الحالات التي ذكرت .

هذه بعض جنايات الترجمة على أسلوب الكتابة العربي ، وهناك منها غير قليل . □

● صوت الحق لا يسمع أحيانا بالأذن ولا بالرأس ولكن بالقلب .
(توفيق الحكيم)



□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الأبناء

قصيدة من نحن ؟

للشاعر نسيب عريضة

هو أحد الشعراء المهجريين ، ولد في حمص بسوريا ، ونشأ فيها نشأته الأولى ، فأحب ربوعها وفتن بمغانيها . كان في مدينة حمص آنذاك مدرسة روسية فالتحق بها عندما بلغ سن دخول المدرسة ، ثم انتقل منها الى دار المعلمين الروسية بمدينة الناصرة في فلسطين ، وكانت هذه الدار احد معاهد التعليم التي يؤمها الطلبة في بلاد الشام بعد اتمام الدراسة في المدارس الابتدائية الروسية التي انتشرت في عدد من المدن الصغيرة والكبيرة . فقد كان في بسكنتنا ـ مسقط رأس ميخائيل نعيمة ـ مدرسة روسية ابتدائية ما ان فرغ نعيمة من الدراسة فيها حتى غادرها إلى دار المعلمين الروسية في الناصرة . ويبدو أن الفرص كانت متاحة لمن ينهي تعليمه في هذه الدار ، لكي يوفد في بعثة دراسية الى روسيا . هذا ما كان من أمر نعيمة ، أما نسيب عريضة فلم يوفد الى روسيا ، بل هاجر الى نيويورك في عام ١٩٠٥ في ظل الضائقة الاقتصادية التي كانت تعاني منها بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فضلا عن أسباب أخرى لا يتسع المجال لذكرها .

أسس في مستقره الجديد (نيويورك) مطبعة « الأتلنتيك » في عام ١٩١٢ ثم أصدر مجلة الفنون التي تولت نشر كتابات المهجريين وأشعارهم قبل تأسيس « الرابطة القلمية » . تزوج من نجيبة حداد شقيقة كل من عبد المسيح وندرة حداد .

انصرف بكل همته الى الصحافة والأدب ، فقد وجد فيهما الملاذ الوحيد بعد أن خابت مساعيه في حياته العملية . وقد كان لذلك أثر على معيشته التي اتسمت بالعسر والضيق اللذين بلغا به عيش الكفاف . صدر له في عام ١٩٤٦ ديوانه الوحيد « الأرواح الحائرة »وفي هذه السنة مات كذلك .

غلبت على شعر نسيب عريضة نغمة الحزن واليأس ، وكان من تأثيرهما عليه انطواء على الذات وشعور بالوحدة والعزلة ، على أنه قاوم ولم يستسلم ، فقد حاول في عدد من قصائده أن يظهر نفسه قوياً صامداً ، زاهداً بعطف الناس .

أما في قصيدته التي نحن بصددها فهو ينعى على الانسانية إخفاق مسعاها ، وجفاف حاضرها ، وعجزها عن أن تبعث الأمل في الغد ، ولم يعد يرى فيها غير السأم والضجر !

أبت لياليـنا الطرب
والعمر ولىَّ وذهب
هِمنا بربّات الحجال
وكم ظفرنا بالوصال
من نحن ؟ هل نحن بشرْ
أم نحن من طين الضجر
سارت قوافل الأملْ
وغادرتنا في الطلل
هل نحن ظلٌ قد ثوى
أو نحن في الأرض نوى
آمالنا مثل الرمالْ
يخلقُها ليل الخيال
أدار في القوم الكؤوس
ساقي سعودٍ ونحوس
من نحن ؟ لسنا كالملا
لا نظهر الشكوى ولا
ذاقت على نطع الشقا
فلا تبالي باللقّا
الجسم عن عجز خضع
تنضو سلاحاً ما قطع
الشمس مالت للغروب
طوبى لقلب في القلوب
سيّان صبح ودجى
سيّان يأسٌ ورجا

واستوحشت أيامنا
ولم ننل منه المنى
فما قنعنا بالصور
فلم نجد فيه الوطر
نحيا ونغضي حالمين
لسنا كباقي العالمين
ونحن في القفر هجود
نبحث عمّا لا يعود
والدّوح ولىّ وغبر
قد نبذت بعد الثمر
عطشى وتسقيها البحار
يمحقها نور النهار
لما رآنا نائمين
فما برحنا ظامئين
ولا نبالي بالعجاب
لنا على الدّهر عتاب
أرواحنا ما لا يطاق
ولا تُبالي بالفراق
والروح ما زالت تثور
على عدوٍ لا يخور
لا بأس فليأت الظلام
يرجو من الليل المرام
عند الذي عاف العيان
عند الذي ملَّ الزمان



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مايو ١٩٩٠ م

ماهية الحروب الصليبية

تأليف

الدكتور قاسم عبده قاسم

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٤٩

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

وزارة الإعـــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه ☐ شيكا
☐ حوالة مصرفية بمبلغ ....
☐ مجلة « العربي »　☐ مجلة « الكويت »　☐ سلسلة « من المسرح العالمي »
☐ مجلة « العربي الصغير »　☐ مجلة « عالم الفكر »　☐ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
☐ كتاب العربي .



مكتب المتابعة
المسابقة الرابعة في البحث الاجتماعي

في إطار الاحتفال بالأسبوع العربي الخليجي الرابع للعمل الاجتماعي المقرر إقامته في الجمهورية العراقية خلال شهر آيار / مايو ١٩٩١م.
يسر مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية أن ينظم المسابقة الرابعة في البحث الاجتماعي.

تهدف المسابقة إلى دعم حركة البحث العلمي وتشجيع المهتمين والمشتغلين في الحقل الاجتماعي والإنمائي على الإسهام في دراسة القضايا والمشكلات والظواهر الاجتماعية في الدول العربية الخليجية السبع، الأعضاء في المجلس، وهي (الإمارات العربية المتحدة والبحرين والمملكة العربية السعودية والعراق وسلطنة عمان وقطر والكويت).

شروط المسابقة:

١- أن يعالج البحث إحدى القضايا أو الظواهر الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي الخليجي، خاصة في المجالات التالية:
- قضايا الطفولة.
- مشكلة تعاطي المخدرات.
- دور الإعلام في التنشئة الاجتماعية.

٢- يمكن أن يغطي نطاق وموضوع البحث الدول العربية الخليجية السبع مجتمعة أو دولة واحدة أو أكثر.

٣- أن تتوافر للبحث الشروط العلمية المرعية، وأن يكون من إعداد باحث واحد فقط.

٤- ألا يكون البحث قد فاز بجائزة في مسابقة أخرى.

٥- ألا يكون المتقدم قد فاز بجائزة من جوائز هذه المسابقة من قبل.

٦- ألا يكون البحث قد تم تقديمه من قبل لنيل درجة علمية أو أكاديمية.

٧- ضرورة أن تتم الإشارة إلى ما إذا كان البحث المقدم قد تم نشره أو عرضه على أحد المؤتمرات.

٨- ألا يزيد عدد صفحات البحث عن ١٠٠ صفحة فولسكاب وأن يرفق به ملخص من حوالي ٥٠٠ كلمة.

٩- أن ترفق بالبحث، وبشكل منفصل نبذة تعريفية موجزة عن صاحب البحث.

١٠- آخر موعد لاستلام بحوث المسابقة هو ١٠ صفر ١٤١١هـ الموافق ٣١/٨/١٩٩٠م.

١١- لمكتب المتابعة حق نشر البحوث الفائزة وفقاً لما يراه مناسباً.

١٢- ترسل ثلاث نسخ من البحث مطبوعة أو مكتوبة بخط واضح، باللغة العربية، وذلك على العنوان التالي: مكتب المتابعة - ص.ب ٢٦٣٠٣ - البحرين.

١٣- سوف تمنح لأصحاب البحوث الثلاثة الفائزة في المسابقة شهادات تقديرية وجوائز مالية موزعة كالتالي:
- الجائزة الأولى: (٢٠٠٠) دينار بحريني، ما يعادل (٥٣٠٠) دولار أمريكي.
- الجائزة الثانية: (١٥٠٠) دينار بحريني، ما يعادل (٣٩٠٠) دولار أمريكي.
- الجائزة الثالثة: (١٠٠٠) دينار بحريني، ما يعادل (٢٦٠٠) دولار أمريكي.



الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										
٢			■						■	■
٣						■				
٤						■			■	
٥				■	■			■		
٦		■								
٧					■					
٨			■			■			■	
٩		■								
١٠							■			■

كلمات أفقية :

١ ـ طبيب هجر الطب ليصبح أكبر كاتب روسي للقصة القصيرة .

٢ ـ حشرة صغيرة تمتص دم الإنسان ، الاسم الأول لشخصية بوليسية شهيرة .

٣ ـ ذهبوا ، وضعن حوله سوراً .

٤ ـ الاسم الثاني للشخصية البوليسية السابقة ، ثغر .

٥ ـ بمعنى ثمين مبعثرة ، تجدها في تاب ، « ماذا » في العامية .

٦ ـ طبيب بريطاني اشتهر برواياته البوليسية (دون الاسم الأوسط) .

٧ ـ الواحدة من النبات ، الاسم الثاني لطبيب وكاتب مسرحي ألماني كبير .

٨ ـ تألّم ، الكلام المنصوص ، تجدها في ريف .

٩ ـ طبيب بريطاني وكاتب وروائي ومسرحي كبير من كتاب القرن العشرين .

١٠ ـ يشتركن ، مثيل .

كلمات عمودية :

١ ـ طبيب وشاعر مصري كبير شَدَت له سيدة الغناء العربي بحذف حرف متكرر .

٢ ـ تدافع ، قهوة .

٣ ـ جمع حلقة ، ثلثا سارَ .

٤ ـ جمع وَشْم ، وضعوا شيئاً برسم التأمين .

٥ ـ اسم لقبيلة عربية مشهورة غير مرتّبة ، عاهة في السمع .

٦ ـ جعله عاجزاً عن الحركة ، من الأتْراب ، أصدر رنيناً .

٧ ـ طبيب وكاتب روائي مصري كبير .

٨ ـ مكوك متفرّقة ، يسحر معطوفة .

٩ ـ رجل كبير السن ، بَسَطَ .

١٠ ـ اعطاهم وقَدّم إليهم .

● حل مسابقة العدد الماضي ـ ابريل ١٩٩٠م .

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ا	م	ب	ا	ي	ر	س	ت	ى	ت
٢	ل	و	ق	ر	■	غ	■	ر	م	س
٣	ح	د	ا	ء	ق	ب	ا	ب	ل	■
٤	م	■	ر	ب	■	و	ل	■	س	ت
٥	ر	ا	ي	■	ا	ا	ك	ل	ه	ا
٦	ا	ل	ا	م	ل	■	ر	و	ا	ج
٧	ء	م	■	ل	م	س	ك	ن	■	م
٨	■	و	د	ى	ع	ه	■	■	ش	ح
٩	ق	ص	ر	ا	ل	م	ت	و	ك	ل
١٠	ا	ل	ك	ر	ن	ك	■	د	ر	■

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٧٨

مايو ١٩٩٠

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الصفاة . الرمز البريدي 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٧٨ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ يونيو ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين ـ ورقم الهاتف إن وجد .

أرفق هذا الكوبون بالحل
كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٧٨

١
اكتشف الانسان الذهب قبل اكتشافه سائر المعادن ـ أكثرها إن لم نقل كلها ـ ترى ما الكمية التي تم تعدينها من الذهب ، منذ العصر الحجري حتى الآن ؟

× مليون طن
× ١٠٠,٠٠٠ ألف طن
× ٥٠,٠٠٠ ألف طن

٢
من المعروف أن « أهل الحجر والمدر » هم أهل البادية الذين يسكنون مواضع الأحجار ، فما المقصود بقولهم الحجران » ؟

× اللؤلؤ والمرجان
× الفضة والذهب
× موقع بالقرب من مكة ، كثرت فيه لحجارة وكثر فيه أهل الحجر والمدر .

٣
اعتقد العلماء في القرون الوسطى وبعض المحدثين بوجود حجر الفلاسفة وبقدرة هذا الحجر على تحويل المعادن الرخيصة وخاصة الرصاص إلى ذهب ، فأي العلماء الثلاثة أخذ بهذا الاعتقاد ، وأجرى العديد من التجارب ليصنع الذهب من معادن رخيصة ؟

× اسحق نيوتن
× البرت اينشتاين
× نيقولاوس كوبرنيكوس

٤
الذهب ذهبان ، ذهب أصيل ابريز ، وذهب زائف كذاب ، أي المعادن التالية يخدع الناس فيبدو لهم ذهبا حقيقيا وما هو إلا ذهب البلهاء كما يسميه أهل الغرب ؟

× الحديد
× النحاس
× البلاتين

٥
تستأثر جنوب افريقيا بنصيب الأسد من مجموع ما تنتجه دول العالم من

الذهب . . ترى كم تبلغ نسبة حصتها من المجموع ؟
× حوالي ٧٠٪
× حوالي ٥٠٪
× حوالي ٢٥٪

٦

شهد القرن التاسع عشر ما يعرف بهجمات الذهب حين أقبل الناس وتدفقوا على منطقة معينة اكتشف فيها الذهب الخالص من الشوائب بكثرة سمحت للأفراد العاديين بتعدينه ، وقد اشتهرت ثلاث من تلك الهجمات : هجمة جنوب افريقيا ، وهجمة استراليا ، وهجمة كاليفورنيا ، ترى ما هو ترتيب هذه الهجمات الزمني ؟
× هجمة كاليفورنيا كانت الأولى ، وهجمة جنوب افريقيا كانت الأخيرة .
× هجمة جنوب افريقيا كانت الأولى وهجمة كاليفورنيا كانت الأخيرة .
× الهجمة الاولى كانت هجمة استراليا ، وجاءت بعدها هجمة جنوب افريقيا فهجمة كاليفورنيا .

٧

من المعروف أن مكتشفي الذهب والفضة الأوائل قبضوا مبالغ مجزية لقاء تنازلهم للدولة عن حقهم فيما اكتشفوه ، وكان المبلغ الذي قبضه مكتشف الذهب في استراليا ١٠,٠٠٠ آلاف جنيه ، وقبض مكتشف الفضة في كندا ٣٠,٠٠٠ ألف دولار ، ترى كم كان المبلغ الذي قبضه مكتشف الذهب في جنوب افريقيا سنة ١٨٨٦ ، علما بأن الكنوز اكتشفها جورج هاريسون بلغت أضعاف كنوز استراليا وكندا .
× قبض جورج هاريسون ١٠٠,٠٠٠ مئة ألف جنيه .
× قبض جورج هاريسون مليون جنيه
× قبض جورج هاريسون - ,١٠ جنيهات

٨

الذهب والرصاص والنحاس ، أي المعادن الثلاثة هو الأكثر قابلية للطرق ؟

٩

عرفنا أن جنوب أفريقيا هي الدولة الاولى في تعدين الذهب ، فأي الدول التالية هي الأولى في تعدين الفضة ؟
× الهند
× الصين
× المكسيك

١٠

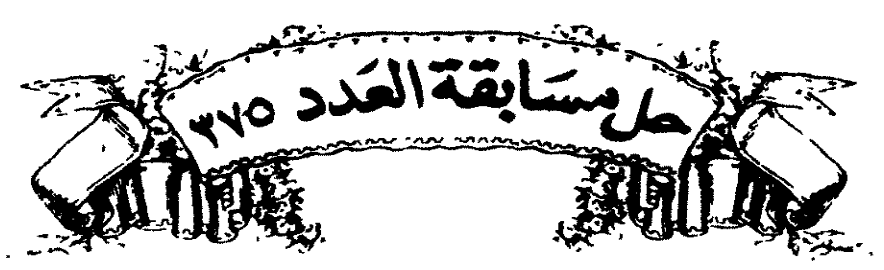
يذكر التاريخ أن حدادا من الحدادين رأى ثعلبا في الغابة فقذفه بفأسه ، يريد قتله ، ولكنه أخطأ الثعلب وأصاب شيئا آخر خيرا منه ، حيث أصاب كنوزا من الفضة بل عروقا من هذا المعدن الثمين ، تعد أغنى عروق فضة في العالم كله ، لقد حدث ذلك سنة ١٩٠٣ . . ولكن أين حدث ؟
× المكسيك
× استراليا
× كندا

١١

من المعروف أن الأحجار الكريمة ، كالماس والزمرد ، لها درجة صلادة (أو صلابة) معينة يجري تحديدها وفق مقياس يعرف باسم موس ، ترى ما المقياس الذي تحدد به درجة صلادة المعادن الثمينة ؟
× مقياس موس نفسه يحدد الصلادة في الأحجار والمعادن الكريمة على السواء .
× لا ضرورة لتحديد صلادة المعادن الثمينة فقيمتها لا تعتمد على صلادتها ، كما هو الحال في الأحجار الكريمة ، لذلك افتقرت المعادن إلى مقياس للصلادة ، مقياس موس أو ما يشبهه .

١٢

يبلغ وزن (٥) قراريط من الماس جراما واحدا ، فكم يبلغ وزن (١٠) قراريط من الذهب ؟



فبراير ١٩٩٠

١

يذكر التاريخ أن أحد أمراء بني خالد أنشأ قلعة صغيرة ، حيث توجد الكويت حاليا ، وذلك في منتصف القرن السابع عشر ، وقد سميت تلك القلعة كويتا أو الكوت الصغير ، نظرا لأن لفظ كوت يعني في اللغة قلعة . وقد استخدم الأمير كويته هذا مستودعا للمؤن والذخيرة ، ومحطة يستريح فيها في أثناء رحلات القنص والغزو التي كان يقوم بها . ويذهب بعض إلى أن اللفظ برتغالي ، يعني مثل ما يعنيه في العربية ، أي الحصن . ويؤكد اخرون أن أصل اللفظ هندي ، وقد عرفت عدة مدن هندية باسم (قوت) مثل كاليقوت.

٢

١٢١ دينارا كويتيا في السنة هو ما يصيبه الفرد الواحد من سكان الكويت ، مما تنفقه وزارة الصحة الكويتية على الخدمات الطبية سنويا ، وذلك وفقا لإحصاءات سنة ١٩٨٥ .

٣

وقعت المعركة عند جبل وارة الذي يبعد نحو ٤٠ كيلومترا إلى الجنوب من مدينة الكويت ، لذلك كان الاسم الذي عرفت به هذه المعركة (يوم وارة)

٤

الأرض التي وقعت عليها معركة ذات السلاسل هي أرض الكويت ، عند كاظمة ، بدليل أن المعركة تعرف أيضا باسم « يوم كاظمة » . والمرجح أن كاظمة القديمة التي مازالت آثارها مطمورة في التراب ، تقع على مقربة من الشاطىء الشمالي لخليج الكويت ، على بعد خمسة أميال من الجهراء أما سكان كاظمة أيام معركة ذات السلاسل فكانوا من قبيلة إياد وقبيلة بكر بن وائل .

٥

جزيرة العكاز الصغيرة العاشرة في الكويت لم يعد لها وجود ، لأنها ارتبطت بميناء الشويخ الكبير ، وأصبحت جزءا من أرصفته ،

٦

بلغت تكاليف إنشاء المبنى الذي يشغله معهد العالم العربي في باريس (٢,٥) مليونين ونصف مليون دولار ، دفعتها دولة الكويت كلها

أما نفقات التشغيل فتتحمل الأقطار العربية نصفها . وتبلغ حصة الكويت من هذا النصف ١٤٪ ، وتتحمل الدولة المضيفة (فرنسا) النصف الآخر من نفقات التشغيل . ويضم المعهد مكتبة كبيرة ، لايقل عدد كتبها عن ١٠٠,٠٠٠ مجلد ، وقد جرى افتتاح المعهد في ١٩٨٧/١١/٣٠م

٧

تدل احصاءات سنة ١٩٨٠ على أن عدد أسرة المستشفيات في الكويت بلغ ٥٢٣٩ سريرا ، ومعنى هذا أن ما يخص كل ١٠٠,٠٠٠ من مجموع السكان هو ٤٢٠ سريرا ، وذلك وفقا للإحصاءات المذكورة .

٨

شركة البترول الكويتية العالمية التي أنشأتها في لندن مؤسسة البترول الكويتية ١٩٨٣ ، هي التي تملك محطات

البنزين الـ (١١٠٠) الموجودة في بريطانيا ، وهي التي تحمل العلامة الفارقة (O٨)

٩

سلسلة « عالم المعرفة » لاتشتمل على أي قصص ، فهي تستبعد مبدئيا الانتاج الإبداعي ، قصة كان أو مسرحية أو شعرا . ولاتشتمل إلا على الدراسات العلمية والفنية والإنسانية ، وكذلك الدراسات الأدبية واللغوية ، مؤلفة كانت أو مترجمة وقد بلغ مجموع ماصدر من السلسلة التي يولي إصدارها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب (١٥١)

١٠

يبلغ مجموع الطلاب في كل مدارس الكويت ٤٢١،٨٦٥ طالبا ، ويبلغ مجموع المدرسين الذين يتولون تدريس أولئك الطلاب ٢٨،٨٥٨ مدرسا ، وهكذا فإن نسبة الطلاب إلى مجموع السكان تزيد عن ٢٠٪ ، ونسبة الطلاب إلى المدرسين تبلغ (١٨،١) طالبا لكل مدرس واحد في المرحلة الابتدائية ، ولاتزيد عن (١٢،٨) في المرحلة الثانوية

١١

أحدث المصافي الكويتية لتكرير النفط هما المصفاتان الموجودتان في الدانمرك وفي هولندة ، وقد آلت ملكيتها (سنة ١٩٨٣) إلى شركة البترول الكويتية العالمية التي أنشأتها مؤسسة البترول الكويتية سنة ١٩٨٣ ، واختارت لندن مقرا لها

١٢

ايكاروس اسم تعرف به إحدى جزر بحر إيجة ، وهو الاسم الذي عرفت به جزيرة فيلكا أيام حملة الاسكندر الأكبر وبعدها (٣٣٤ - ٣٢٣ ق م) ، وكان الاسكندر قد أطلق هذا الاسم عليها ، ثم إن اسم إيكاروس يطلق أيضا على أحد الكويكبات - الكواكب الصغيرة المتناثرة في الفضاء - فقطر هذا الجرم لايزيد عن (١،٥) كيلومتر واحد ونصف كيلومتر

الفائزون في مسابقة العدد ٣٧٥ فبراير ١٩٩٠

الجائزة الأولى علي صالح اسماعيل الحميلي / محافظة الأنبار - الجمهوريه العراقيه

الجائزة الثانية محمد بن محمد بن أحمد المجاهد/صنعاء - الجمهوريه العربيه اليمنيه

الجائزة الثالثة العادلي مصطفي / فاس - المملكه المغربيه

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - محمد مروان جميل مراد/ ثانوية الصباح للبنين - دوله الكويت

٢ - مريم عبدالرحمن أيوب/ مدينة الرستن - الجمهوريه العربيه السورية

٣ - عبدالوهاب بن الزهراوي بن صالح/ صواف - المحص - الجمهوريه التونسيه

٤ - سليمة مصطفاوي/الجزائر العاصمة - الجمهوريه الجزائرية

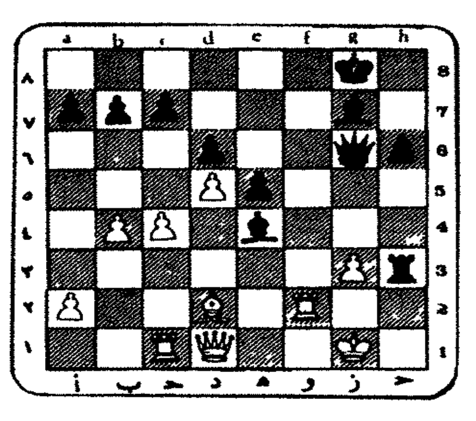
٥ - حمودة قاسم حمودة/ المدينة المنورة - المملكه العربيه السعوديه

٦ - عبدالوهاب بن رسول بحص البلوشي / مسقط - سلطنة عمان

٧ - سهير ابراهيم عياد/ بورسعيد - جمهورية مصر العربية .

٨ - مراد عبد الغني محمود/ عمان - المملكة الأردنية الهاشمية





استطاع بطل العالم الحالي حاري كاسباروف أخيرا الفوز ببطولة كأس العالم للشطرنج ، ومعها جائزة البطولة الضخمة البالغة مائة ألف دولار ، وكان كاسباروف قد تعادل مع خصمه اللدود أناتولي كاربوف على بطولة العالم ، في آخر مرحلة من مراحل البطولة الست المنعقدة في مدينة سكلفتيا السويدية التي سبقتها مراحل حمس ، أقيمت في عدد من المدن الأوربية وقد حقق البطلان السوفيتيان أفضل النتائج في جميع مباريات كأس العالم إد احتل كاسباروف إما المرتبة الأولى ، أو المرتبة الأولى بالمشاركة، في كل من مباريات بلفورت ، ركجافيك ، برشلونة وسكلفتيا ، في حين حاءت انتصارات كاربوف في برشلونة وسكلفتيا بعد حسارته أمام مواطنه سالوف ومواطنه ليوبو حفك في مبارتي بلفورت وروتردام ، ولولا فوز ليوبوجفك بالمركز الأول بكسر التعادل مع كاسباروف وفوز البطل الهولندي حان تيمان على كاربوف في مباراة أمستردام ، لكان احتكار البطلين ك ـ ك للمراتب الأولى في كأس العالم كاملا

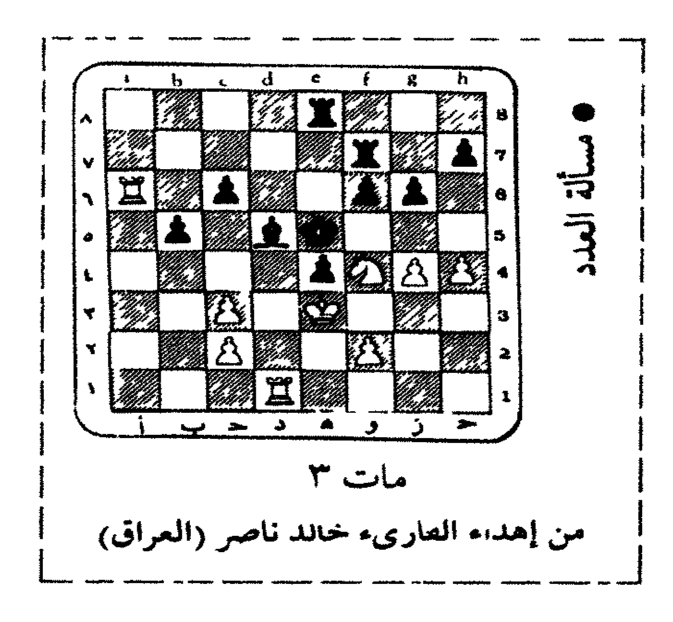
وباستعراض نتائج مباراة كأس العالم من حيث النقاط نجد أن كاسباروف قد حقق أعلى رصيد (٨٣ نقطة) ، وتلاه كاربوف (٨١ نقطة) ، وقد تخلف عنهما بقية الأبطال المشاركين في المباراة بمراحل ، إذ لم يحقق الفائز بالمرتبة الثالثة وهو السوفيتي فاليري سالوف سوى ٦٨,٥ نقطة وكانت أفضل النتائج التي حققها لاعب بريطاني من نصيب جون نن الذي فاز بالمرتبة السادسة (٦٥,٥نقطة) ، في حين احتل نايجل شورت المرتبة السابعة برصيد ٦٣,٥ نقطة

ومن أجمل أدوار هده المباراة الدور التالي من دفاع الملك الهندي بين حون نن (أسود) وبين البطل الهنغاري بورتيش (أبيض) حيث يضحي الأسود برحه وفرسه ليوقع ملك حصمه بين فكي وزيره وفيله

□ ل بورتيش (هنغاريا) ■ حون نن (بريطانيا)

١	د ٤	ح ـ و ٦
٢	ح ـ و ٣	ز ٦
٣	حـ ٤	ف ـ ز ٧

● مسألة العدد



مات ٣

من إهداء القارىء خالد ناصر (العراق)

٤ . ح - جـ ٣	ت
٥ . هـ ٤	د ٦
٦ ف - هـ ٢	هـ ٥
٧ ف - هـ ٣	حـ ٦
٨ ت	ح - ز ٤
٩ ف - جـ ١	ح - جـ ٦
١٠ د ٥	ح - هـ ٧
١١ . ح - هـ ١	و ٥
١٢ . ف × ز ٤	و × ز ٤
١٣ . ح - جـ ٢	ز ٥
١٤ . ح - هـ ٣	ر - و ٤
١٥ . ف - د ٢	ف - د ٧
١٦ . ب ٤	ح - ز ٦
١٧ . ر - جـ ١	ح - حـ ٤
١٨ . م - حـ ١	و - هـ ٨

مخاطرا بكلتا القطعتين الكبيرتين

١٩ . و ٣	ز × و ٣
٢٠ . ز ٣	و - حـ ٥
٢١ . ز × حـ ٤	ر × حـ ٤
٢٢ . ر - و ٢	ز ٤
٢٣ . ح - و ١	ر - حـ ٣
٢٤ . م - ز ١	و - ز ٦
٢٥ . ح - ز ٣	ر - و ٨
٢٦ . ح - و ٥	ر × و ٥

مضحيا بالفرخ أيضا

٢٧ . و × و ٥	ف × و ٥
٢٨ ح - هـ ٢ (مضطرا)	ز × هـ ٢
٢٩ . و × هـ ٢	ف - د ٣
٣٠ . و - د ١	ز ٣ !
٣١ . حـ × ز ٣	ف - هـ ٤ !
٣٢ يستسلم (الشكل)	

□□

الفائزون في مسابقة الشطرنج - العدد رقم ٣٧٥ فبراير ١٩٩٠

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - **أحمد حمدي ابراهيم** - الاسكندرية/ ج.م.ع.
٢ - **بابا عمر جلمام اسماعيل** - غرداية/ الجزائر
٣ - **عبد العزيز ابراهيم علي** - الحصاحيصا/ السودان
٤ - **شوقي عبد المجيد محمد** - البصرة/ العراق
٥ - **عرسان الدرويش** - الكسوة / سوريا

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - **على غازي ثالث علي** - جليب الشيوخ/ الكويت
٢ - **شيرين شفيق عيسى** - جدة / السعودية
٣ - **عارف محمد عبد الله** - إب / اليمن العربية
٤ - **حمدة بن سعيد** - بنزرت / تونس
٥ - **سامر فايز النمري** - لندن - المملكة المتحدة

حل مسألة العدد (٣٧٦) مارس ١٩٩٠م

مفتاح الحل ح - ز ٤



العربي ـ ص. ب : ٧٤٨ الصفاة ـ الرمز البريدي : 13008 الكويت

العربي والرسالة الثقافية

● كنت في أثناء وجودي بالسودان لتلقي العلم في المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، أحجز لنفسي من الباعة مجلة « العربي » ومطبوعاتها .

ولكن الصلة التي كانت بيني وبين مجلتي المحبوبة أصبحت مقطوعة منذ عودتي من السودان عام ١٩٨٧ إلى ولاية بوتشي شمال نيجيريا ، ولا شك أنني قد خسرت الكثير من الغذاء الثقافي والفني والروحي والعلمي .

أرجو أن تعود الصلة الى سابق عهدها ، لأقف على التطورات الثقافية في الوطن العربي بصفة خاصة ، وما يحدث في العالم بصفة عامة ، من خلال المصدر الذي أثق به .

القاريء : الياو يعقوب أبو بكر

بوتشي ـ نيجيريا

□□□

لماذا نعجب ؟

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير

تحية طيبة وبعد ،

● بعد قراءتي للعدد ٣٧١ أكتوبر ١٩٨٩ وجدته حافلاً بالمواد الثقافية والعلمية والأدبية ؛ ففيه الهم العربي الذي عالجه رئيس التحرير بحديث الشهر ، والذي يحمل حقائق نعيشها ، وهي مؤلمة تحزن المواطن العربي الذي يغار على وطنه، وفيه موضوع عن « ضغط الدم المرتفع وماذا يحدث لو أهملنا علاجه » . وفيه من المواضيع كل نافع ومفيد ويدرك ذلك المطلع على العدد المذكور .

القاريء : ممدوح السيد أحمد

الاسكندرية : جمهورية مصر العربية

□□□

الآثار الإسلامية وخطر الضياع

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير .

تحية طيبة وبعد ،

● أكتب إليكم من البرازيل ، وأتمنى لكم التوفيق في عملكم لنشر الوعي بين أبناء العروبة ، وأن تظل مجلتكم ذخراً وعوناً لكل قاصد معرفة ، لأن المجتمع معرفة ، والمعرفة قوة . لقد وصلتني مجلة « العربي » عدد رقم ٣٧٢ نوفمبر ١٩٨٩ ، ولفت انتباهي مقال الأستاذ عبود عطية : « سوق الفن الإسلامي » ، والمقالة تكشف عن حقيقة لا بد من إظهارها ، وهي حقيقة مفادها أن لدينا بعض التقصير في جمع آثارنا الإسلامية الخالدة والتي هي تراث حضاري وإرث يباع في



سوق التجارة الدولية ، بدلاً من أن يكون عندنا محفوظاً في المتاحف العربية والإسلامية ، على غرار المتاحف في الغرب ، في بريطانيا وفرنسا وأمريكا ، والذي يثير العجب هو أن المتاحف في الغرب تعرض التراث العربي والإسلامي ، وتفاخر به . والمواطن العربي الذي يزور هذه البلاد يعرف تراثه وحضارته من خلال هذه المتاحف ، بينما نحن نهمل جمعه والمحافظة عليه ونحن أولى بذلك وأقترح أن يكون هناك جهاز عربي موحد ، يعمل على جمع هذا التراث الخالد ، وجلبه إلى الوطن العربي لحفظه للأجيال القادمة

القاريء . سليمان أحمد
ريودي جانيرو ـ البرازيل

العربي

هناك هيئات ومؤسسات عربية ، تعمل جاهدة لجمع التحف والآثار العربية والإسلامية ، وجلبها إلى الوطن العربي ، وهناك على سبيل المثال لا الحصر « دار الآثار الإسلامية في الكويت » ، تحتفظ بمجموعة كبيرة من الأعمال والتحف والآثار الإسلامية العربية ، وتعرضها للجمهور ، كما تشارك بها في معارض في جميع أنحاء العالم

□□□

الشاعر العربي الصقلي

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير
تحية طيبة وبعد ،

● أكتب إليكم بشأن ماورد في العدد ٣٦٦ لشهر مايو ١٩٨٩ على صفحة ١٨٠ عن الشاعر العربي الصقلي الكبير ابن حمديس بعنوان « في حب صقلية ـ للشاعر ابن حمديس » ، فقد أعجبت جدا بالمقال ، لكنني من أجل الدقة وليس للتعليق أود أن أوضح بأن الشاعر الكبير ابن حمديس ، أي (عبد الجبار أبو محمد بن أبي بكر ، ابن حمديس الأزدي الصقلي) لم يكن من مدينة سرقوسة (صقلية) على الأخص ، كما ورد في المقال ، ولكنه ولد (١٠٥٥) ، وترعرع في مدينة نوطس أو ما تسمى اليوم (نوطو) ، وهي تبعد عن مدينة سرقوسة حوالي ٣٠ كيلومترا ، كما يستدل على ذلك من أبيات الشعر التالية التي وردت في إحدى قصائد ابن حمديس الحزينة المليئة بالحنين لمهبط رأسه :



ألا في ضمان الله دار بنوطس	ودرت عليها معصرات الهواضب
أمثلها في خاطري كل ساعة	وأمري لها قطر الدموع السواكب
أحن حنين البنت للموطن الذي	مغاني غوانيه إليه جواذبي

حوار القراء

ومن بك أبقى قلبه رسم منزل تمنى لـه بـالجسم أوبـة آئب

غادر ابن حمديس نوطس بعد اجتياح النورمانديين صقلية ، متوجها إلى الأندلس ، إذ استقر في اشبيلية ، وكان قد تجاوز الثلاثين من عمره . وفي بلاط حاكم اشبيلية (المعتمد بن عباد) لقي الشاعر الكبير كل تكريم وإجلال ، ونظم العديد من القصائد في مدح الأمير ، وفي الحنين إلى وطنه .

بعد إبعاد المعتمد بن عباد عن الحكم ونفيه ، فضّل ابن حمديس مغادرة الأندلس ، للتوجه إلى شمال أفريقيا ، حيث قضى فترة طويلة في تونس لدى بلاط حكّامها . وفي عام ١١٢٣ ، وعندما كان مايزال في تونس ، نظم قصيدة رائعة مليئة بالاعتزاز والأمل بمناسبة انتصار المسلمين على جيش روجار الثاني (النورماندي) في موقعة كابو ديماس (رأس ديماس) التي هزمت فيها القوات النورماندية شر هزيمة ، وفشلت حملتها بشكل ذريع ، مما بعث الأمل في نفس الشاعر بعودة صقلية إلى الديار الإسلامية ، لكن سرعان مابددت الأحداث أحلامه في العودة إلى وطنه المحرر . وهكذا بقي بعيدا عن وطنه ، يسلي نفسه ، ويعزيها ، بقصائد الحنين والذكريات .

بعد أعوام قليلة من موقعة (رأس ديماس) ، وبعد أن فقد الأمل في استرجاع صقلية ، غادر تونس ، ورحل إلى الجزائر ، ومن ثم توجه إلى جزر ميوركا (الأندلس) ، حيث قضى آخر أيام حياته إلى أن وافته المنية في عام ١١٣٣ ، بعيدا عن وطنه وبيته ، تاركا وراءه آلاف أبيات الشعر التي تفيض بالمرارة والأسى والحزن والحنين لوطنه ومدينته نوطس .

القارىء : الدكتور فتحي مقبول
مدير المركز الثقافي العربي بروما ،
ومدرس الأدب العربي الحديث في
المعهد الجامعي الشرقي بنابولي ،بايطاليا

□□□

الملوثات من حولنا

● من التقاليع الأمريكية أنه إذا أراد أحدهم الانتحار ، ليريح نفسه من هموم الدنيا ، ويريح الآخرين من همومه ، فإنه يركب سيارته بعد أن يغلق المرآب على نفسه ، ثم يدير محرك السيارة ، وبمرور الوقت تزداد نسبة غاز أول أكسيد الكربون داخل المرآب ، حتى يقضي عليه ، غير مأسوف على شبابه أو كهولته .

والمعروف أن هذا الغاز سام ، يسبب لمن يستنشقه إجهاداً وزغللة مع ارتباك ذهني ، وفقد القدرة على التركيز ، يعقب ذلك صداع مؤلم ، وفقدان وعي . وإن لم يتم على الفور إسعاف المصاب ، بنقله إلى الهواء الطلق ، مع عمل استنشاق له من جهاز الأكسجين ، فإن الخاتمة هي فقدان الحياة .

ويعد غاز أول أكسيد الكربون أحد الملوثات التي تصيب حياتنا بأضرار بالغة داخل بيوتنا ، وهو ينتج عن احتراق وقود مواقد الغاز والكيروسين . وهناك تلوث آخر يأتي من خارج البيت ، مصدره المجاري المكشوفة ، وأدخنة المصانع ، وعوادم السيارات ، وأتربة الشوارع .

وسواء رضينا أو لم نرض فإن تلك الملوثات تتسرب إلى بيوتنا عبر الفتحات والنوافذ ، لتصيب أشخاصاً أعزاء علينا ، مضطرين للإقامة بالمنزل أغلب ساعات اليوم ، إن لم يكن اليوم بأكمله ، خاصة المسنين والمرضى وربات البيوت وأكبادنا التي تحبو على الأرض .

وقد ثبت أن نصف الأتربة العالقة بالجو يتسرب إلى المسكن ، وتكمن الخطورة في حملها لحبيبات الرصاص السامة الناتجة عن عوادم السيارات ، كما ثبت أن ضعفي هذه النسبة من الرصاص المتسرب إلى داخل المسكن توجد خارج المنازل .

وحبيبات الرصاص دقيقة الحجم ، يسهل استنشاقها ، فتترسب في الأجزاء السفلى من الرئتين ، وعند ركود الهواء في المسكن ، فإنها تسقط فوق الأطعمة لتدخل إلى الجهاز الهضمي ، مسببة لأحبائنا الأطفال تسمماً وتخلفاً في التحصيل الدراسي ، كما أن عملية التنفيض التي تقوم بها ربة البيت داخل المسكن تساعد على انتشار الأتربة العالقة مرة أخرى .

وللوقاية من تلوث احتراق الوقود في المنزل يجب تهويته جيدا ، خاصة المطبخ والحمام ، مع ضرورة تركيب « شفاط » كهربائي صغير ، يسحب نواتج الاحتراق إلى الخارج ، لنأمن نحن وأحباؤنا شر مالانطيق شره .

أما موضوع التلوث الخارجي فله حديث آخر إن شاء الله .

القاريء : صبري عبد العال

عضو اللجنة العليا للسلامة والصحة المهنية

بهيئة الاتصالات ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

□□□

ردود

واقتراحات



● القاريء : علي موسى ذياب ، من الرقة ـ سوريا ـ يطلب الحصول على كتاب (تعلم كيف تفاوض) الذي كان موضع مناقشة قام بها رئيس التحرير في حديث الشهر عدد ٣٦٠ نوفمبر ١٩٨٨ ـ نقول له : إن الكتاب ليس موجود لدينا للتوزيع .

● القارئة عزة محمد السيد عوضين ، الدقهلية ـ جمهورية مصر العربية ـ تقترح أن تقوم المجلة باستطلاع مصور عن المعالم الأثرية في جمهورية مصر العربية ونقول لها : إن المجلة نشرت استطلاعاً عن الآثار في عدد فبراير ١٩٩٠ .

● القاريء : حسني علي جهير ، من جدة ـ المملكة العربية السعودية ـ يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن فلسطين ، وبخاصة يافا . ونقول له : إن المجلة نشرت استطلاعاً مصوراً عن فلسطين وما يحدث فيها من ثورة عارمة ضد الاحتلال الصهيوني في العدد ٣٧٦ مارس ـ آذار ١٩٩٠ م .

حوار القراء

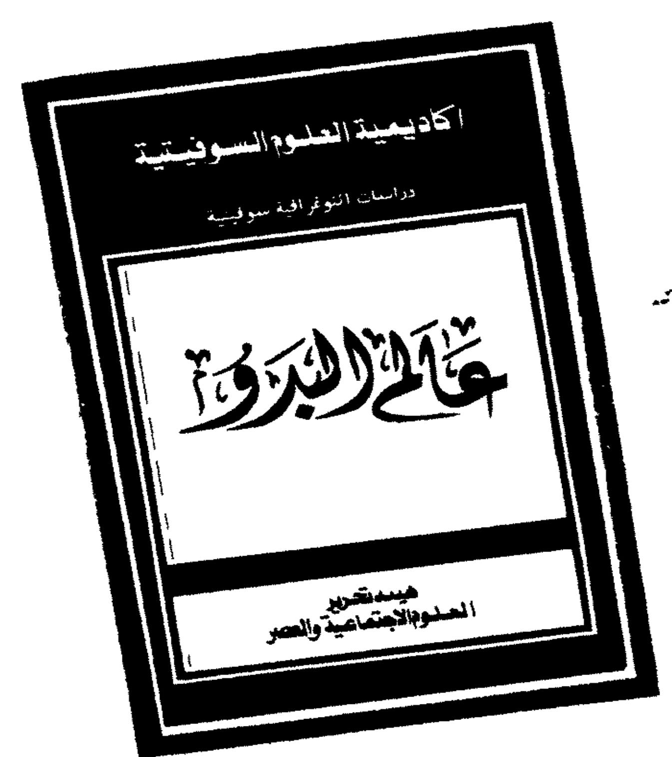
● القارىء محمد ناصر عبد القوي ، عدن ـ خور مكسر ـ جمهورية اليمن الديمقراطية ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن جزيرة سوقطرة في اليمن الديمقراطية ، لتعريف القارىء العربي بهذه الجزيرة ، ماضيها وحاضرها

● القارىء عمر عطية محمد عطية ، من مدينة السويس ـ جمهورية مصر العربية ـ يطلب نشر استطلاع عن مدينة السويس ، ونقول له إن المجلة نشرت استطلاعاً مفصلاً عن قناة السويس ، في العدد ٣٧٢ ـ نوفمبر ١٩٨٩

● القارىء بسام يوسف السد ، من بيروت ـ لبنان ـ يقترح أن تزور المجلة لبنان وتقوم باستطلاع عنه ونقول له إن المجلة قد أرسلت بعثة إلى لبنان ، وسينشر الاستطلاع في الأعداد القادمة

● القارىء الهادي السعيدي ـ حمام سوسة ، تونس ـ يطالب وسائل الإعلام العربية أن تتطور أكثر ، وأن تكون في مستوى الأحداث ، وأن تعطى الحرية الكاملة لكل مواطن عربي للتعبير عن رأيه بحرية □





عالم البدو

تأليف : مجموعة من العلماء السوفيت

عرض : سليمان الفليح

البدو ، تشكيلة اجتماعية برزت في فترة تاريخية قديمة جداً . لكنها حافظت على وجودها المستقل حتى بعد أن استقرت المجتمعات ، وأنتجت حضارات مركزها المدينة .

من هم البدو ؟ وكيف تكونت تشكيلاتهم ؟ وكيف استمروا كل هذه المدة ؟ أسئلة حاول بعض العلماء السوفيت الإجابة عنها ، وكانت النتيجة هذا الكتاب الذي نعرضه .

عن اكاديمية العلوم السوفيتية ، وضمن الدراسات « الاثنوغرافية » التي تشرف عليها (هيئة العلوم الاجتماعية والعصر) صدر كتاب مهم عن دار ناؤوكا يتحدث فيه مجموعة من علماء الأبحاث المتخصصين عن (عالم البدو) حيث تناول أصحاب الدراسات العديد من المشاكل المعقدة ، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية التي تواجه البلدان النامية . ويعالج الكتاب الاتجاهات الرئيسية لدراسات العلماء السوفييت في هذا الحقل (نشوء المجتمعات

من المكتبة العربية



● كانت تربية المواشي هي البداية

البدوية ، وتطورها أيكولوجيا البداوة وخصوصيتها الاجتماعية والاقتصادية ، ميزات التشكيلات الاثنية وغيرها) .

بعد مقدمة طويلة ، تشكل في مضمونها بحثا مستقلا ، يتحدث فيها فيكتور شنيريلمان عن بدايات تربية المواشي ونتائجها الاجتماعية ، ليتحدث بعد ذلك غينادي ماركوف عن النظام الاجتماعي عند البدو الرحل في آسيا ، متناولاً ضمن سياق البحث نشوء البداوة وصيرورتها التى ترافقت مع تغيرات كبيرة في قاعدة الانتاج التحتية . وكما هو معروف فإن هذه العمليات تجر وراءها تغيرات مهمة في حقل النظام الاجتماعي أيضا . ويقول ماركوف : إنه عوضا عن التنظيم المشاعي البدائي للعشائر التي تدير اقتصادا متحضرا بشكل كامل ، أو نصف متحضر ، تَشكَّلَ النظامُ البدويُ الذي وجد أساسا له في العائلات المستقلة اقتصاديا التى كانت بحوزتها ملكية خاصة تتمثل في القطيع . ويضيف ماركوف : إن هذه العائلات لم تستطع العيش بشكل منعزل بل اتحدت في مجموعات بدوية وفقا لاعتبارات اقتصادية وحربية ، ونظراً لهذه الاعتبارات توحدت المجموعات البدوية في عشائر ووحدات عشائرية أكثر ضخامة ، وهذا حسب رأيه ما أعطى مبرراً ايديولوجياً للوحدة العشائرية على هيئة قرابة النسب ، ووحدة الأصل . ثم يتحدث ماركوف عن البنية العشائرية التي انحلت ثانية لتتكون من جديد كوحدات نسب شكلية على صعيد الدرجات الدنيا من التنظيم الاجتماعي . ويتناول بعد ذلك التنظيم الاجتماعي حسب الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، إذ يرى أنه في زمن السلم نسبيا ، وخصوصا بعد خضوع البدو للدول الزراعية ، لبى نظامهم الاجتماعي في المقام الأول مصالح اقتصاد تربية الماشية ، وخضع للأنظمة التشريعية النافذة ، وزادت خلال ذلك استقلالية المجموعات البدوية ، والعائلات ، وقويت أهمية الروابط الجغرافية وضعفت الروابط التنظيمية داخل العشائر ،

وكذلك اندثرت أنظمة السلطة والادارة العشائرية .

قبائلنا العربية

أما الباحث الشهير ابرام بيرشيتس ، فيتناول في بحثين مهمين من الكتاب (تكون الطبقات ، والعلاقات الطبقية المبكرة عند مربي المواشي الرحل) فيتحدث في أحدها عن الامكانات الاقتصادية المحدودة لتربية الماشية ، الأفقية من جهة وأفضليات البدو الرّحل العسكرية ، على جيرانهم الحضر وشبه الحضر من الجهة الثانية ، تلك الامكانيات التي يرى أنها ساعدت على التطور الواسع لوضع خاص بين القبائل الرحل ، يمكن تسميته بالوزن النوعي السائد أو المرتفع للنشاط الاستغلالي الخارجي . ويقصد بذلك اكثر الاشكال بدائية لانتزاع الناتج الاضافي والضروري أحيانا ، والنهب العسكري المباشر (الغزو) والغرامات التي تحل مكانها ، وما ينتج عنها مما يأتي على شكل اتاوات . ثم يتحدث بيرشيتس عن هذه الاتاوات لدى عدد من قبائلنا العربية بشكل طريف ، كما يتناول (الخوة) و (الصرة) محدداً بالأرقام ما تأخذه كل قبيلة من القبائل والقرى الأخرى لقاء حمايتها . اما البحث الثاني في عالم البدو لبيرشيتس نفسه فهو البحث الأخير في الكتاب بعد بحث تانياجدانكو (خاصية الروابط السلالية في آسيا الوسطى وكازخستان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) فهو بحث اثنوغرافي مهم عن (العرق في روابط الحضر الرحل الطبقية المبكرة) .

بحث نظرية الاثنوس من جديد

في هذه الدراسة يتحدث بيرشيتس عن الظروف التي دفعته إلى القيام بها والتي أجملها بعدة نقاط منها زيادة الوضوح الذي تم التوصل إليه في المدة الأخيرة ، في مسائل عامة لعلم شئون الرحل ، وذلك لناحيتين ، إحداهما فهم حياة الرحل (كعنصر مكون لوحدة الحضر ـ الرحل) المتكاملة . أما الثانية فهي الاعتراف بأن عنصر الترحل في هذه الوحدة المتكاملة يتطور بوتائر متباطئة ، أما السبب الثاني فيعزوه للنجاحات التي تحققت مؤخرا في إعداد نظرية عامة « للعرق » وذلك للتمايز في ظروف سماته وتشكلها ، ولإظهار مقولات البنية السلالية الاجتماعية ، وكذلك لواقع تدرج نماذج الروابط السلالية ، ولانتقاد بعض المختصين للمفهوم التقليدي للقبيلة كرابطة اجتماعية وسلالية واضحة ، أما السبب الثالث ـ كما يراه بيرشيتس ـ فهو أن هذه القضية برمتها لم تدرس إلا في الأطر الاقليمية على الرغم من اتساعها .

على أنه بوسع غير هذه الأطر أيضا أن تفتح امكانات إضافية للدراسة ، ثم يعقد الباحث مقارنة بين حياة الرحل كعنصر مكون لوحدة الحضر ـ الرّحل المتكاملة مع مفهوم المجتمع على حدة ، ومفهوم البنية الاجتماعية ، وذلك لأن مفهوم البنية الاجتماعية كاشارة إلى وحدة مستقلة للتطور الاجتماعي لم تحظ بتفسير متجانس . ومع أنه يقول بامكانية تطابق نظام الحضر ـ الرحل (مع البنية الاجتماعية) إلا أنه يعود إلى نفيه من منطلق أنه لا يمكن للمزارعين الحضر ، ومربي الماشية الرحل ، أن يشكلوا بنية اجتماعية واحدة ، وكذلك لا يمكنهم أيضا تشكيل بنية اجتماعية مختلفة سواء كانت (متكونة) أو في طور التكوين . كما أن مفهوم حياة الرحل حسب رأيه، لاسيما الذين يقتنون الماشية المتنقلة لا ينطوي على تحديد متعارف عليه ، كما أن العلاقة بين نمطي الانتاج الأساسيين الزراعة وتربية الماشية ، هي مادة النقاش التي يطرحها في جزء من الدراسة ، لأنه يرى أن هناك وجوداً (لمربي الماشية الرحل) الذين لا يمارسون الزراعة كما هو الحال عند كثير من جماعات مربي الابل في شبه الجزيرة العربية ، والمنغول والكازخيين والتركمان .

الطوارق

ثم يتناول في البحث قبائل الطوارق في الصحراء الكبرى الذين كانوا حتى بداية القرن العشرين نموذجا لعرق الرُّحل في نظام الحضر ـ الرحل، وهو نظام لا يشكل في رأيه بنية اجتماعية على الرغم من أن عددهم كما يقول (١٠ آلاف) شخص يمارسون تربية الماشية المتنقلة بالاضافة إلى الواحات الصغيرة التي كانت تعود إليهم، والتي كان يزرعها «محاصصون» من الزنوج. ولكون الانتاج الزراعي لديهم قليل، وكذلك الحرفي، فقد أقام هؤلاء صلات تبادل وثيقة مع الطوارق وزنوج السودان وعرب شواطيء المتوسط، كما كانوا يمارسون السلب على الذين لا يتاجرون معهم ويأخذون إتاوات منهم. ومن هنا نخرج بنتيجة مفادها إلى أنه على الرغم من أن الطوارق لا يشكلون بنية اجتماعية مكتملة إلا أن ظروفهم الطبيعية والاجتماعية ساعدت على تراصهم كبنية اجتماعية وكبنية سلالية وأن القبيلة المشتركة كعرق تطابق القبيلة المشتركة كبنية سلالية اجتماعية مستشهداً بأولئك الذين لا ينتمون لهم، ولكنهم انضموا إليهم على الرغم من أنه يعود إلى القول بأن البنية السلالية الاجتماعية والعرق» كمصطلح للقبيلة المشتركة يخلقان صعوبات في أن الاثنين مفهومان مقترنان، ولكنهما مختلفان. ثم يخلص إلى أن الطوارق اجمالا ليسوا «عرقا» بل رابطة سلالية لغوية حصل فيها تمايز على غرار الشعوب الناطقة بالانجليزية والاسبانية على مستوى اللهجات لا اللغات.



● الطوارق رابطة سلالية لغوية

تجانس ثقافة الرحل

ثم يتناول الباحث قبائل شمال شبه الجزيرة العربية (المشتركة) في القرن التاسع عشر، والربع الاول من القرن العشرين لكون بعضها يملك بنية أكثر تعقيدا. وهو لا يجد تطابقا وحيد المدلول بين الرابطة الاجتماعية السلالية والعرق كشأن قبيلة «الرولة» التي يعدها قبيلة مشتركة لا تمارس غير تربية الابل. ثم يعود الباحث ليذكر أن هذه القبيلة تقتني المنتجات الزراعية والحرفية في مدن أواسط شبه الجزيرة، وجنوب سوريا (مع أنها ليست كذلك، لأن أغلب الانثروبولوجيين يتخذونها نموذجاً للقبيلة الصافية التي حافظت على صحراويتها). بل إنها تجسد نموذج القبيلة الراحلة حتى عهد قريب، ولكن علاقتها مع الواحات الزراعية كانت بغرض فرض الإتاوة ـ كما يذكر الباحث ـ على جيرانها انصاف الرحل والحضر. وكانت تأخذ مكافآتها من الحكومة العثمانية لقاء تمرير وحراسة قوافل الحجاج. إلا أنها كبنية سلالية اجتماعية ـ وبخلاف ما يقول الباحث ـ تتكون من ثلاثة بطون بعنزة: الرولة نفسها ومهلاف وولد علي

وذلك لأن البطون هي المحلف الذي تتكون من الرولة ، وعبد الله والأشاجعة والسوالمة) . ثم يستمر الباحث بالقول : إن لكل منها ارضه وشيخه ، ومع ذلك تخضع للشعلانيين بما في ذلك استخدام الغرامات والعقوبات الجسدية . ثم يعرج الباحث على علاقة الرولة بواحة الجوف التي يرى أنها أحد انماط نظام الحضر - الرحل الجديد المكتفي ذاتيا ، والذي لم يدم سوى ١٤ سنة حيث تمكن الشعلان من رص ثقافتي الرحل والحضر . وهكذا يستمر الباحث بالقول : إنه « إلى جانب القبيلة المشتركة الجنينية العرق كانت الرولة تحتفظ بوضوح بمخلفات القبيلة المشتركة لعنزة ،كلها والتي كانت يوما ما ، تشكل بنية سلالية اجتماعية ربما في القرون الاولى للهجرة ، مع أن الرولة هي احدى قبائل عنزة التي تشكل ضمنها القبيلة المشتركة . ثم يخلص الباحث الى القول : بأنه يمكننا رؤية تناقض في وصف مجموعة قبائل الطوارق كرابطة سلالية لغوية ، ومجموع القبائل المشتركة لعنزة كقبيلة مشتركة من النسق الثاني . وخلافا للطوارق الرحل في الصحراء الكبرى والحضر في السودان فإن عنزة كلها لا تتسم بلهجة خاصة وتقارب ثقافي لعرق مميز واحد فحسب ، بل تتسم أيضا بالتجانس الكبير في ثقافة الرحل .

في جبل شمر

أما فيما يخص قبيلة شمر في مجموعة الواحات الواقعة في شمال شبه الجزيرة العربية ، فيرى أن انتشار اللهجة الشمرية قد أزالت حدود خصائص الثقافة المادية والاجتماعية بين القبائل ، والقبائل المشتركة ، فتكون في جبل شمر نظام حضر - رحل ، وأصبح بنية اجتماعية تكون فيها أيضا شكل جنيني لقوم يمكن تعريفه كما يقول الاكاديمي(دي بروملية كميدان اجتماعي - سلالي) بيد أن جبل شمر كان بنية اجتماعية في طور التكون لا بنية اجتماعية متكونة .

وفي نهاية البحث يتساءل الدكتور بيرشيتس هل لروابط الحضر - الرحل الطبقية « عرق » خاص؟ ويجيب بأنه من المستحيل الرد على هذا السؤال بجواب وحيد المدلول ، لأنه خاص بقدمه اذا قورن بعرق المزارعين مربي الماشية عموما . ومن الواضح أنه غير خاص أو خاص قليلا اذا قورن بعرق الجبليين او غيرهم من المزارعين مربي المواشي في المناطق الوعرة والضعيفة التكامل نسبيا داخل البنى الاجتماعية المتطورة . أي مجموعات السكان الذين يطورون في ظروف اجتماعية سياسية متماثلة اشكالا متماثلة للتنظيم الاجتماعي (بما في ذلك التنظيم العائلي المنتسب الى اب واحد) ثم يختتم البحث بقوله : (ترتكز المسألة على خصائص حلقة الوصل الاجتماعي « الايكولوجية » وهذه الخصائص تقول : إن الظروف الطبيعية الجغرافية المعقدة شأنها شأن الظروف المواتية جدا ، تعرقل التطور الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي السلالي . » □

● الرجل الذي لا يعرف نواحي القوة فيه ، هدف سهل للمرأة التي تعرف نواحي الضعف فيه .

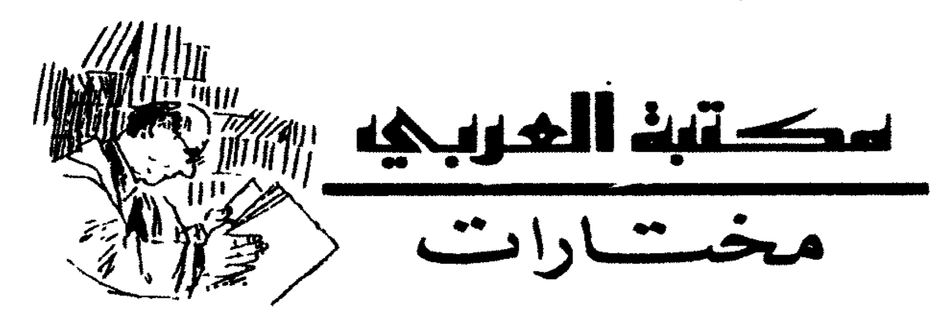
(شارلي شابلن)

● ليس شقاؤك في أن تكون أعمى ، بل شقاؤك في أن تعجز عن احتمال العمى .

(ملتون)



شارلي شابلن



اسم الكتاب : مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع
اسم المؤلف : فاضل ثامر
الناشر : دار الشئون الثقافية العامة ـ بغداد
عدد الصفحات : ٤٢٤ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٧ م



على الرغم من أهمية النقد الاكاديمي في إغناء التجربة النقدية والإبداعية المعاصرة ، إلا أن النقد الاكاديمي العربي ، لم يسهم بشكل فاعل في مسيرة الحركة النقدية والأدبية المعاصرة ، ويحاول المؤلف أن يقدم متابعة لأبرز موضوعات الخلق الأدبي والفني ، من خلال ثلاثة مدارات : المدار الأول في إشكالية الرؤيا النقدية وفيه يعرض للنقد الأكاديمي في مواجهة شعرنا المعاصر ، وفي جماليات المقالة الحديثة ، وإشكالية المصالحة بين الثنائيات المتضادة . وفي المدار الثاني يعرض المؤلف لإشكالية الرؤيا الشعرية ، ويتناول فيه جدل الحداثة في الشعر ، والخطاب الشعري العربي ، ونسق التوازي والقناع الدرامي والشعر . وفي المدار الثالث يعرض لإشكالية الرؤيا القصصية ويتناول فيه القصة والتغير الاجتماعي ، وعرض نماذج لأعمال فؤاد التكرلي ، ونجيب محفوظ بعد هزيمة يونيو (حزيران ١٩٦٧) ، ولأعمال قصاصي ما بعد الستينيات .



اسم الكتاب : كانت المدن ملونة
اسم المؤلف : رجاء نعمة
الناشر : دار الهلال ـ مصر
عدد الصفحات : ٢٤٩ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٩٠ م

في روايتها الجديدة التي كتبت في أحد الأقبية بلبنان ، تقدم الكاتبة أنشودة موت وأنشودة حياة ، لتصوغ عملاً فنياً عن الحرب والدمار ، والأمل في السلام في لبنان ، ومن خلال إبحار الكاتبة في نفوس شخصيات روايتها وتسجيلها لمظاهر القهر ، والعذاب ، ومعاناة المسكونين بحب الوطن الذين سددوا ضريبة الحرب الأهلية ، تقدم الكاتبة عملا فنيا يمثل شهادة على الحرب ودعوة ملحة للسلام .

□□□



اسم الكتاب : أصابع العروس
اسم المؤلف : فاضل خلف
الناشر : مطبوعات دار الرأي العام ـ الكويت
عدد الصفحات : ١٢١ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٩ م

مجموعة قصصية جديدة للكاتب فاضل خلف ، تضم خمس عشرة قصة جديدة ، تتنوع موضوعاتها وتتسق مع اتجاهات الكاتب وإبداعاته الفنية

السابقة . ففيها حس إنساني عال ، وقدر من المرج بين السحرية من الواقع ، والبناء الفني المتماسك ووضوح الفكرة ودقة الأسلوب وحرارته .

□□□

اسم الكتاب . رحلة إلى فلسطين
اسم المؤلف : نيكوس كازانتزاكي ،
ترجمة : منية سمارة ومحمد الظاهر
الناشر : مؤسسة خلدون للدراسات والنشر ـ عمان
عدد الصفحات : ٨٥ من القطع المتوسط
سنة النشر · ١٩٨٩ م

في عام ١٩٢٦ سافر الكاتب اليوناني الكبير نيكوس كازانتزاكي إلى فلسطين ، لحضور احتفالات عيد الفصح ، كمراسل صحفي لصحيفة « اليفيثروس لوغوس » اليونانية وقد نشرت هذه المشاهدات في الصحف اليونانية في العام نفسه وقد أدان الكاتب الكبير الصهيونية ونبه إلى خطرها ، وإلى الكوارث التي ستقع على العالم أجمع نتيجة لهذه الحركة ، قبل أن ينتبه كثيرون إلى هذه الحركة وأخطارها .

ويضم الكتاب عددا من المقالات مكتوبة بأسلوب أخاذ ، وقدرة كبيرة على الوصف والملاحظة ، ونفاذ بصيرة إلى الأشياء والأمور التي تليق بهذا الكاتب الكبير صاحب الشوامخ الروائية الشهيرة

□□□

اسم الكتاب : العرب وجيرانهم. الأقليات القومية في الوطن العربي
اسم المؤلف : رياض نجيب الريس
الناشر . دار رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن
عدد الصفحات : ١٢٧ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٩ م

يعالج الكتاب قضايا الأقليات القومية في الوطن العربي ، وقضايا أقليات أخرى تمثل في موقعها الحزام بالنسبة للوطن العربي مثل قضايا بلوشستان ، وعربستان ، والأقليات في ايران وعدد من القضايا الأخرى المتعلقة بهذا الموضوع ويطالب المؤلف في هذا الكتاب بضرورة الخوض في هذه القضايا والتحدث عنها والتصدي لها وشرحها .

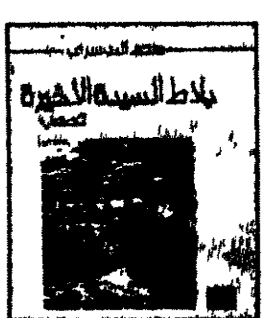
□□□

اسم الكتاب : بلاط السيدة الأخيرة
اسم المؤلف · سعد الدوسري
الناشر : دار الشروق ـ عمان
عدد الصفحات : ٥٩ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٩ م

مجموعة قصصية جديدة للقاص العربي السعودي سعد الدوسري ، يقدم فيها أحدث ثماني قصص من إنتاجه ، وتتميز المجموعة برمزية شفافة دالة على مناخات البيئة المحلية في همها الانساني ، وهي تلقي الضوء على هموم الانسان في كفاحه الدائم ، لسد حاجاته الأساسية في المأوى والمأكل ، وفي نزوعه الدائم نحو السمو والإرتقاء . والإنسان في قصص المجموعة كلها ، هو البطل لأنه في نضال دائم كي لايكون واحدا من القطيع ، ولأنه كذلك ، فالحلم بالخلاص هو هاجسه الملح والدائم □



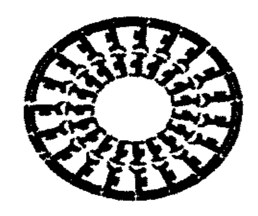




■ **الأعمال التي تنقصها القيمة الفنية تظل عديمة المفعول من وجهة النظر السياسية حتى لو كانت ذات صبغة تقدمية .**

« ماوتسي تونج »

في الأسواق



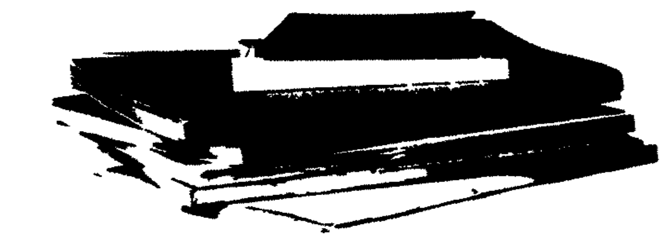


الكتاب السابع والعشرون

نافذة على فلسفة العصر

بقلم د. زكي نجيب محمود

كتاب العربي مرآة العقل العربي



كتاب الشهر



براءة سيريل بيرت

تأليف : روبرت جوينسون
عرض وتعليق الدكتور فؤاد أبو حطب *

بعد وفاته بخمس سنوات تعرض السير سيريل بيرت إلى هجوم حاد أدى إلى اهتزاز صورته العلمية بصفته واحدا من واضعي أسس علم النفس الحديث في بريطانيا والعالم . لكن دراسة جديدة بدأت بعد ذلك أعادت للعالم الكبير وجهه العلمي الناصع . قصة « الاغتيال الاخلاقي » ثم إعادة الاعتبار لهذا العالم الكبير هي موضوع هذا الكتاب الذي نعرضه :

* استاذ علم النفس بكلية التربية ـ جامعة عين شمس بمصر

كتاب الشهر

في صبيحة الأحد ٢٤ اكتوبر ١٩٧٦ صحا العالم على مقال خطير نشره في صدر الصفحة الأولى لصحيفة الصنداي تايمز البريطانية ، المحرر الطبي للصحيفة الدكتور أوليفر جيلي أعلن فيه أن أكثر الاتهامات بالخيانة العلمية إثارة في هذا القرن : هي ما يوجه إلى عالم النفس البريطاني الشهير السير سيريل بيرت الذي توفي في ١٠ اكتوبر ١٩٧١ ، بأنه نشر نتائج مزيفة ، واختلق بيانات مهمة يدعم بها نظريته حول وراثة الذكاء الانساني .

وقد تضمن هذا المقال الخطير أربعة اتهامات جوهرية لسيريل بيرت :

(١) إنه كان يخمن تقديرات ذكاء الوالدين في بحوثه عن وراثة الذكاء ، ثم عد هذه التخمينات بيانات علمية دقيقة .

(٢) إن اثنين من مساعديه لم يكن لهما وجود حقيقي ، وإنما كانا من محض خياله .

(٣) إن معاملات الارتباط التي وردت في تقاريره كانت متطابقة على الرغم من اختلاف حجم العينات على نحو يوحي بأنه كان « يكيف » عيناته لتتواءم مع نظرياته .

(٤) انه كان يعمل بمنهج التحليل القبلي أي يقدم معطيات تتواءم مع نظرياته المفضلة .

وكان أن تفجر البركان . فالرجل موضع الهجوم أحد بناة علم النفس الحديث ، ليس في بريطانيا وحدها ، وإنما على مستوى العالم . فهو واحد من رواد حركة القياس النفسي ببحوثه الرائدة في ميدان الذكاء ، والقدرات العقلية ، والفروق الفردية ، ووراثة السلوك الانساني منذ مطلع القرن .

اتهام بالخيانة العلمية

وهكذا تهيأ المسرح لعمل ناجح من أعمال « الإثارة » الصحفية . فلا يوجد ماهو أشد وأقسى على المجتمع العلمي من الاتهام بتزوير البيانات واختلاق النتائج . وموضوع الاتهام ، وهو دراسة الذكاء الانساني ، على درجة كبيرة من الخطورة ، ويعد من المسائل الخلافية من الوجهتين السياسية والاجتماعية التي يتصارع حولها الناس ايديولوجيا ، ويتفرقون في قراراتهم العملية ، وخاصة من الوجهة التربوية ، كما أنها تجذب انتباه الخاصة والعامة على حد سواء . ثم إن صدى الاتهام يكون عميقا ، وأثره يكون واسعا إذا وجه لشخصية فذة مبرزة في الميدان لها مكانة بيرت . وخاصة أن بحوثه ظلت لفترة طويلة مما يعتمد عليه في ترجيح دور الوراثة على دور البيئة .

وكان أن تحقق لأوليفر جيلي ـ الصحفي المحترف ـ هدفه المنشود . فسرعان ما امتلأت الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والدوريات المتخصصة ـ في بريطانيا والولايات المتحدة وغيرها من أصقاع الأرض ـ بالمقالات المطولة والتعليقات المختصرة حول « فضيحة بيرت » ، كما امتلأت صفحات بريد القراء بالتعقيبات ، وانقسم الناس في ذلك كله بين مؤيد للاتهام ومعارض له . وشملت قائمة أنصار الاتهام نقادا قدامى لبيرت ، أشهرهم اثنان من تلاميذه هما آرثر كلارك وزوجته آن ، (ومعهما بعض مساعديهما بجامعة هل) ، وعالم النفس الأمريكي ليون كامين (الاستاذ بجامعة برنستون) ، وعالم النفس البريطاني جاك تيزارد (استاذ علم نفس الطفل بمعهد التربية ـ جامعة لندن) . وكلهم أيدوا حجج جيلي ، وأضافوا إليها اتهامات جديدة . أما قائمة الدفاع فقد تصدرها تلاميذ بيرت ، وأصدقاؤه القدامى وأشهرهم هانز أيزنك ، وشارلوت بانكس ، وجنسن ، وريموند كاتل ، وفيليب فرنون وجون كوهن .

وشارك في هذا الحوار المبكر صديق قديم لبيرت هو مؤرخ علم النفس البريطاني الشهير

ليزلي هيرنشو ـ وكان مكلفا من شقيقة بيرت في أعقاب وفاته عام ١٩٧١ ـ باعداد كتاب عن حياته الذي أعلن أنه في ضوء الأدلة المتاحة لايمكن الوصول إلى قرار حاسم ، وطلب من الجميع تأجيل الحكم حتى يمكن تقييم جميع الشواهد والحجج بموضوعية ودقة . وأضاف أنه كمؤرخ لحياة بيرت ، وعنده معظم وثائقه الشخصية لديه فرصة أفضل من الجميع ، وعلى الجميع الانتظار حتى صدور كتابه ففيه القول الفصل .

وصدر الكتاب في يوليو ١٩٧٩ وثيقة اتهام صريحة لسيريل بيرت بالخيانة العلمية . صحيح أن هيرنشو لم يقبل الاتهامات السابقة ـ كما عرضها الآخرون ـ على علاتها ، ولكنه قبل بعضها وخاصة تلك المتعلقة بالشك في بحوثه حول وراثة الذكاء ، وفي وجود بعض مساعديه ، وأضاف بعض الاتهامات من عنده لعل أهمها تزييف تاريخ التحليل العاملي ، وسلب تشارلز سبيرمان حق ابتكار هذا الاسلوب الاحصائي ، ونسبة ذلك إلى نفسه .

هكذا حدد كتاب هيرنشو مصير بيرت . وكانت أسباب ذلك كثيرة . فالمؤلف مؤرخ لعلم النفس ، مشهود له بالكفاية . ولم يدخل في حلبة الخلاف حول بيرت ، أضف إلى ذلك أنه أشار في كتابه إلى أنه بدأ كتابته عقب وفاة بيرت مباشرة وهو على أعلى درجات الاعتقاد في التكامل الشخصي لبيرت ، إلا أنه تخلى تدريجيا عن هذا الاعتقاد مع توافر الأدلة المضادة . بالاضافة إلى أن هيرنشو كانت لديه ميزة القدرة على تفسير سلوك بيرت في سياق من المعرفة الواسعة بحياته وشخصيته على وجه العموم بوصفه كاتب سيرته ، ومترجم حياته ، ولهذا قبل على أنه سلطة حول الموضوع ، أضف إلى ذلك أن الكتاب فيه خصائص جذابة ، فهو مكتوب بأسلوب واضح جميل ، وفيه معلومات كثيرة عن نمو علم النفس البريطاني ، وتحليل لشخصية بيرت ، وهذا كله يجذب انتباه أي دارس محترف للسلوك الانساني ، ناهيك عن أي قارىء عادي .

وتقبل الجميع حكم هيرنشو ، وامتد ذلك إلى من سبق لهم الدفاع عنه ، وعلى الأخص جنسن وإيزنك وفيليب فرنون . وكانت خاتمة المطاف أن مجلس الجمعية البريطانية لعلم النفس أيد في فبراير ١٩٨٠ النتائج التي توصل إليها هيرنشو . وفي مؤتمر الجمعية السنوي الذي انعقد بمدينة ابردين في ابريل من العام نفسه ، خصصت ندوة دعا إليها هيرنشو وجيلي وغيرهما ممن لهم صلة بالموضوع ، وصدرت أعمال هذه الندوة في كتيب مستقل بعنوان (كشف حساب بيرت) وفيها كان الحكم بالإدانة . وهكذا كانت النهاية الرسمية لسيريل بيرت ، ومن ذلك الحين أصبح اسم بيرت علما على الخيانة والتزوير في العلم .

الانسان والعالم والتقنية

الا أن العلم منظومة مفتوحة ، وما يبدو لنا أحيانا أنه نهاية ليس في حقيقته الا بداية جديدة . وهذا ما حصل لمؤلف الكتاب الحالي رويرت ب . جوينسون . لم يكن جوينسون مهتما ـ على حد تعبيره ـ « بقضية » سيريل بيرت أو « فضيحته » كما حلا للكثيرين أن يسموها . ولهذا لم يتابع شيئا عنها بين عامي ١٩٧٦ ، ١٩٨٠ ، بل ولم يستمع إلى محاضرة واحدة حول الموضوع في مؤتمر « أبردين » على الرغم من أنه كان حاضرا . ولم يقرأ كتاب هيرنشو عقب صدوره . ولكنه بمحض الصدفة في خريف عام ١٩٨٠ كان مهتما ـ بحكم عمله بتاريخ علم النفس ـ بأصول حركة قياس الذكاء ، وعندئذ قرأ كتاب هيرنشو كمرجع حول الموضوع ، وكان في توقعه أن تكون هذه القراءة عملا سريعا وروتينيا ، ولكن ما حدث أن تحولت القراءة إلى اهتمام بالغ بسيريل بيرت ، الانسان

والعالم والقضية .

بعد أن يعرض المؤلف لسيرة سيريل بيرت وللاتهامات التي وجهت إليه يخصص فصلا تناول فيه هذا التحول المهم في اهتمامه بالموضوع ، وفي ذلك يقول إنه بدا عقب قراءة كتاب هيرنشو ـ مقتنعا تماما بإدانة بيرت ، بل ومتفقا مع الموقف الأكثر تشددا لدى نقاده المتطرفين ـ وخاصة كلارك وزوجته وكامين ـ في أن اسلوب تزييف العلم سمة أساسية في سلوك بيرت العلمي منذ شبابه المبكر .

وبتأثير هذا الانطباع الأولى بدأ جوينسون بحثه الطويل والشاق لاختيار « فرض » أن عدم الامانة العلمية عند بيرت أمر طويل الأمد وأنه من خصائص سلوكه طوال حياته العلمية . ووجد أن أفضل بداية لذلك هي كتابه المهم « الجانح الصغير » الذي صدر عام ١٩٢٥ ، لأنه واحد من أفضل أعماله وأكثرها شيوعا ، والذي صنع له مجده العلمي المبكر ، وهو الكتاب الذي قال عنه تيزارد في أثناء طوفان الاتهامات (١٩٧٩) بأنه طلب من بيرت أن يزوده بالمواد الأصلية لهذا الكتاب . ولكنه لم يفعل ، ولهذا اتهمه بتزوير نتائجه . وعلى الرغم من تهافت الحجة التي استند إليها تيزارد حين طلب من الرجل وهو في سنوات شيخوخته المتأخرة المواد الأصلية (الاختبارات ونتائج المقابلات الشخصية وغيرها) ـ بعد انقضاء عشرات السنين على نشر الكتاب ، وبعد أن تعرض لتنقلات كثيرة بسبب تغير مكان العمل ، وبسبب الحربين العالميتين (وخاصة الحرب العالمية الثانية التي دمرت الكلية الجامعية بجامعة لندن ومعمله فيها !) إلا أن جوينسون فحص الكتاب بدقة ، وقارن بينه وبين تقارير سابقة حول الموضوع ، فوجد الكتاب وهذه التقارير على أعلى درجات الاتساق ، وليس بينهما التناقض الذي أشير إليه فيما بعد ، حول بحوثه في موضوع التوائم ، كما تأمل موقفه النظري فوجده في توازن دقيق من حيث الاهتمام بعوامل الوراثة والبيئة جميعا ، ولم يجد دليلا واضحا يشكك في صحة النتائج أو دقة البيانات . صحيح أن أسلوب الكتابة العلمية الذي كان شائعا في ذلك الوقت يختلف عن أسلوب العصر الحاضر من حيث تفصيل المنهج والأدوات ، الا أن الكتاب في رأي المؤلف يظل حتى وقتنا يستحق السمعة الطيبة التي ظل يحتفظ بها حتى الآن .

كانت هذه هي البداية . وهكذا تحول الرجل إلى محقق في القضية على مستوى رفيع ، وكان في جميع الحالات يحمل أدلة الاتهام التي وجهت إلى بيرت من جميع الذين أدانوه وعلى وجه أخص هيرنشو وكتابه المهم . وكانت خلاصة هذا التحقيق العلمي الخطير كتابا يصف ويشرح ويفصل هذه المسيرة الشاقة ، التي بدأت بشك الآخرين في نزاهة الرجل وانتهت بتصميم رائع على تبرئة ساحته ، وطلب انساني من المجتمع العلمي أن يعتذر له عما حدث من اتهام وتشهير .

ما الذي فعله جوينسون بالضبط ؟ وهل كان قادرا حقا على التصدي لتلك الحجج « القاطعة » والأدلة « الدامغة » التي قدمها خصوم بيرت وقضاته جميعا ، وعلى رأسهم هيرنشو ؟

لقد كان منهج المؤلف في البحث واضحا وبسيطا ، فقد قرأ كل حجة وتأمل كل دليل فوجد قدرا من « الأخطاء » فيما نشر يفوق الحد . ومعظم هذه الأخطاء ـ كما يقول المؤلف ـ كان يمكن لأي قارىء متفحص أن يكتشفها لسهولتها لو تأنى في القراءة ولم يقع في إسار « الهالة السيئة » الذي صنعه الخصوم حول الرجل .

الاغتيال الأخلاقي

ويكشف جوينسون قائمة طويلة من الأخطاء وبخاصة في كتاب هيرنشو ، وعلى رأسها التقبل غير الناقد للأدلة التي تدعم وجهة نظره ، والاقتباس المشوه من كتابات الرجل ، بل وعدم فهم بعض ما كتبه ، وتجميع أنصاف الحقائق وأرباعها ، والوقوع في أسر الخيال ، والاعتماد على التقارير المتحيزة ، والاعتماد على أدلة لايصدق عليها أبدا وصف « شاهد العيان » أو الشاهد من الدرجة الأولى ، بل ولاحتى الشاهد من الدرجة الثانية ، والمبالغة في الأدلة غير المؤكدة . ويذكر على ذلك وغيره أمثلة كثيرة متكررة . ولكن ما هي النتائج التي توصل اليها جوينسون ؟ لقد درس المؤلف جميع التهم التي وجهت إلى بيرت دراسة متأنية فاحصة مدققة ، مراجعا الوثائق والنصوص الأصلية ، وتوصل الى نتيجة عامة ومهمة وهي أنه لم تثبت صحة تهمة واحدة منها : يصدق ذلك على اتهامه بتزييف تاريخ التحليل العاملي ، وعلى اتهامه باختلاق الأدلة التي تدعم موقفه النظري ، من وراثة الذكاء وبخاصة في بحوث التوائم ، وعلى اتهامه باصطناع شخصيات وهمية لمساعديه . صحيح أن في بعض ما كتب أخطاء البشر العادية - وبخاصة في كتاباته المتأخرة في الثمانينيات من العمر - إلا أنها لاترقى الى مستوى جرائم التزوير العلمي ، وفقدان الأمانة العلمية .

والسؤال الآن : ما موقف خصوم بيرت من ذلك كله ؟ وكيف سيعوضون الدمار الذي تعرضت له كرامة وسمعة رجل وصف في اعقاب وفاته بأنه أحد مؤسسي علم النفس في بريطانيا ، وقائد البحث التربوي فيها ، ثم تعرض لهذه الهجمة الشرسة بعد وفاته بخمس سنوات دون أن يكون له حق مقارعة الخصوم ، وكانت لديه القدرة الفائقة في حياته ؟ وهل يمكن « للاغتيال الأخلاقي » الذي تعرض له - والذي وصفه ايزنك بصدق - أن يمر دون قصاص ؟ وهل يمكن للخلاف السياسي والمذهبي والأيديولوجي أن يدخل الناس في هذه الدائرة السوداء ؟ أسئلة قد لايجيب عنها الحاضر ، لكن يبقى درسها العظيم المستفاد : يذهب الزبد جفاء ويمكث دائما ما ينفع الناس .

هل تصـــدق

× في ألمانيا توصلت إحدى الشركات الى اكتشاف خطير ، لتحويل ورق الصحف الى مأكولات ، وذلك بمعالجة النشارة ببعض الأحماض ، وفي حالة تعميم هذا الاكتشاف فإنه سيكون في امكانك أن تأكل الجريدة بعد أن تقرأها !

× في لندن عرض أحد كبار تجار الكتب مكافأة لمن يروي أظرف نكتة أو مثل أو قول مأثور في الكتب ، ففاز بالجائزة أحد القراء الأذكياء . . أعطى مثلا عن الشاعر المشهور ملتون وهو يقول : من قتل كتابا طيبا قتل رجلا طيبا .



من يحيي الطفل فينا ؟

جمعني وصديقا موقف انساني مثير للمشاعر ، وبينما راح معظم الحاضرين يستعينون بالصمت لإخفاء انفعالاتهم بالموقف ، وبعض منهم أعطى لمشاعره مداها بكلمات دالة ، أو بتشكيل أسارير الوجه ، انفلت صديقي من صحبتي واتجه إلى ركن ناء ، ثم استدار معطيا ظهره للجميع . ذهبت إليه بعد فترة لأجده يغالب دموعا تحاول الانفلات من عينيه ، احترمت انفعاله حتى غادرنا المكان ، وخفّت تأثيرات الموقف وسألته : لماذا حاولت إخفاء انفعالك ، مع أنه أمر إنساني طبيعي ؟ فأجابني : هل ترضى أن يراك الآخرون في لحظة ضعف ؟

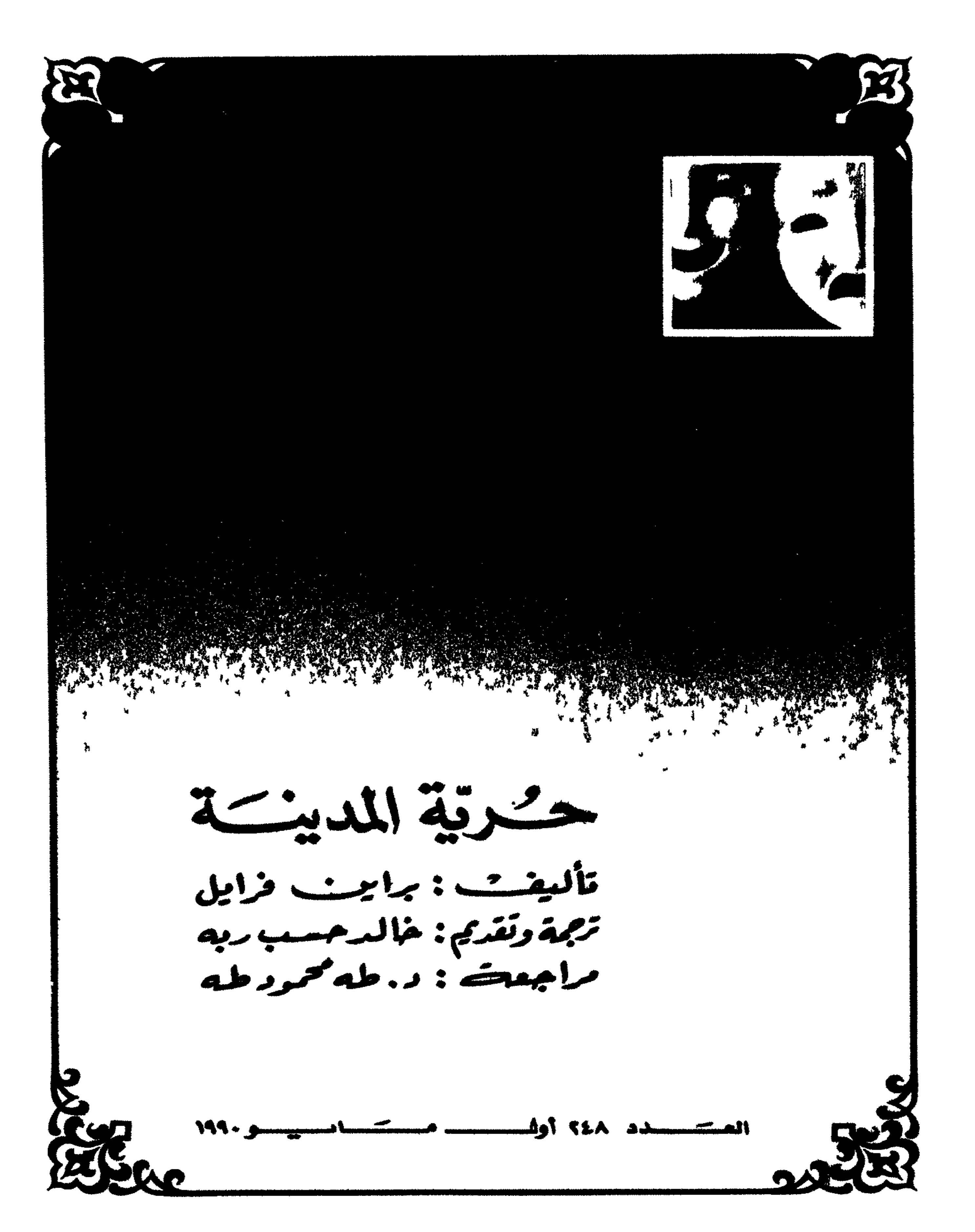
وعلى قدر ما بدت الإجابة مقنعة لأنها مرضية لغروري الإنساني ، إلا أنها أثارت سيلا من التداعيات حول سلوكيات اجتماعية نمارسها ، امتثالا لما نرى أنه رأي الآخرين ، أو مواضعات اجتماعية ، استقرت في وجداننا كقانون اجتماعي ، كتلك التي تضطر الانسان منا لكبح ردود فعله الانسانية التلقائية ، وبخاصة المرتبطة بحياته الوجدانية . خشية أن يتّهم من الآخرين بالعاطفية أو الرومانسية .

ولذلك يزحم كل منا مساحة الطفولة الكامنة فيه منذ ولادته بنواهي الآخرين ومتطلبات الحياة الاجتماعية العصرية ، فيعطلها عن التفاعل مع معطيات الحياة ، والاستجابة لمؤثراتها ، وتفترش الجهامة وجه حياتنا .

مع أن هذه المساحة الطفولية هي التي تكسب الفرد إنسانيته ، وتميزه عن غيره من الكائنات ، فمنها تتدافع أحلامه ، أجملها وأكثرها جنونا ، وتنطلق خيالاته جامحة بلا حدود . أليست كل نتاجات العلم التي نستمتع بها في حياتنا هي أحلام بعض من سبقونا ، ممن اتهمهم معاصروهم بالجنون ؟ عباس بن فرناس تشبه بالطائر ، وركّب لنفسه جناحين ، وبدا كما لو كان يمارس ألعابا صبيانية ، لكنه كان يجسد بفعله حلم البشرية في الطيران .

الوجدان الشعبي ابتكر حكايات ألف ليلة بأساطيرها الممتعة ، وخوارقها المتجاوزة لحدود القدرات الإنسانية . كل هذه وغيرها جاءت من هذه المساحة الطفولية التي نكبحها داخلنا ، فلماذا لانعطيها فضاءها لتنطلق ، وننطلق معها من جزرنا الفردية إلى رحاب العلاقة الإنسانية الدافئة . □

علي عتمان


حرية المدينة
تأليف : براين فرايل
ترجمة وتقديم: خالد حسب ربه
مراجعة : د. طه محمود طه
العدد ٢٤٨ أول مايو ١٩٩٠



"ابنتي" - للفنان السوفييتي الكساندر شيلوف